

المحلمية

هوية عربية .. وجود أصيلة

بناها أربع مولدات أملاك عثمان المحلمية

إعداد

حسن إسماعيل عبد القادر عثمان

راجعته وقدمته

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

المحلمية

هوية عربية... وجذور أصيلة
بحث تاريخي موثق في أصول عشائر المحلمية

إعداد
حسن اسماعيل عبد القادر عثمان
رئيسه وقدم له
الأستاذ الدكتور سبيل زكار

دار الملاح للطباعة والنشر

إهداء خاص للشيخ
العزيز أحمد أدب لأحمد
عبد الحليم عيسى - قاضي

AHMAD AL AHMAD

المجلد

هوية عربية... وجدور أمينة
بحث تاريخي موثق في أصول وعشائر الحامية

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الذين حملوا لواء العروبة مع عشيرتهم من أبناء أمتهم العربية،
وانتموا إليها بلسانهم وعقولهم ودافعوا عنها قولاً وفعلًا..

إلى المحافظين على هويتهم الأصيلة وانتمائهم العربي منذ عشرات
القرون، الذين قاوموا كل المحاولات ووسائل الضغط لطمس هويتهم القومية
أو النيل منها.

إلى أبناء عشائر المعلمية أينما حلوا..

إلى أبناء الجزيرة السورية..

نقدم باكررة عملنا هذا..

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم
(وقل رب زدني علماً)

شغلت بلاد الشام لو سورية دوراً أساسياً في نشوء الحضارة الإنسانية وتطورها، وهناك إجماع بين الكتاب الكلاسيكيين ثم المسلمين من بعدهم على أن حدود بلاد الشام من الشمال هي سفوح جبال طوروس الشمالية، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب نفوذ مصر والطرق شبه جزيرة العرب، ومن الشرق سفي الفرات من على الطرفين، وتاريخياً تبع النهران العظيمان: الدجلة والفرات من الهضاب الشمالية المتاخمة لسورية، وبما أن سورية باتت هكذا مسورة من كل جانب عرفت بهذا الاسم، وصحيح أن بعضهم يرى أن الاسم مشتق من اسم آشور، لكن يرجح أن اسم آشور، هذا هو مصدر اشتقاقه، وغالباً ما أطلق الناس على المنطقة التي قامت فيما بين الدجلة والفرات في الشمال اسم الجزيرة.

وعرفت الجزيرة الوحدة الحضارية والبشرية مع بقية أجزاء بلاد الشام، لكنها غدت بشكل واضح منذ القرن الرابع قبل الميلاد أرض صراع بين القوى الإمبراطورية لإيران، والقوى الكلاسيكية الأوروبية التي ظهرت على شكل إمبراطوريات بعد الاسكندر المقدوني، حتى أن نهر الفرات صار نهراً من نار سياسياً، لكن الجزيرة بقيت تتمتع بالوحدة البشرية واللغوية

والحضارية، ونظراً للصراعات الدولية ولأسباب أخرى كثيرة شهدت أراضي الجزيرة مع الشمال الشامي وفود جماعات بشرية متنوعة من الشمال، كلها ذابت مع الأيام واندمجت في الكيان العربي للشام والجزيرة.

وتتمتع الجزيرة بالوقت نفسه بوشاح متينة مع المناطق الجنوبية من بلاد الرافدين، وشهدت استمرار حركة الجولان للقبائل العربية، وكانت أرض الشام والجزيرة والعراق وشبه جزيرة العرب المسرح الرئيسي لحركة الجولان هذه، وقبل انتقال الوضع الاجتماعي للعرب المتجولين من الكتل البشرية الكبرى (الشعوب والجماعات) إلى النظام القبلي، سادت الجزيرة مؤلفة من ديار ثلاث حملت كل واحدة منها اسم كتلة بشرية كبيرة تسمت فيما بعد إلى مجموعة من القبائل، وهذه المجموعات الكبرى الثلاث هي: مضر، وربيعة، وبكر.

لقد كان هذا هو الحال قبل ظهور الإسلام، وقد وصلت مؤثرات الإسلام إلى هذه القبائل منذ أيام النبي ﷺ، وظهر هذا جلياً في معركة ذي قار أولاً، ثم في بداية حركة فتوحات العراق ثانياً، حيث أن المبالغة في هذه الحركة جاءت من قبائل شيبان بزعماء المثنى بن حارثة الشيباني، وكان المثنى هو البطل الفعلي لحروب مرحلة الأيام في فتوح العراق قبل الفلاسفة، وهو الذي أعاد إقامة الشخصية العربية الإسلامية للعراق وبعثها إلى الوجود. وتعد قبيلة شيبان إحدى قبائل بكر الرئيسية، وعلى هذا امتد وجودها من جنوب العراق حتى أقصى الشمال حيث عرفت الديار باسم ديار بكر، وما زالت تعرف بهذا الاسم، ومع محافظة قبائل بكر على النظام القبلي، تحولت نحو حياة الاستقرار الريفية، ومكنت في القرى والندسكر.

وفي أيام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ع جرى تنظيم الأقاليم الإسلامية إدارياً وعسكرياً، وهكذا جعل من بلاد الشام أربعة أجناس، ومن الجزيرة مصرأ قسماً بذاته، أهم مدنه الموصل وريثة نبؤى الآشورية، إنما الواصلة الآن ما بين كثير من أقاليم المشرق وبلاد الشام، وهكذا عندما آلت الخلافة إلى الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ع، ألحق هذا الخليفة مصر بجزيرة بولاية الشام، الأمر الذي أضعف جند الكوفة، فكان واحداً من الأسباب الرئيسية لحدوث الفتنة الكبرى.

وبعد الفتنة الكبرى، وببعية الإمام علي ع بالخلافة، ترعمت الكوفة دار الإسلام، وكان عليها أن تخوض معركتها الحاسمة من أجل توطيد هذه النزاعمة مع دمشق الشام، فكانت معركة صفين على أرض الجزيرة، وخسرت الكوفة المعركة، وتمزقت قواها بقيلم حركة الخوارج وسواها، وأسس معاوية حكم الأسرة الأموية، ومع ذلك ظلت الكوفة تتزعزع المعارضة للحكم الأموي في سبيل السيطرة الكاملة على الجزيرة، وهذا واضح تمام الموضوع من خلال الوقائع التي كانت بعد كربلاء ووفاة يزيد بن معاوية، ومجدداً انتصرت دمشق، وأعاد عبد الملك بن مروان تأسيس الخلافة الأموية، ومن الجزيرة رُحف على الكوفة فسيطر عليها.

لكن هذا لم يخدم حركات المعارضة، حيث شهدت الكوفة الكثير من الثورات، كما أن أرض الجزيرة صارت مسرحاً لنشاطات الخوارج، الذين كان الكثير منهم من قبائل بكر، وخاصة شيبان، ولذلك ولأسباب أخرى لتقل بلاط الخلافة الأموية من دمشق إلى المناطق القريبة من الجزيرة، حيث أن بلاط عمر بن عبد العزيز كان على سيف البداية الشامية، ثم اتخذ من بعده

هشام بن عبد الملك من الرصافة الجزرية مقرأ له، ومن بعده اتخذ مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية مدينة حران الجزرية العريقة مقرأ له، وعلى أرض الجزيرة كانت المعركة الحاسمة التي أزلت الخلافة الأموية، وبعد ذلك بأمد وجيز سعى عبد الله بن علي - عم الخليفة المنصور العباسي - إلى إعادة تأسيس الخلافة الشامية الجزرية فهزمه أبو مسلم الخراساني على أرض الجزيرة، ومن أرض الجزيرة مضى عبد الرحمن بن معاوية - صغر فريش - حتى الأندلس حيث أعاد تأسيس الحكم الأموي هناك.

ورمت مقاليد السلطة للعباسيين في العراق، ومع ذلك ظلت الجزيرة وبلاد الشام تمثل المعارضة للعباسيين، الذين ما أن ضحكوا قليلاً حتى شهدت الجزيرة قيام كيانات شبه مستقلة للقبائل العربية، في الموصل، وميافارقين وأمد، وحران، والرحبة وقلعة جبر، وتولت هذه الكيانات في غالب الأحيان التصدي الجهادي للبيزنطيين، الذين اجتلبوا في القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد الثغور الجزرية والشامية، وتوغلوا عميقاً في إقليم الشام شمالاً وجنوباً، وفي ديار الجزيرة، وأقام هذا النشاط العسكري البيزنطي، ولما كانت تشهد المناطق الشرقية من ديار الخلافة العباسية ولأسباب متنوعة كثيرة تعلق على الشام الشمالي وعلى أرض الجزيرة مجموعات بشرية من سكان المرتفعات الشمالية الثغرية لجبال الأكراد ومرتفعات أرمنية، وعمل معظم الأكراد في القوات العسكرية، لكن الأرمن كسفت أعدادهم أكبر، فوصلت مجموعات منهم حتى إلى مصر حيث شغلوا دوراً سياسياً وعسكرياً مهماً في حياة الخلافة الفاطمية منذ خلافة المستنصر حتى سقوط هذه الخلافة.

وحاول زعيم كردي اسمه بلا السيطرة على الجزيرة، فأخفق، لكن نجح بعض من أقربائه في إقامة حكم أسرة كردية في آمد وميافارقين، ومع هذا كانت هذه الدولة عربية الشخصية من جميع الجوانب، وقد وفقت الموصول بزعامة الحمدانيين أولاً ثم العقيليين في وجه التوسع الكردي ولوطفته، وذهب الأكراد في المجتمع الشامي الجزري، وفي القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد تعرضت بلاد الشام والجزيرة إلى اجتياح القبائل الفزارية التركية، مما أدى إلى زوال دولة ميافارقين، وكذلك زالت دولة العقيليين وسواها من إمارات الأسر العربية، وشرع التركمان يؤسسون كيانات سياسية خاصة بهم، ونجحوا في تتريك مناطق أسية الصغرى، إنما ذابوا في الجسم العربي في الشام والجزيرة.

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن الحادي عشر للميلاد قيام الحروب الصليبية، واستولى الصليبيون على مدينة الرها الجزيرة العريقة، لكن هذه الدولة لم تعمر طويلاً، وحرر عبد الدين زنكي الرها، وليس من الغلو القول أنه من الجزيرة والشام الأعلى انطلقت حركة التحرير واسترداد الأرض من الصليبيين، ولولا استيلاء صلاح الدين على الجزيرة والشام الشمالي لما نجح في معركة حطين.

وبعد وفاة صلاح الدين بوغت نصير وصل إلى الجزيرة وأعلى الشام فلول قوات دولة خوارزم شاه، ونشط الخوارزمية لمدة طويلة في الجزيرة وأرض الشام، وهكذا استعمرت أراضي الجزيرة مسرحاً لنشاطات القوى العسكرية الوافدة من تركمان، وخوارزمية، ومغول، ثم تركمان، وأرمن وأكراد، وكذلك كرج (جورجيون) وفرنجة، لكن هذا كله لم يغير الملامح العربية الأساسية للجزيرة التي اندمجت كلها مع الشام الشمالي.

إن ما تقدم يبين مدى أهمية البحث في تاريخ الجزيرة، والذي استعرضناه حتى الآن هو بعض الصور السياسية، وبلا شك عندما نستعرض قليلاً من التاريخ الحضاري للجزيرة سوف نشعر بأن هذا التاريخ أكثر أهمية، وبناء عليه اهتممت بهذا الموضوع منذ قيام الإسلام، وقبلاً قبل الإسلام، حيث تملكنتي الدهشة تجاه مسورة الثراء الحضاري العربي للجزيرة.

ففي حواضر الجزيرة وعلى رأسها: الرها وحران، والموصل، ونصيبين ازدهرت الحضارة العربية بسبق إنساني مذهش، فخصوصية الجزيرة أثرت على جميع الديانات والعقائد، ومن الجزيرة انتقلت المسيحية إلى الشرق الأقصى، وبعد دستور مدرسة نصيبين أقدم الدستور التنظيمية وأرقاها.

وعانت الجزيرة في أواخر القرن التاسع عشر وطوال القرن العشرين، من خطط مدمرة رعتها مراكز التبشير والاستعمار الغربي، وكان من محصلاتها تدمير السريان العرب لصالح القبائل الكردية في جبل هكاري وبعض مناطق الجزيرة، وتهجير السريان من حواضر الجزيرة، وتقسيم إقليم الجزيرة وتوزيعه بين تركيا والعراق وأخيراً سورية، ونجم عن هذا نتائج خطيرة جداً، منها ما تعرض له الأرمن في بلادهم، ومنها تخلق أعداد كبيرة من الأكراد على الجزيرة السورية من تركيا منذ القضاء على ثورة الشيوخ سعد شيخ النقشبندية، واستقبلت الجزيرة السورية المهجرين من الأرمن، والشركس والأكراد ومواعم ومنعتهم المأوى والأمان، وتعيش هؤلاء مع عرب الجزيرة بسلام ووثاق، إنما مع وجود بعض ردات الفعل الاجتماعية، لو المدامرات التي رسمت في الخارج — كما قلت — ومازالت مرسومة.

ومع العلم المتطور الجديد للقرن الحادي والعشرين وعلى الرغم من
 التمزق المسيحي، ينبغي السعي إلى المحافظة على الوحدة الحضارية العربية
 للجزيرة بمختلف الوسائل، وعلى رأسها الدراسات التاريخية العلمية الجادة،
 وتأتي الدراسة التي نقدم اليوم لها بين هذه الدراسات، حيث أنها تتناول
 مجموعة قلبية كبيرة من هيكل شبكات البكرية التي سكنت ديار الجزيرة منذ
 قرون مديدة، وكان لها يوماً وجودها العربي المتميز والفعل، وجاء هذا
 البحث جاداً ملتزماً بالوثاقية إلى أبعد الحدود، مشوباً بعاطفة حيائية، لكن من
 دون تعصب أو انغلاق وتزمت، ذلك أنه على رأس مزيا الأسة العربية
 الانفتاح الإنساني، ذلك أن العرب كانوا قبل الإسلام حملة مشاعل الهداية
 الحضارية للبشر أجمعين، وبعد الإسلام حملة رسالة فتوحيد، وفي ظل
 التوحيد الرباني يعيش البشر لغواً بلا طغيان أو تحكم أو ظلم أو استغلال،
 مع التمتع بالحربة الكاملة شروعا من العقيدة، ومن مبدأ «لا إكراه في الدين»
 لن يكون هناك أي نوع من أنواع الإكراه، وهذا ما تحتاجه البشرية الآن،
 التي تحكمت بها جبرية العرلة الصهيونية المسيحية المتهونة، القائمة على
 الاستغلال والمبيحة لنفسها سفك دم الآخرين، فقد قام كيان الولايات المتحدة
 على إبادة الهنود الحمر، وكان عدد الهنود الذين أبادهم المسيحيون المتهنون
 حتى عام ١٩٠٠ مائة وستة صر مليوناً، وتصل الصهيونية منذ سنين طويلة
 على إبادة العرب الفلسطينيين، لكن هذا كله سوف يكون إلى زوال، مثلما
 كان حال جميع الغزاة المعادين عبر العصور، ومن هؤلاء الصليبيين في
 الجزيرة وأرض الشام.

لقد تمتعت بدراسة تاريخ قبيلة المُنظمية، وشكرت للباحثين جهدهما في الكشف العلمي الموثق عن تاريخ ونسب أبناء القمثن بن حارثة الشيباني وأحفاده، كما أن معارفي تمتعت حول تاريخ ملودين ومنطقة طور عابدين، وزادتي هذه الدراسة إيماناً بضرورة تكثيف الجهود لدراسة تاريخ الجزيرة، ولكم أتمنى تأسيس جامعة كاملة باسم جامعة الجزيرة، تجعل على رأس أهدافها الكشف عن تاريخ هذا البلد العربي الأصيل.

واسوف تبقى الجزيرة أرض الهوية العرقية، أرضاً عربية إسلامية، يعيش سكانها في ونام كامل واتسجام، فهذا كان يوماً ما قسم به سكان الجزيرة عبر التاريخ، وبقي لطلوع إلى تطوير هذه الدراسة وأن أوسعهم في القريب العاجل في دراسة عن جميع قبائل بكر خاصة شيبان وتغلب، ذلك أن المنظمة فرع من شيبان.

هذا وإن مثل هذه الدراسات عن تاريخ بعض القبائل هي ظاهرة صحية، ذلك أن دور الإنسان وعبريته تتقدم على دور الجغرافية، وقد جمع الإنسان العربي في الجزيرة بين عبقرية الإنسان وأصاقله وبين أهمية المكان وفضائله، والمجتمع الكبير مجموعة من الوحدات الصغيرة، والوطن العظيم مؤلف من مجموعة من الأقاليم، وتقود معرفة الوحدات الصغيرة بشكل علمي سليم إلى المعرفة الشاملة، فعمليات الإحصاء تبدأ بالأفراد، إنما في الوقت نفسه مرفوضة عمليات التاريخ لتكرس القنوية والقطعية والقبلية والإقليمية، فالعرب أمة واحدة، وليسوا أمة، وديارهم وطن واحد على الرغم من التمزقات السياسية، وفجر الوحدة قبل أن شاء الله عربياً إسلامياً صرفاً، لا شرق أوسط كبير أو صغير، فمن نعرف لهم الوطن العربي والمشرق

العربي والمغرب العربي، ولا نعرف السميات الجديدة، ووطننا هو المركز
إليه الانتماء ومنه صدرت الحضارات والتطبيقات والديانات والعبادات، وإذا
كان هو المركز فهو ليس شرقاً منتصباً لأصل هو أوروبا أو سواها.
من الله جل وعلا لسأل التوفيق والسداد وله الحمد والشكر، والصلاة
والسلام على النبي العربي محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه ومن أخذ
بهذه إلى يوم الدين.

سهيل زكار

نشق ٢٦ / ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ

١٤ / حزيران ٢٠٠٤ م

مقدمة

لم أفكر يوماً ما أن نكتب موضوعاً تاريخياً شاقاً ومعقداً، كهذا الذي
أقدمنا عليه، وخاصة لما يتطلبه من بحث وتنقيب، وتفحص وتدقيق، وتفسير
وصبر وجهد، ووقت ومال.

وما يتطلبه أيضاً من صدق وموضوعية وأمانة، والتي تعد من أندر
العوامل المؤثرة في نصية أي كاتب، والتي تجعله دائماً يشعر بأنه رهين قوة
مؤثرة هي قوة الضمير، هذا الرقيب الذي لا زمناً دتماً في كل مراحل البحث
والتنقيب حتى الوصول إلى النتيجة المرجوة.

إلا أن الكثير من الأمور والأسباب استخرجتنا شيئاً فشيئاً حتى وجدنا
أنفسنا نفوس في بحر التاريخ الواسع، فمن هذه الأمور حبنا واعتزازنا
بمرويتنا وعشيرتنا ووطننا أولاً، وتطلع الناس قبطاء من أفراد عشيرتنا
إلى من ينتسبهم من دائرة شك، والحيرة ثانياً، هذه الحيرة التي لازمتهم منذ
ولادتهم، فقد أصبحت قضية الانتماء والمرجعية هاجساً لا بل كابوساً مخيفاً،
يجثم على صدورهم، ويضع العشرات أمام مستقبلهم وهم الذين لا حول لهم
ولا قوة، وقد حُرم أغلبهم من نعمة المال والعلم، فظلوا عشرات المنين وهم
يبحثون عن بصيص أمل هنا أو طرف خيط هناك لعله يوصلهم إلى الحقيقة.
كما أن هناك إشكالي كبير يتعلق بهذه العشيرة بدأ وتطور منذ قرن كامل،
وهو تاريخ الوجود المحلي في الجزيرة، هذا الوجود الذي طرح أسئلة
كثيرة، منها ما يتعلق بمرجعية هذه العشيرة وانتماءها.

وكان الجواب — وبالرغم من مرور هذه العدة الزمنية الطويلة — وكأنه
أمراً صعب المنال، فبقي كل شيء على حاله وبقينا جميعاً رهناء القشرة
المظلمة التي ضربت حولنا، ولقد سار بنا العمر دون أن نحس، ومضى جيل
من المُحْطِية وأجيال قبله، وطال انتظارنا ونقد صبرنا.

وفي مسيرة البحث هذه لوقفنا محطات عدة كان من أهمها:

أ — أثناء إعدادنا لعملنا هذا كنا حريصين على أن نستطلع آراء أبناء
المُحْطِية — وخاصة كبار السن منهم ووجهاءهم — فيما وصلنا إليه من نتائج
فكانت هناك مناقشات وحوارات تتعلق بالمسألة، ولأن الطرف الآخر الذي
كنا نناقشه ونحاوره لم يكن على درجة واحدة من الثقافة والوعى والعلم،
لذلك لقد صاقلنا نماذج عدة من هؤلاء منهم الأسي، والمُتَقَف، والبسيط،
والطيد، ولكل نموذج أسئلته وهواجسه وتخوفاته، فكان تشجيع من طرف،
وتخوف من طرف آخر.

وكان الجدل والحوار يصل في بعض الأحيان إلى درجة كبيرة من
التوتر والإنفعال عند الطرف الآخر الذي كنا نريد إقناعه بعدم صحة رأيه
وفكرته، ولأن ما يفعله لا يستند لأي أدلة تاريخية أو غير ذلك، بل كان سنده
في ذلك أمور واهية وهوية تعتمد على عرف موروث مزيف ومطلوط وصل
عند البعض مرتبة الاعتقاد واليقين.

ولئن أخطر المسائل التي ثارت الجدل واختلفت حولها الآراء هي قضية
النسب والمرجعية القبلية، وهي مسألة معقدة ومتشعبة، وكنا نعرف تماماً
أنها المسألة التي ستجلب كثيراً، ليس من ناحية المعالجة التاريخية، وإنما من
ناحية المعالجة الذهنية، ونصعد هنا معجزة ما في ذهنيّتنا من عرف خاطئ
واجتهائنا واستبداله بحقائق تاريخية مدعّمة بالحجج والبراهين.

ونقول بكل صراحة وجرأة: إن مسألة النصب ليست بالأمر السهل البسيط، لأنها تعنى أصول كثيرة كبيرة ذات تاريخ عريق، وإن التلاعب أو اللعب بها بشكل مغامرة تاريخية، ربما تؤدي إلى نتائج اجتماعية مأساوية غير محدودة.

ومع ذلك لم يكن التاريخ يربكنا، ولكن كان الذي يخيفنا هو الحاضر والمستقبل، ولهذا كنا مطمئنين إلى ما وصلنا إليه من نتائج حصلنا عليها بشق الأنفس، فكان علينا أن نقرأ عشرات الكتب والمراجع حتى نصل إلى معلومة مهمة قد لا تتجاوز السطر الواحد، وحينما انتهينا هذا الكتاب كنا قد اطلعنا على أكثر من ثلاث مئة مصدر ومرجع.

ومع هذا الزخم الهائل من العمل والبحث والتفتيش كنا نسير بسرعة، لأن الكثيرين من أبناء المطبعة كانوا ينتظروننا، وخاصة البسطاء منهم الذين وضعوا أحلامهم بين أيدينا وملكونا أراحهم وأحزنهم وهم ينتظرون لحظة ولادة هذا الكتاب، وكانوا يخشون من أن يكون العمل كاذباً، بينما كان آخرون يلاحقوننا، وخاصة ممن كانوا ينتظرون منا أن نطلق رسالة الرحمة على نسبتنا الضائع في كهوف ودهاليز التاريخ المظلمة.

ومع كل ذلك فإن أكثر ما كان يشعنا ويقلقنا ويجعلنا نصل إلى درجة الإحباط واليأس بعضنا من أولئك الذين نحن منهم وهم منا، والذين طعنوا التاريخ كله وعجنوه، وصنعوا منه سيفاً من خشب وحصاناً وفارساً، ثم يريدون بعد ذلك أن يتحول هذا السيف الخشبي إلى سيف أسطوري.

فكنا أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن نحطم أمل أبنائنا المحلمين ونحطم التاريخ والحقيقة مع أمالهم تلك، وإما أن نحطم أولئك الذين

حملوا هذا السيف الخشبي وظنوا أنه سيف أبي زيد الهلالي زوراً وبهتاناً،
وبتعبير آخر لقد وجدنا أنفسنا أمام تيارين من المثالية:

١ - تيار من جيل الشباب المثقف الواعي الذي لم يمد يده المظاهر
والأكاذيب، ولم يحد يفتح بالأمور إلا إذا كانت مدعومة بالبراهين والتوثيق
التاريخية، فهو يعيش في عصر العلم والمعرفة.

لقد كان هذا التيار على قناعة تامة من أن نسب المثالية إلى بني هلال
تقصه الأمانة التاريخية، وأن هذا الأمر قد يستند إلى نظرية هشة، تقتصر على
الألمة والموضوعية والشفافية، لذلك فإن هذا التيار كان يدعم كسر المحاولات
التي من شأنها أن تساهم في عملية البحث والتقصي عن الجذور وكشف
الحقيقة، وهؤلاء هم الذين حملونا أمالهم ولعلمهم وراغبوا على نجاح عملنا
هذا.

٢ - وتيار آخر يمثل الجدل الذي ساهم بشكل أو بآخر بصنع هذه
الخرافة، والتي تحولت فيما بعد إلى معضلة تاريخية معقدة، ووضع نفسه
والمشيرة من جراء ذلك في نفق ليس فيه بصيص ضوء، وتراء على الرغم
من ذلك بعناد وبكبر ولا يقبل إلا بهذه الخرافة التي اخترعها وصنعها، ولا
يريد أي شيء، بدلاً عنها.

ولصعاب هذا التيار هم الذين لو هموا الآخرين بأنهم قد ركبوا خلف أبي
زيد الهلالي وهم يمتطي فوق صهوة جواده ويده سيفه القاتل، ولو هموا
الآخرين بأنهم ورثة ذلك الذي حمل السيف، فتراهم مكابرين مزورين على
الرغم من أنهم على علم تام بأن السيف الذي حملوه ليس إلا من صنع
لواهمهم وهو خشبي يجب أن يتحطم على صخرة الحقائق والألمة التاريخية.

كذلك أثرت أن ننطق بالحق والحقيقة مهما كلفت، ولقد وجدنا أن الحقيقة التي كشفت لنا أننا من أحفاد شعب هم من العظماء حقاً، وهم الذين نكرتهم كتب التاريخ كلها لأنهم يستحقون منه ذلك.

فلم يكن تاريخهم هذه المرة من صفاة رعاة البكدعوه فلو وجدوا فيه بطولات خارقة وشخصيات وهمية لسطورية وسيف لا تفهر، وإنما هي أجداد ومغالي حملتها بطون الكتب، ووثقها أقلام المؤرخين.

ب - وهناك مشكلة أخرى ولجتها، وهي قلة المصادر التاريخية الحديثة التي تتحدث عن منطقة الجزيرة السورية وتاريخها وعشائرها وغير ذلك.

لذا كان هناك بعض الكتب التي تختص بالحديث عن قبيلة أو عشيرة ما، فإن هذه الكتب لا ترقى إلى مرتبة (المؤلفات التاريخية)، وإنما هي أشبه (بكتب الإحصاء) والتي تتحدث فقط عن العشائر وأفرادها، ومناطق سكنها وأسماء ومسميات، وصور وقصص محلية أو غير ذلك.

وبعبارة أخرى فإن هذه الكتب (نصف حالة راحة) وهي (وصفية) أكثر منها موضوعية، فهي لا تبحث عن الواقعة التاريخية وتحللها لتصل إلى نتيجة واضحة.

لذلك نستطيع القول بأن منطقة الجزيرة السورية تحتاج إلى وضع دراسة تاريخية علمية وموضوعية عنها، ربما لا يستطيع كاتب بمفرده أن ينجز هذا العمل الكبير وفشاق، وهذا الأمر يحتاج إلى جهود جماعية، أو قل لجنة بحث كاملة متكاملة لتجازر هذا الموضوع.

ولقد أطلعنا على كتب تاريخية حديثة تتناول تاريخ منطقة معينة ككتاب (مدينة ماردة) لحسن شمساني وكتاب (تاريخ الموصل) لمؤلفه سعيد نبوي وغيرهم ووجدنا أن كتاباً عن الجزيرة بوزن هذه الكتب يبحث فسي منطقياً وتاريخياً، ويتناول المراحل التاريخية كلها - والتي تمتد إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة وربما أكثر - سيكون له الفائدة الكبرى بأن يبقى مرجعاً تاريخياً هاماً لهذه المنطقة التي هي جزء من منطقة أكبر هي الجزيرة الفراتية، والتي تضم ديار بكر وديار ربيعة وديار مصر وغيرها، أضف إلى ذلك أن هذه المنطقة قد شهدت الكثير من الحضارات، ودلّت حولها الصراعات والحروب، وهو الأمر الذي يزيد أهميتها ومكانة.

ج - وهناك نقطة أخرى وقفنا عندها كثيراً وهي قضية (الهيكليات العشائرية)، وربما هناك سبيل يسأل: وما هدفنا من وراء الحديث عنها؟ ولعل أحداً ما قد يفهم هذا الأمر بشكل معاكس لما أسهمناه نحن وطرحناه، ولذلك يجب توضيح هذه النقطة بالذات لإزالة أي غموض، خشية الوقوع في مغالطات أو اقتباس.

فطرحنا هذا بفهم على أساس التفريق ما بين (الهيكليات العشائرية) وبين (القبلية والعشائرية) نصها، ونحن نحدثنا عن تطوير (الهيكلية) فقط ولم نطالب بإلغاء دور (القبيلة أو العشيرة) في مجتمعنا الجزري، بل نريد له أن يتطور ويحدث ويُعطى قيمة حضارية لاجتماعية أكبر، ولكي نستطيع أن نفعل شيئاً نحو ذلك فعلينا إذاً أن نفكر بتطوير (الهيكلية العشائرية) وذلك بأن نحولها من (نموذج ثابت) إلى (نموذج متحرك متطور).

وإن لم نقل ذلك فإن الحديث عن تفصيل دور العشيرة والقبيلة يصبح
كما يقال حبراً على ورق.

ولنسأل بدورنا ما هي حاجة الفرد للقبيلة أو العشيرة في وقتنا الراهن؟

وهل هي حاجة ضرورية أم هي كمالية؟ وهل هي مادية أم معنوية؟

في الواقع وعلى ضوء الحقائق والوقائع نستطيع أن نقول: إن حاجة
الفرد للعشيرة في الوقت الراهن هي حاجة (معنوية كمالية) وليست حاجة
(ضرورية مادية) فالعشيرة اليوم لم تعد قادرة على مثل دورها القديم والذي
تنازلت عنه للدولة وفق المفهوم الحديث للجماعة المنظمة.

فهى لم تعد تستطيع حماية أفرادها، وليست قادرة على حماية أمنهم
وممتلكاتهم، ذلك أن هذا الدور قد أقيمت مسؤولياته بالدولة التي أصبحت
راعية وحامية لمواطنيها، فالدولة هي التي تقوم بدور المدافع والراعي
لحقوق ومصالح أفرادها في شتى أنحاء العالم.

كما إن العشيرة لا تستطيع أن تؤمن لأفرادها الضرورات المادية لهم
من مأكّل ومشرب ومبأ، ومستلزمات الحياة الأخرى، ذلك أن الدولة قد ألحظت
بها أيضاً مسؤولية القيام بهذا الدور، وأصبح بالقبلي (أبناء العشيرة) مواطنين
من رعايا الدولة، لهم حقوق وعليهم واجبات يحددها دستور ينظم العلاقة
بينهم.

إن ما هي الخدمة المادية التي تستطيع أن تقدمها العشيرة اليوم

لأبنائها؟

تستطيع أولاً تقديم لصل الهوية والانتماء على الرغم من أن علاقة الفرد
بالعشيرة أصبحت علاقة معنوية تيمس أكثر، لأن العشيرة أصبحت عاجزة
وغير قادرة على تحقيق أي شيء للفرد سوى حاجة معنوية تقدم للمرء

وهذا ليس كل شيء، إنها مجرد فاتحة نختمها بتقديم الشكر إلى جميع
 الذين أيدونا وأزرونا بقلوبهم ولسانهم العربي، ووقفوا معنا مشجعون
 ومؤيدين، يحثوننا على المثابرة والمضي في عملنا هذا.
 كما نشكر كل الذين ساهموا معنا في إعداد هذا المؤلف بما قدموه لنا من
 خدمات وتسهيلات مرجعية ومكتبية.
 ولكل من ساهم معنا في هذا العمل من أبناء العشيرة أو غيرهم فبولا
 وفعلا.
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي
 المصطفى العربي الأصيل وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القامشلي - ٢٠٠٤/٦/٣٠

حسن اسماعيل - عبد القادر عثمان

— دليل البحث وخطته —

مدخل

الفصل الأول

التوزيع الجغرافي للمُحتمية.. ونسبهم

لأولاً: بني مُحتم.. النسب والجنود

ثانياً: السكن والاستقرار

الفصل الثاني

الشيبانيون.. ومكانتهم التاريخية

لأولاً: في أطراف الجزيرة العربية.. والحرق

ثانياً: الشيبانيون ومباشرة فتوح العراق

ثالثاً: انسحاب شيبان نحو الجزيرة واستقرارهم بها

رابعاً: الشيبانيون في الجزيرة الفراتية.

خامساً: إسهام بني شيبان.. في حركة الفولج في الجزيرة

الفصل الثالث

بنو مُحتم.. بين الأمس واليوم

لأولاً: لمحة تاريخية عن أسباب تراجع الشيبانيين

ثانياً: ديار المُحتمية

الفصل الرابع

قوة التكوين المُحتمي العربي

أولاً: انتماء المُطَمِّية للعروبة

ثانياً: الحجم والأثقة المؤكدة على الانتماء

لأولاً — عامل اللغة

ثانياً — عامل الأرض

ثالثاً — العادات والتقاليد والتاريخ المشترك

رابعاً — مقاومة لشكل طمس الهوية العربية

خامساً — الاعتزاز والفخر بالنسب وبالانتماء العربي

الفصل الخامس

المغالطة التاريخية حول أصول المُطَمِّية

أولاً: المغالطة التاريخية

ثانياً: أسباب عدم الحق المُطَمِّية بني هلال

ثالثاً: المساوئ الناجمة عن هذا الخلط

الفصل السادس

في الرد على مسألة انتماء المُطَمِّية للمريين

لأولاً: المحاولات السريانية

ثانياً: الرد على ما جاء في كتاب طور حديد

— المحور الأول: الخلط بين مفهوم قومية والدين

— المحور الثاني: اللغة

— المحور الثالث: الاعتماد على المصنف الكنمجة واللاهوتية.

— المحور الرابع: تزخ (الأرضية).

الفصل السابع

أسس العلاقة بين المخطّمة والأكراد

أولاً: جنود العلاقة بين المخطّمة و الأكراد

ثانياً: أسس العلاقة الحالية في الجزيرة السورية

الفصل الثامن

الفروق بين المخطّمة وغيرها من العشائر

أولاً: الفروق بين المخطّمة و الساردلية

ثانياً: الفروق بين المخطّمة و غيرهم من العشائر العربية.

الفصل التاسع

عشيرة المخطّمة في الجزيرة السورية

الأول: لمحة عن التنوع القبلي والعشائري

الثاني: بدايات الوجود المخطّمي المتجدد في الجزيرة

الثالث: الانتشار المخطّمي في الجزيرة وغيرها

الرابع: البروز المخطّمي في الجزيرة

الخامس: علاقة المخطّمة مع غيرهم من العشائر

السادس: الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري

أولاً: الحياة الاجتماعية

ثانياً: الحياة الاقتصادية

ثالثاً: الحياة السياسية.

رابعاً: الحياة الفكرية

الفصل العاشر

الوضع التنظيبي لعشيرة المُنْطَمِيَّة

لأولاً: تعريف... ونبذة تاريخية

ثانياً: تكون عشقري جديد

ثالثاً: إعادة ترتيب الهيكلية العشقرية

الفصل الحادي عشر

المطلوب من المُنْطَمِيَّة في الوقت الحاضر

الفصل الثاني عشر

عشائر المُنْطَمِيَّة خارج الجزيرة السورية

لأولاً: المُنْطَمِيَّة في حلب

ثانياً: المُنْطَمِيَّة في لبنان

ثالثاً: المُنْطَمِيَّة في العراق

الفصل الثالث عشر

اللهجة المُنْطَمِيَّة

لأولاً: خواصها... واشتقاقاتها اللغوية

ثانياً: التشابه بين اللهجة المُنْطَمِيَّة والموصلية

خاتمة

المراجع والمصادر

وثائق والخرائط والصور

محتوى البحث

منخل

قد يخيل لبعضهم التوهلة الأولى أن البحث في مسألة تاريخية تتعلق بالأصول القبلية والمشتتة مسألة لم تعد ذات شأن في هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي تسير فيه الإنسانية برمتها نحو شمولية الانتماء الكوني ووحدة القرية الكونية الواحدة بسبب ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من تقدم ورقي وازدهار.

إن هذا الأمر لا ينظر إليه في الحقيقة من هذه الناحية، لأن هناك جملة من المعايير تجعل من مسألة البحث في الجذور والأصول ضرورة لا بد منها وخاصة إذا كانت طريقة البحث ذاتها تقوم بأغوار معرفية حديثة وأساس علمي، ومن هذه المعايير ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومن المعايير العامة نذكر:

* أولاً: إن مسألة الانتماء القومي لازالت مسألة مهمة وحيوية في حياة الناس والشعوب، إذ على أساسها تقوم الدول وترسم الحدود، وهي قضية حيوية ونشطة، قد تصنع السلم أو الحرب أحياناً في مناطق عدة من العالم.

* ثانياً: إن المجتمع يقوم بالأساس على بنية اجتماعية وتركيبية نسجية تمتد إلى معايير ومكونات القبيلة والعشيرة، وإن الجغرافيا البشرية العربية كانت ومازالت ترسمها حدود القبائل والعشائر العربية المنتشرة في سائر أنحاء الأرض العربية.

• ثلثاً: إن التكوين الاجتماعي الإنساني يقوم برعته على تنوع الشعوب والقبائل الإنسانية، وهو الأمر الذي عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة: (فإن خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله لتفلكم).

وقوله جل وعلا: (ومن آياته خلق السموات والأرض والختلاف ألصنكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين).

أصنف تعبير وفق رؤية، وهذا يؤكد على أن قضية التنوع الاجتماعي الإنساني هي قضية واقعية وموضوعية قائمة وموجودة على الرغم مما وصلت إليه درجة التطور والوعي الإنساني، والذي لا يستطيع أن ينفي وجود هذه القضية أو الحد منها.

مع العلم أن هذا التنوع ذاته لم يكن يوماً ما أساساً تقوم عليه القضية شعب أو قبيلة على أخرى، لأن الجميع منطوق تحت مقاييس واحد، هو مقاييس التقوى والعمل الصالح، وحسن المعاملة وحسن الجوار، لكن يمكن للفرقات القبلية أن يسهم كأداة رقابة اجتماعية في مكارم الأخلاق، وفي تماسك المجتمع الوطني المزلف من وحدات هي القبائل والعشائر والأمر.

رابعاً: إن منطقة الجزيرة السورية تتميز بخصوصية معينة، وهي وجود تنوع اجتماعي قبلي وعشائري بشكل لوحة فسيفسائية عربية سورية. اجتماعية جميلة، حيث تعيش وتتجاور عشرات القبائل والعشائر والطوائف والأل في منطقة واحدة.

هذا النسيج الاجتماعي له أثره في التكوين الفكري والحضاري في هذه المنطقة، الأمر الذي يجعل من مسألة البحث عن الانتماء إلى عشيرة أمراً لا غنى عنه وضروري جداً.

تلك كانت أهم الدوافع العلمية التي دفعتنا للتولم بهذا العمل إلا أنه كان هناك دوافع ومسوغات خاصة تتعلق بشيرة المُحَظَمَة، ومن هذه الدوافع:

* أولاً: لقد وقع الكثيرون من أبناء هذه البيرة في البيرة السورية في غلط تاريخي كبير وفدح حينما الحفوا هذه البيرة ونسبوا خطأ إلى قبيلة بني هلال العربية، وذلك لأسباب عدة سنعهد إلى بيانها بالتفصيل لاحقاً في كتابنا هذا، ولقد خصصنا لذلك فصلاً بأكمله.

وإن هذا الغلط التاريخي المتراكم قد ترك بصماته الواضحة على الوضع العام لهذه البيرة، وقلتي لم يستطع أحد منا أن يثبت مرجعيتها البشيرة تلك تاريخياً، ولا شك في أن هذا (الغلط) لو (الخطأ) قد شكل (عرقاً تاريخياً) خاطئاً بالنتيجة تنقله الناس وشاع لمره.

ولقد فصنا بعمل جد وبحث دؤوب وبشكل موضوعي وفزيه حتى استطعنا أن نصل إلى المستند التاريخي والأدلة التاريخية التي تؤكد المرجعية البشيرة الصحيحة لهذه البيرة، وقد حللنا أسباب ذلك الخطأ التاريخي وأثاره، ومع ذلك نحن على درجة تامة وأمل بأن هذا الكشف ستكون له آثاره وبنائجه الإيجابية الكثيرة والكبيرة على الوضع العام لهذه البيرة.

وفي كل الأحوال فإن ما يهمنا هو الحقيقة، والواقع المدعم بالمستندات التاريخية الموثقة، والتي أوصلتنا إلى الحقيقة الأصلية وهي تحديد الانتماء والهوية لهذه البيرة المترتبة الأطراف.

ولقد ألفرنا فصلاً كاملاً لبيان تفصيل ذلك.

* ثانياً: مما لا شك فيه أن موطن الاستقرار الرئيسي والأصلي لبيرة المُحَظَمَة، هو ما كان يعرف قديماً باسم ديار ربيعة وبكر والتي يقع معظمها حالياً ضمن حدود الدولة التركية حيث ما تزال عشرات الببلدات وقري

(المُعَلِّمِيَّة) منتشرة في تلك المناطق وما تزال مأهولة بالسكان حتى وقتنا الحاضر. ومن هناك قدم لبناء العشيرة الموجودون حالياً في سورية والعراق ولبنان، وكان قدومهم مع بدايات القرن العشرين حيث استقر معظم هؤلاء اللاجئين في منطقة الجزيرة السورية.

وإن هذا الأمر قد أوجد (حالة انقطاع وشبه قطيعة تاريخية) ما بين أفراد العشيرة الواحدة، قد تركت أثراً ما السلبية على الوضع العام للعشيرة تمثل في نواح عدة من أهمها:

أ - إن مرور زمن طويل على هذه القطيعة التاريخية والجغرافية بين أفراد العشيرة الواحدة الموجودة في دول عدة مختلفة عربية وغير عربية (تركية) قد فرض على كل تجمع عشائري مُحَلِّمي طرفاً داخلياً خاصاً به، ووضعاً اجتماعياً معيَّناً جاء نتيجة منطقية لهذا الطرف، ولدى كل ذلك إلى تكريس هذه القطيعة وتقوية عوامل القسمة والفرقة ما بين أبناء العشيرة الواحدة، ولقد وصل هذا الخطر إلى حد انهيار بعض أفراد هذه العشيرة في المجتمع الذي تعيش فيه، حيث فقدوا انتماءهم العشائري في مكان، وفقدوا اسمهم (المُحَلِّمي) في مكان آخر، كما نجد ذلك ظاهراً في لبنان حيث يعيش أبناء هذه العشيرة، ولقد خصصنا فصلاً لبيان وضع أبناء العشيرة هناك.

ب - لقد تعرض أفراد العشيرة الذين مازالوا يستقرون في بلد الاستقرار الأصلي وأعطى به (تركية اليوم) تعرضوا للكثير من الضغوط السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي فرضتها سياسة التمسّسين أولاً ومن بعدهم سياسيات (الترك) عليهم نتائج.

ومن أشكال تلك السياسة إبدال الهيكلية العشائرية (بنظام البكوات) والمرص للغة التركية، وتغيير أسماء البلدات والقرى (المُحَلِّمِيَّة)، وعملية

الدمج السكاني والاجتماعي والثقافي في المجتمع التركي، ومنع ارتداد العربي في تلك المناطق.

وإن كانت هذه السياسة قد استطاعت تغيير (المظهر العشائري) إلا أنها لم تفلح ولم تستطع محو الهوية العربية ونزعها من أبناء هذه العشيرة، ولم تستطع في الوقت نفسه طمس انتماء هذه العشيرة لعروبيتها الأصلية فظل (المحلميون) هناك محافظين على عروبتهم ولغتهم وعاداتهم حتى يومنا هذا، وإن ذلك يشكل دليلاً قاطعاً على قوة انتماءهم العربي ولصالتهم.

ج - أما الذين وفدوا إلى الجزيرة السورية من أبناء هذه العشيرة، فقد وجدوا أن المحيط الاجتماعي مختلف ومتنوع عما كانوا عليه في منطقة عيشهم الأصلية، فالجزيرة السورية يعيش فيها عشرات العشائر العربية ومساواها، وهكذا استطاعت المجموعات الوافدة أن تُولف فيما بينها وهذه عشائرية اجتماعية ثقافية واحدة انتمت إلى المجموعة العربية وانعازت إليها في مواقفها، إلا أنها قد عانت من فقدان الانتماء القلبي حتى وقعت في أغلال تاريخية بسبب ذلك.

إن هذه الأوضاع جميعها قد ساهمت بشكل أو بآخر في تكريس القطيعة والانعطاع بين أبناء العشيرة الواحدة المترامية الأطراف في بلدان عدة، وإن هذا الانقطاع بين الأصول والعرواح كانت له آثاره السلبية على العشيرة ككل، والتي أصبحت مثار تساؤل وجدل حول انتماءها وأصولها.

كل ذلك جعلها محلاً للجذب تطمع فيه بقية العشائر غير العربية والطوائف الأخرى نظراً لما تتحلى به هذه العشيرة (كمجموعة وأفراد) من صفات أخلاقية واجتماعية متميزة تعود في أصولها إلى الفضل والمكارم

العربية، وأيضاً لما تشكله هذه العشيرة من قوة هامة، ونفوذ اجتماعي جيد في هذه المنطقة.

وجعلتنا كل هذه الأمور تأسف وتوجع لما وصلت إليه حالة هذه العشيرة، الأمر الذي دفعنا لإنجاز هذا الفصل، وأنصحى من قلوبنا علينا وضع دراسة تاريخية وبحث تاريخي متكامل، وبأدوات معرفية حديثة نقلول فيه أوضاع هذه العشيرة المتزايدة الأثر.

وذلك من أجل التعريف بهذه العشيرة العربية ذات الانتماء الأصيل، ومن أجل التعرف على جذورها وأصولها وعلاقتها العربية الأصيلة.

والعمل في الوقت نفسه على دحض كل الافتراءات المراكمة، والتي كان من شأنها وما يزال القليل من متقية هذا الانتماء الأصيل، وذلك بغية إلحاقها ودمجها في مجموعة أو عشائر أخرى.

وحتى نصل إلى هدفنا وغايتنا هذه فقد أئبنا على أنفسنا — بل وكما أنزلماً علينا — أن نسلك أسلوب المنهج العلمي التاريخي، والذي قادنا إلى الرجوع إلى مئات المصادر والمراجع التاريخية المتنوعة القديمة والحديثة وإلى العديد من الدراسات السكانية والاجتماعية لإعداد هذا المؤلف الذي نبين فيه نسب عشيرة المظمية وانتماءها القبلي، والذي يتضمن الرد على جميع الكتاب والمؤرخين الذين تناولوا عشيرة المظمية في كتبهم بشكل غير علمي، وجاء هذا الرد بأسلوب علمي وموضوعي ومتطلي يخصص مزاعمهم وأقوالهم وآراءهم وما وصلوا إليه من نتائج واهية بهذا الخصوص.

أملين من المولى القدير عز وجل أن يوفقنا في عملنا هذا.

واحد من وراء القصد.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

الفصل الأول

التوزيع الجغرافي للمُطعمية.. ونسبهم

— أولاً —

بني مُحَلَّم .. النسب والجنود

(١)

ليس العرب فقط هم سكان الصحاري والقفار والأرض المجردة التي لا ماء فيها ولا نبات، بل هم سكان الوطن العربي على امتداده الواسع، ويرجع أن كلمة عربي التي ظهرت قبل خمسة آلاف عام، مشتقة من الماء، وأصل العرب في موطنهم العربي الكبير، وبك من غير الممكن القول بفكرة أن شبه جزيرة العرب هي الوطن الأم للأمة العربية، ومع هذا نساير الآن علماء الأنساب العرب فيما ذهبوا إليه وقالوه بعد مجيء الإسلام، حيث قد قسم المؤرخون والقبائل العرب إلى ثلاثة أقسام بحسب سلالات التي انحدروا منها وهي:

١ — العرب البائدة: وهم العرب القدامى الذين لم يكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم مثل: عاد، وثمود، وحشم، وجديس، وعصاف وسواهم، ولكن من الممكن مطابقة بعض المكتشفات الأثرية حولهم.

٢ — العرب العاربة: وهم العرب — كما قال بعضهم — الذين انحدروا من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان، واسمهم العرب (القحطانية) أو الجنوبية.

٣ — العرب المستعربة: وهم الذين من صلب (إسماعيل عليه السلام) وعرفوا بالعرب الحذافرية أو الشمالية.

ووفقاً لما جاء عند الإخباريين والنسابة كان موطن شعب قحطان بلاد
ثيمن، وقد تشعبت قبائلها ويطونها واشتهرت منها قبيلتان:

١ - حمير: وأشهر بطونها: قضاة.

٢ - كهلان: ومنها هوازن، وثمأر، وطى، ومذحج، وكندة، ولخم،
وجذلم، والأوس والخزرج.

ولما قرب المستعربة فأصل جدهم الأعلى هو سيدنا إسماعيل عليه
السلام من بلاد العراق ومن بلدة يقال لها (آر) على الشاطئ الغربي من نهر
الفرات بالقرب من الكوفة وولد لإسماعيل قيثار، وولد منه عدنان، وولد معد،
ومنه نزار التي حفظت العرب العدنانية أنسابها، وعدنان هو الجد الحادي
والعشرين من سلسلة النسب القهوي الشريف، وقد ورد أنه صلى الله عليه
وسلم كان إذا نسب فبلغ عدنان فأمسك ويقول: «كذب النسابة» فلا
يتجاوز^(١).

ولقد تعرفت بطون معد بن نزار، وقيل إنه لم يكن له ولد غيره، فكان
للزار أربعة أولاد تشعبت منهم أربعة قبائل عظيمة هي: بلاد، وبصر،
وربيعة، ومضر، وهذان الأخيران (ربوعة ومضر) هما اللذان كثرت بطولهما
والشعبت أخلاهما فمن ربوعة: أمد بن عزة، وعبد القيس، وأبناء وائل وهم
بكر وثعلب.

وتشعبت قبائل مضر في شعبتين عظيمتين هما: قيس عيلان، وإيلاس
بن مضر، فمن قيس عيلان: بنو سليم، وهوازن، ومن إيلاس بن مضر: ثميم،
وهذيل، وبنو أمد. ولما تكاثرت أولاد عدنان تفرقوا في أنحاء شتى من بلاد
العرب متتبعين مواقع الماء ومنابت الشجر.

(١) : انظر تاريخ الطبري - دار المعارف (١٩٦٠) - ج ٢، ص ١٠٩١.

فهاجرت عبد القيس ويطون من بكر بن وائل ويطون من تميم إلى البحرين فأقاموا بها، وخرجت بنو حنيفة بن معبد بن علي بن بكر إلى اليمامة، وأقامت سائر بكر بن وائل في طول الأرض من اليمامة إلى البحرين فأطراف سواد العراق، وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية مع بطون من بكر، ومن هذه البطون (البكرية) كل بنو شيخان ومنهم بنو منظم (المعلمية).

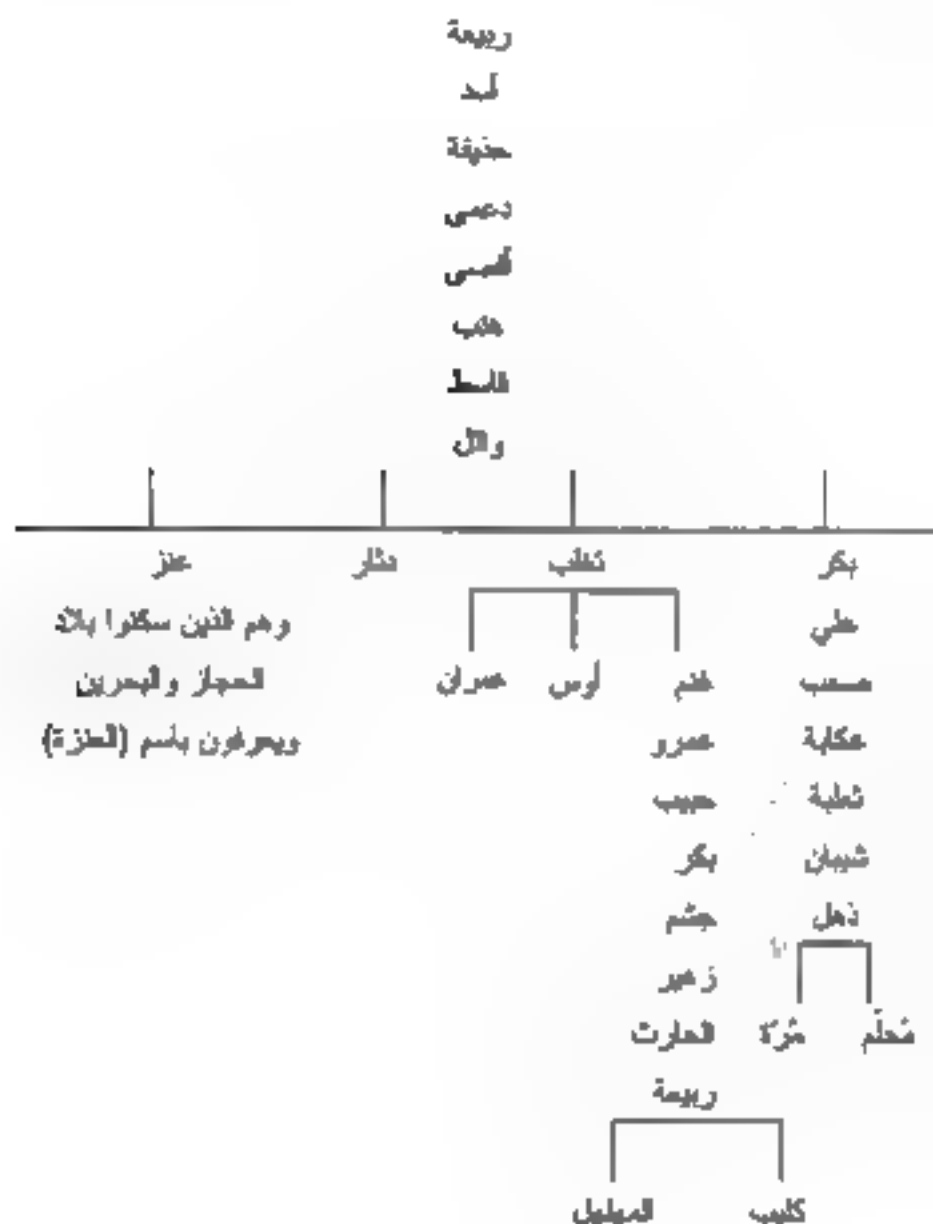
(٢)

نَسَبُ الْمُحَلَمِيَّةِ — بَنُو مُحَلَم

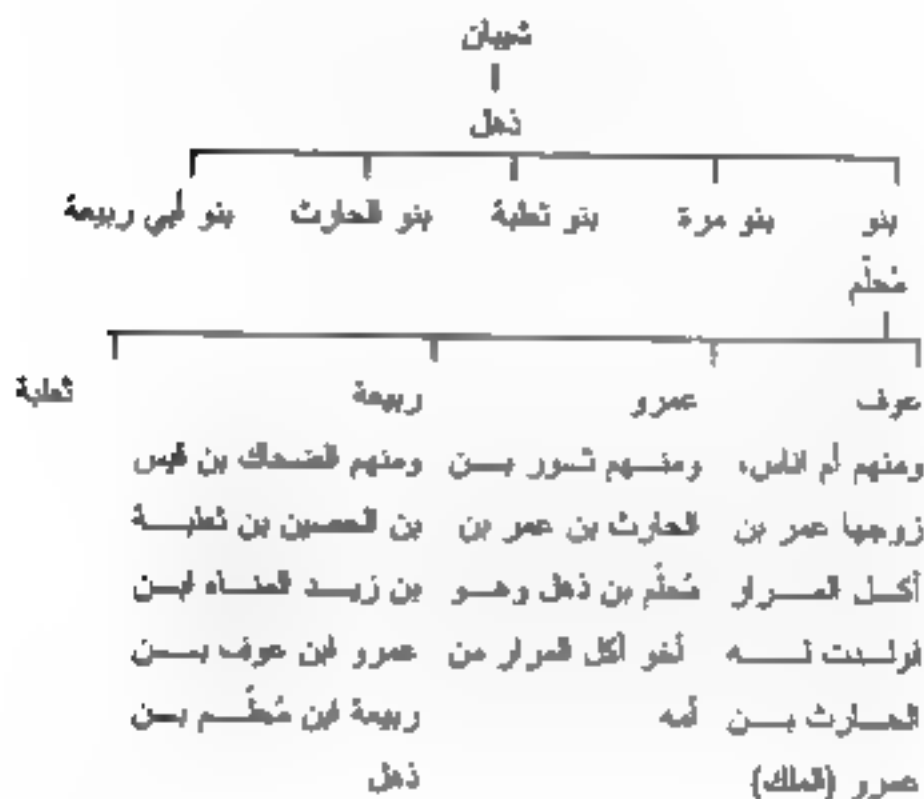
ينسب المُحَلَمِيَّة إلى (مُحَلَم) بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن هسب بن علي بن بكر بن وائل بن ربيعة، وعليه فإنَّ عشيرة المُحَلَمِيَّة أو بنو مُحَلَم ترجع في أصولها إلى بني شيبان بن بكر بن وائل بن ربيعة، وهي إحدى القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، واستقرت في تهامة، كما استقر بطن منها في مواد العراق، ومن هناك امتدت مسالكها إلى الجزيرة الفراتية والتي عرفت مناطقها هناك باسم ديار بكر.

ويوضح الجدول البياني التالي تفصيلاً يبين فيه (تفرع) بني مُطَم عن

بكر بن وائل.



ويوضح الجدول التالي تفصيلاً لتفرع بنو شيبان ومنهم بنو مُطَم



(النسب مأخوذ من جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي - ط، دار

لكتب العلمية بيروت - ١٩٩٨ - صفحة ٢٢٢).

التنسب المَحَلِّي وفق رواية ابن الكلبي المنتشر في كتاب «جمهرة الأنساب»

ذكر ابن الكلبي في «جمهرة الأنساب» نسب ربيعة وفق ما يلي:

ولد ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان: لمداء، وقبيصة، وعصراء، وأكلب.

فولد لمداء بن ربيعة: جديلة.

فولد جديلة بن لمداء: دعمية، وجديا.

فولد دعمية بن جديلة: القصي، ولثيبا.

فولد القصي بن دعمية: غنبا، ولكيزا، وعبد القيس، وجشم.

فولد غنبا بن القصي: قاسطاً.

فولد قاسطاً بن غنبا: وائلاً، ومعلوية.

فولد وائل بن قاسط: بكر، ونقاراء، ونظب، والحارث.

فولد بكر بن وائل: علياً، وشكر، وبنفاً.

فولد علي بن بكر: صعب، ودهرأ، وسهراً، وخلاذاً.

فولد صعب بن علي: عكبة، ولجيم، ومعلوية.

فولد عكبة بن صعب: ثعلبة فولد ثعلبة بن عكبة: شيبان، وذهل،
والميساء، والحارث.

فولد شيبان بن ثعلبة بن عكبة: ذهل.

فولد ذهل بن شيبان خطماً، ومزاة، ولبا ربيعة، والحارث.

وولد مُحَلَّم بن ذهل بن شيبان: عمرو، وعوفاء، وثعلبة، ولها ربيعة بن مُحَلَّم.

وولد عوف بن مُحَلَّم: لها عمرو، ومالك، ولم تأس.

وولد عمرو بن مُحَلَّم: الحارث، وسعداء، وواقلة، وعبد يغوث، وصبيحة، ولهم بنت قتان من النمر.

ومن بني عمرو بن مُحَلَّم: ثور بن الحارث بن عمرو، وهو أخو الحارث للملك بن عمرو بن أكل القمل من أمه.

ومن ولد ثور: البطين الخارجي.

ومن بني ربيعة بن مُحَلَّم: الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد مناة بن أبي عمرو بن عوف بن ربيعة بن مُحَلَّم الشيباني.

مؤلفه بنو مُحَلَّم بن ذهل.^(١)

ولقد صرف المصنف في كتابه «الأساب» المُطَمِّية والنسب إلى مُحَلَّم حيث ذكر:

المُحَلَّم الشيباني، وهو مُحَلَّم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة.. يكنى لها عمر وبطنى مسلماً.

والمُطَمِّية: بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد اللام.^(٢)

ولقد جاء في كتاب «بنو شيبان» لمؤلفه محمود عبد الله الحميدي: «كما تفرعت قبيلة بكر بن وائل إلى عدة فروع تفرعت بنو شيبان إلى فروع عدة أيضاً أبرزها بنو مُحَلَّم وبنو الحارث وبنو أبي ربيعة وبنو مرة.

(١) انظر جمهرة الأساب لابن الكلبي - ط. دمشق ١٩٦٦ - ج ٢ - صفحات (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) انظر كتاب الأساب للمصنف. صفحة ٢٤٣.

وبنو مُطَم: ينتسبون إلى مُطَم بن ذهل بن شيبان ونفر عوا إلى عدة
فروع عوف وعمرو وربيعة وأبي ربيعة وثعلبة»^(١)

ثم أضاف: «ومن رجالات هذا الفرع التي اشتهرت بالوفاء والكرم
عوف بن مُطَم الذي ضرب به المثل القائل: «لا حرُّ يولدي عوف» ومنهم
نور بن الحارث بن عمرو بن مُطَم وهو آخر الحارث لأمه»^(٢)

كما عرف الحارثي الهذلي في كتابه (عجالة المبتدي وفضيلة المنتهي
في النسب) النسبة إلى مُطَم فقال: «والْمُطَمِّي منسوب إلى مُطَم بن ذهل بن
شيبان بن عكبة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل»^(٣)

وقال أيضاً: «وبنو مُطَم ينتسبون إلى مُطَم بن ذهل بن شيبان»^(٤)
وبهذا فإننا نلاحظ في كل ما ذكرناه من نسب المُطَمِّيَّة أو بنو مُطَم ما
يلي:

١ - إن المُطَمِّي نسبة إلى مُطَم بن ذهل بن شيبان، والذي يعرف
بمُطَم الشيباني.

(١) انظر كتاب بني شيبان لمحمود إبراهيم الحبيدي - ط دار الحرية ببيروت - ١٩٨٤ -
صفحة ٣٩.

(٢) انظر كتاب بني شيبان - لمحمود إبراهيم الحبيدي - ط دار الحرية ببيروت - ١٩٨٤ -
صفحة ٣٩.

(٣) انظر كتاب عجالة المبتدي وفضيلة المنتهي في النسب - الحارثي - ط القاهرة
١٩٦٥ صفحة ١١١.

(٤) المرجع نفسه. صفحة ١١١.

٢ - إن نسبة المفرد إلى (مُطَم) هي (مُطَمِي) بضم الميم وتثنية قلام، ونسبة الجماعة إلى مُطَم هي (المُطَمِيَّة)، أو حسب ما أوردته المصادر التاريخية هي (بنو مُطَم)، أو (آل مُطَم)، وعرفوا باسم المُطَمِيَّة.

٣ - إن مُطَم ومُرة وغيرهم من أولاد ذهل بن شيبان يعرفون باسم بنو شيبان أو الشيبانيون.

٤ - يرجع الشيبانيون إلى بكر بن وائل القبيلة العربية الكبيرة.

٥ - يرجع البكريون والتظبيون إلى وائل بن ربيعة، وهم من قبائل الحذالية.

— ثانياً —

السكن والاستقرار

ولقد سكن (بنو محلم) المحلمية في ديار بكر في منطقة جبل طور عابدين حيث لا زالت قراهم وبلداتهم علمرة بهم إلى يومنا هذا. ولقد ذكر اسحاق لرملة في كتابه «القصارى في نكبات النصارى»: «أن جبال طور عابدين هو ابني شيبان بن بكر بن واقل»^(١). ولقد أوضح مؤلف كتاب «تاريخ طور عابدين» أن طور عابدين منطقة جبلية تقع ما بين القهرين في الشمال الشرقي لماردين وأن الجانب المطل على المنطقة المعروفة قديماً باسم (باجربايا) أو المنطقة العربية يعرف باسم جبل إزلا، وفيه ناحيتين منطقة بيت ريشا وبيت محلم.. كما بين: «أن الجغرافيين العرب من أمثال أبي القاسم ابن خرداذبة (سنة ٨٤٨) يقولون إن منطقة بين ريشا وبيت محلم — هي كورة في ديار ربيعة»^(٢). ويحدد مؤلف الكتاب المذكور بشكل أوضح منطقة سكن المحلمية ووجودهم حيث يقول: «المحلمية هي منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين وكانت فيها أكثر من خمسمائة قرية»^(٣).

(١) انظر كتاب «القصارى في نكبات النصارى» لاسحاق لرملة — ج ١ — صفحة بالأرست ١٩٧١ — صفحة ٦.

(٢) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» لمر اعنططوبس الأول — ط — ١٩ — صفحة ١٩٧.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ٣٥٧.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تناقضاً بين القولين حيث ينكر المؤرخ
أرملة أن جبل الطور هو لبني شيبان بينما قال اغناطيوس أنه للمطمية،
والحقيقة أنه لا تتعارض بين القولين لأن بنو مُحْتَم (المطمية) هم من بني
شيبان وهذا ما أكدناه حينما ذكرنا نسب المطمية.

ولقد ذكر الهمداني أيضاً أن جبل الطور البري هو أول حدود ديار
بكر وهو لبني شيبان ونوحياء لا يخالطهم أحد إلى ناحية خراسان إلا
الإكراد^(١).

كما ذكر حسن شمساني في كتابه مدينة مازدين: سكن الشيبانيون تلك
المنطقة مع غيرهم من القبائل العربية بقوله: «ومن القبائل العربية المشهورة
التي كانت تسكن تلك الجهات، ومن ضمنها مدينة مازدين - نذكر تلك
القبائل التي والفتا بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى، وأكتبها كتب
ومؤلفات العداث منهم ومنها قبائل نطلب.. بكر بن وائل.. شيبان
وغيرها»^(٢).

ومن الجدير بالذكر هنا أن من بين تلك العشائر التي ذكرها شمساني
أيضاً: زوبع، وطى، وبلي سبعة وغيرهم.

كما أوضح حسن شمساني في كتابه: «والجدير بالذكر أن هذه القبائل
جميعها نزلتها القبائل العربية الواقعة من تغرم اليمن إثر تصدع سد مأرب
حوالي سنة ٤٢٢م، واستوطنت بولايها منذ ذلك التاريخ، وتجمعت مع

(١) انظر كتاب سنة جزيرة العرب - للهمداني - ج ٢ - لبيون - مطبعة بريل
(١٨٨٤) صفحة ٢٧٦.

(٢) انظر كتاب مدينة مازدين - حسن شمساني - دار عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ -
صفحة ٣٤١ - ٣٤٢.

سكانها الأصليين، وتولت وإياهم تصوير تلك النواحي، وإن كلاً من قبرس
والرومان قد عمل على احتواء تلك القبائل وجرباً لسلطنته، ومن ثم قسموها
إلى إمارات وممالك جعلوا على كل منها حاكماً يدين لهم بالولاء
والطاعة^(١).

كما أورد أحمد وصفي زكريا في كتابه «عشائر الشام» ما يدل على
سكن بني شيبان في تلك المناطق حيث يقول: «ديار بكر هي بلاد واسعة
تنسب إلى بكر بن وائل بن ربيعة بن نزل بن معد بن عدنان، وهي وحدها
ما غرب دجلة من بلاد الجبل المطلق على نصيبين إلى دجلة، ومنهم حصن
كيفا وميلارقين».

وأضاف: «ديار ربيعة هي بين الموصل ورواس العين والخابور، وما
بين ذلك من المدن والقرى، وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت
كلها ربيعة، لأنهم كلهم من ربيعة، وهذا اسم لهذه البلاد قديم، كتبت للعرب
تحمله قبل الإسلام في بوابهم واسم الجزيرة يشمل الكل».

وأضاف أيضاً: «ويظهر من هذا التعريف أن القسم الغربي من الجزيرة
لواقع ما بين الخابور والفرات، وفيه إلى يومنا هذا قضاء الرقة وحين
العرب كان من ديار مصر وحاضرتها الرقة، والقسم الأوسط الواقع ما بين
دجلة والخابور وفيه قضاء القاشلي والحسكة وجبل سنجار كان من ديار
ربيعة وحاضرتها الموصل، والقسم الشمالي الذي فيه جزيرة ابن عمر
وميلارقين وما ظل في دحل حدود الترك كان من ديار بكر وحاضرتها

(١) انظر كتاب مدينة ماردين - حسن شوملي - دار علم الكتب - بيروت ١٩٨٧ -

آمد.. وفي هذه الجزيرة حدثت الواقعة ما بين قبائل ربيعة وبين عشائر بكر وتغلب وهي حرب القيسوس.. وجرت واقعة أيضاً ما بين شيبان وتغلب»^(١).
ثم أضاف: «والتشروا فيها واستقروا على نحو ما عملته قبائل بكر وربيعة ومضر وأمار وإيد وشيبن وتغلب، وكلهم من أعقاب نزل بن معد بن عدنان، فاحتل بنو بكر شمالها، ومن ذلك اسم (نيلار بكر) للبلاد وهي بلاد واسعة.. وحدها ما غرب دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيف وأمد وميقاتين»^(٢).

ولقد عرفت تلك المنطقة التي سكنها المظفمية (بنو شيبان) باسم (عربايا) أو المنطقة العربية، بقول لادي شير: «إن منطقة (عربايا) أو بيت عرباي هي لفظة أطلقها السريان على المنطقة الممتدة من بين بزردي (لرخ) قرب جزيرة بن عسر، وإلى بلاد نصيبين ومعناها موطن للعرب، أي إن سكانها كانوا عرباً»^(٣).

(١) فطر كتاب عشائر الشام لأحمد راضي زكريا - دار الفكر بدمشق ط ٢ - صفحة ٧٦ - ٧٧.

(٢) المرجع نفسه - صفحة ٧٦ - ٧٧.

(٣) فطر كتاب تاريخ كنعان ونشوره لمؤلفه لادي شير - ط ٢ - المطبعة الكاثوليكية - ١٩١٢ - ضمن توطئة ج ٢.

— خلاصة —

نستطيع أن نلخص ما جاء في هذا الفصل المتعلق بنسب المَحمَمية وموطنهم بالشكل التالي:

إن المَحمَمية هم المعروفون تاريخياً باسم (بنو مَحم)، وهم ينتسبون إلى (مَحم) بن ذهل بن شيبان وإلى القشيبانيين، أو بني شيبان من بكر. ويشترك معهم في هذا النسب إلى شيبان بنو مرة أولاد ذهل بن شيبان، وغيرهم من أولاد ذهل القشيباني.

ولقد سكن المَحمَمية في منطقة جبل طور عابدين متجاورين مع غيرهم من أبناء ذهل بن شيبان، وعُرف ذلك الجبل باسمهم من أنه لبني شيبان وتحتيداً (لبني مَحم) منهم كما جاء في كتاب «طور عابدين»، وتقسيم المؤرخ ابن خرداذبة لتلك المنطقة إلى منطقتين بيت ريشا وبيت مَحم.

وعليه فإن تسمية المَحمَمية أو بنو مَحم ترجع إلى نسبهم إلى مَحم، وليس كما كان يشاع (غلطاً) من أنهم سموا كذلك نسبة إلى كونهم (محل.. مية) من حرب بني هلال سكنت المنطقة، وإن هذا الغلط التاريخي أصبح واضحاً وإننا نعود إلى بيان أسبابه لاحقاً في كتابنا هذا.

ومن ذلك كله أيضاً نستطيع أن نحدد ووفق المعطيات التاريخية والجغرافية التي لدينا من أن منطقة سكن بنو مَحم تاريخياً هي منطقة وجودهم ذلتها. حالياً في ديار المَحمَمية في المنطقة القربية (عربايا)، والتي يطل عليها جبل طور عابدين من الجهة الجنوبية والممتدة من (أرخ) عند جزيرة ابن عمرو شرقاً إلى حدود ملردين غرباً حيث لا زالت عثرات القرى المَحمَمية والبلدات تنتشر في تلك المنطقة وهي علامة يسكنها المَحمَميون إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني

الشيبانيون.. ومكانتهم التاريخية

— أولاً —

في أطراف الجزيرة العربية.. والعراق

يضم النسابون قبيلة بكر بن وائل إلى فروع عدة أشهرها: علي، ويشكر، وبدن، وجشم، والحارث، ومطبة، ومن بطونها المهمة: بنو حنيفة، وبنو عجل، وذهل، وفيم، وبنو شيبان.

والذي يهمنا في بحثنا هذا هو بنو شيبان، حيث تعرّعت قبائل بني شيبان إلى عدة فروع ذكرها محمود إبراهيم العبيدي بقوله: «تفرعت بنو شيبان إلى فروع عدة أبرزها: بنو مطم، وبنو الحارث، وبنو أبي ربيعة، وبنو مرة»^(١). ولقد كانت مساكن الشيبانيين في ديار قبيلتهم ربيعة في نهاية، وإن كثرة هذه القبيلة (ربيعة) قد أدى إلى رحيلها.

وهناك سبب آخر لذلك، وهو حصول نزاع بين قبائلها أدى إلى التفرق بين ربيعة، حيث نزلت بعض قبائلها البحرين والجوف والعيون.^(٢)

لكن إن إقامة أغلب قبائل ربيعة، وخاصة بكر وتغلب لبني وائل بن بكر لم تدم، إذ انتهى استقرارهم بها مع بداية حرب البسوس التي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس للميلاد تقريباً.^(٣)

(١) انظر كتاب (بنو شيبان) لمحمود إبراهيم العبيدي — ط دار الحرية بغداد ١٩٨٤ — صفحة ٣٩.

(٢) انظر كتاب معجم ما استعجم للأنثري البكري — ط القاهرة ١٩٤٩ — صفحة ٨٠ — ٨١.

(٣) المصدر نفسه — صفحة ٨٢.

هذه الحرب التي استمرت لمدة طويلة والتي كان لوقائعها أثر كبير في انتقالهم إلى بلاد أخرى، ويؤكد البكري ذلك بقوله: «تقدم نزول الحروب والوقائع بتقلهم من بلد إلى بلد، وتقلهم من أرض إلى أرض»^(١).

وحيثما وضعت الحرب أوزارها انتشرت بكر بن وائل وعزة وضيعة بالبيعة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف مواد العراق ومنظرها وباحية الأبله إلى هيت وما ولاها من البلاد، ويذكر الأختس بن شهاب القنطري - وكان من رؤساء تغلب وشعراءها ذلك بقوله:

وبكر لساها العراق وإن تشا بطل نوتها من البيعة حاجب^(٢)

وكان انتقالهم من أمكنتهم القديمة إلى جنوب العراق أيضاً بسبب الكساد الذي شل حركتهم، إضافة إلى ما أصاب الجزيرة العربية من قحط وقلة أمطار مما حدا بهم إلى الانتقال إلى جنوب العراق طلباً للعيش والاستقرار. ومن أشهر منازلهم قبل الإسلام كفت ذي قار، وذكر الطبري بعضاً من هذه الأماكن حيث قال: «من مياه ومنازل بني شيبان المشهورة قرب الكوفة، كما وإله الموضع الذي تحقق به أول نصر عربي على الفرس في معركة ذي قار، ومن منازلهم حول ذي قار قرقر والجياخت وذو المعجم»^(٣).

ولقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء جبال ووديان كانت مواضع لبني شيبان، ومنها ما ذكره الهمداني: «من أن جبل الطور البري هو أول حدود

(١) انظر كتاب معجم ما استعجم للأنثسي البكري - ط القاهرة ١٩٤٩ - صفحة ٨٠.

(٢) المصدر نفسه - صفحة ٨٦.

(٣) انظر كتاب بتاريخ الرسل والملوكة الطبري ط القاهرة ١٩٦٧ - ج ٢ صفحة

٣٤٩.

ديار بكر، وهو ابني شيبان وخويها، ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا
الأكراد.^(١)

ومن جبلهم أيضاً جبل الأمرار ومن ديارهم وادي الأثافي، وكانت
ديارهم بالعيرة بالقرب من جبل الأمرار.

ولقد ائترن تاريخ بني شيبان بتاريخ قبيلة بكر بن وائل، وخلصه بعد أن
أصبحت رئاسة بكر بن وائل بقيادتهم^(٢)

ويبدو أن زعامة شيبان لبكر قد بدأت مع بداية زعامة كليب بن ربيعة
التغلبى لقبيلتي بكر وتغلب، وذلك بحدود العقد العاشر من القرن الخامس
الميلادي وفق ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية:

«وبعد أن أصبحت نهضة بكر أكثر استقراراً بعد نشوب الحرب بين
الفيلتين، ويبدو أن بني شيبان سكنت بداية نهضة كهلان من بطون القبيلة الأم
بكر وكانوا هم وبني جشم من تغلب في منزل ولعد»^(٣)

ولقد احتلت قبيلة بني شيبان مكانة متميزة بين قبائل العرب في وسط
الجزيرة العربية عامة وربيعة خاصة، وقد أشار الرواة لهذه المكانة حيث
ذكر أبو عبيدة: «إذا كنت من ربيعة فافخر بشيبان، وققل بشيبان، وكان
بشيبان»^(٤)

(١) انظر كتاب مصمم ما استجمعت لالتغلبى البكري - ط القاهرة ١٩١٩ صفحة ١٩٣.

(٢) انظر كتاب «التاريخ» لليخوي - طبعة لندن ١٨٨٣م - ج ١ صفحة ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) انظر كتاب شرح ديوان امرئ القيس - ط مطبعة الاستقامة القاهرة - صفحة ٢٤٦.

(٤) انظر كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة ط القاهرة ١٩٦٢ - ج ١ صفحة ٢٩٣.

وروي عن ابن الكلبي قول أبيه: «أحد من ربيعة، والبيت والفرسان من شيبان»^(١).

ونكر ابن الأثير من قيامهم يوم خزاز فقال: «إن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسرى من مضر وربيعة وقضاعة، ثم وفد عليه من وجوه ربيعة منهم سدوس بن شيبان بن ذهل وعوف بن مُحْطَم بن ذهل الشيباني»^(٢). ثم ذكر ابن الأثير أيضاً: «إن ربيعة بن زياد الكلبي غزا في جيش من قومه، فلقى جيشاً لبني شيبان علمتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان، وأسرُوا أناساً كثيرين، وأخذوا ما كان معهم، وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد الله بن قيس المُحْطَمي فقال شاعرهم:

سائل ربيعة حيث حل بجيشه مع أبي كلباً حيث لبث فولسه^(٣)

ولقد ذكر اسم (مُحْطَم) متقباً بالشيباني في كتاب «الأعالي» للأصفهاني حيث نكر قصة واحد من أولاد مُحْطَم وهو عوف جاء فيها: «وكان بنو نعيم ثلاث بن ثعلبة وهم من بكر نُزَرة ونقول إنها باعته إلى عوف بن مُحْطَم الشيباني وعوف هذا هو الذي ضرب به لعل بعدها: (لا خُرْ بولدي عوف)». ولقد جاء في كتاب «سبائك الذهب في معرفة نسب العرب» معرفاً لبني شيبان ما نصه: «هذا بطن كثير الشعوب، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي نجلة في جهات الموصل. وكان سيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل الشيباني».

(١) انظر كتاب «ملوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للأدبي طبعة القاهرة ١٩٢٤ - ج ٢ صفحة ١٨٩.

(٢) انظر «الكامل» لابن الأثير - طبعة دار بيروت ١٩٦٦ - ج ١ صفحة ٥٢٠.

(٣) انظر «الكامل» لابن الأثير - طبعة دار بيروت ١٩٦٦ - ج ١ صفحة ٦٠٨.

— ثانياً —

الشيبيانيون.. ومباشرة فتوح العراق

(١)

كانت بلاد العرب أقرب تلك القوى إلى بلاد فارس، فقد قامت القبائل العربية والموجودة في أطراف العراق ومنها الشيبيانيون بشن الغارات على الفرس، واستمروا كذلك دون أي مقاومة منهم، وبقيت القبائل العربية في تلك المنطقة على حالها إلى زمن سابور ملك الفرس حيث زحف على هذه القبائل وغزاها، وبعد مصالحة سابور للعرب فرق القبائل العربية فأسكن قبائل تغلب وبكر كرمان وموج والأهوز^(١).

ولقد كانت هناك عمليات عربية ثأرية هزت الفرس على قرعهم من تغلatham الحيرة كسد لتأمين حدودهم الغربية ضد هجمات القبائل العربية على العراق، فكانت نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي بداية ظهور أول ردة فعل عربية منظمة نزعتهم بكر وشيبان ضد الفرس حتى تم تحرير الحيرة، وهكذا فإن هذه الأحداث بالإضافة إلى مقتل النعمان بن المنذر على يد كسرى ملك الفرس كانت السبب المباشر لمعركة ذي قار، وقد ذكر الأصمعي ذلك فقال: «وخذ قتل كسرى للنعمان.. مسياً مبشراً لقبام هذه الحرب»^(٢).

(١) انظر كتاب «تاريخ فرس» والملك — الطبري ط٢ القاهرة ١٩٦٧ — ج ٢ صفحة ٢١.

(٢) انظر كتاب «نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب» الأصمعي — مخطوطة بغداد.

١٨٣٠ — ورقة ٢٤٧.

كما اتخذت بنو شيبان وبعض بطون بكر من عجل ويشكر موقفاً موحداً ضد الفرس بعد اغتيال النعمان، فغضب بنو شيبان لاغتياله، وأخذت تشن غاراتها على أطراف مملكة الفرس، حتى أصبحت الحرب بين الطرفين أمراً واقعاً لا محالة، ولقد أرسلت بنو شيبان قبائل العرب وخاصة قبائل بكر للتصدي لهجوم فرس المرتقب «فرسلت بكر بينها»^(١).

وكان مكان التحدث العربي ذي قار حوتولدت - أي القبائل - بذي قار»^(٢) وتولدت لناس من عبد القيس وحليفة وغيرهم من بكر من اليمامة والبحرين تلبية لنداء الولجب للوقوف إلى جانب بني شيبان ضد الفرس^(٣).

وبشركت قبائل بكر من بني عجل ويشكر ومعظمهم بطونها وحلفاؤهم في هذه الحرب^(٤) وبعد معارك ومنازلات عدة استطاع العرب أن يحققوا انتصارهم على الفرس، ويصف لنا الأصمعي حالة كسرى من جراء شدة وقع انتصار العرب على الفرس بقوله: «واحتفظ من ذلك غضباً شديداً، وولعت الزلزلة والعيول في المدن والنوح والبكاء، فندب كسرى الجنود وفرق فيهم سلاح المعاندة العرب لبكر بن وائل»^(٥)، وكانت معركة ذي قار

(١) انظر كتاب العقد الفريد - لابن عبد ربه - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٥ - ج ٥ صفحة ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه - صفحة ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) انظر كتاب «فتبه والامراف» للمسعودي صفحة ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٤) انظر كتاب «العقد الفريد» - لابن عبد ربه - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٥ - ج ٥ صفحة ٢٦٥.

(٥) انظر كتاب «هياة العرب في أخبار الفرس والعرب» للأصمعي - مخطوطة بغداد ١٨٢٠ ورقة، ٢٥٢.

فاتحة خير ومقدمة لصلوات التحرير العربية الإسلامية، ولا عجب أن يروي عن الرسول ﷺ أنه قال: «هذا أول يوم قضى الله فيه جنود الفرس بفوارس من ذهل بن شيبان» قال هيثم بن بشير بلقي أن أنبسي ﷺ قال: «وبسي نصرناه»^(١).

وروي أن بني شيبان، اتخذوا شعارهم باسم رسول الله ﷺ: يا محمد يا محمد.. يا منصور.. وذلك قبل إسلامهم. وهذا تأكيد قوله ﷺ: «وبسي نصرناه».

ولقد ذكر ابن عبد ربه في «المعتمد الفريد» وهو يتحدث عن يوم ذي قار فقال: «قال أبو عبيدة: مثل أبو عمرو بن العلاء، وتكافر إليه عجلي وبشكري، فزعم العجلي أنه لم يشهد يوم ذي قار غير شيباني وعجلي، وقال البشكري: بل شهدتها قبائل بكر وحلفائهم.

فقال أبو عمرو: قد فصل بينكم فتظلي حيث يقول:

لما سمعت دعاء مرة قد علا و التي ربعة فسي العجاج الأقم
ومحلم يمشون تحت لواءهم وللموت تحت أديم آل محلم
لا يعرضون عن الوعى في كل سابقة كلون المظالم^(٢)

حيث أشار الشاعر في هذه القصيدة إلى دخول جحافل قبائل ربعة إلى ساحة المعركة عند ذي قار، فوصف مجيئهم الذي لثار عجاجاً سوداً لكثرتهم وعددهم، ووصف (آل محلم) وهم يمشون تحت لواء وفيلة جويش ربعة ومعهم بنو مرة مبرأ عن مدى إعجابه بقوتهم.

(١) انظر كتاب «المعتمد» لابن خنبل — طبعة نقرة ١٩٦٣ — ج ١ صفحة ٣٠.

(٢) انظر كتاب «المعتمد الفريد» — لابن عبد ربه — ط ٢ القاهرة ١٩٦٥ — ج ٢ صفحة

وذكر ابن الأثير في كتابه «الكامل»: «ولكن الحرب كانت تنور على
 بني شيبان ورؤوس الحرب فيهم هتفيء، وقد لكثر الثعراء في متحهم، منهم
 بكير أحم بن الحارث حيث قال:
 إن كنت ساقية الدمامة أهلها^(١) فلنقى على كرم بني همام
 وأربعة كلها ومُطَمَّأً^(٢) مهباً بخليفة لمجد الأيسلم^(٣)
 وبني همام: هم أبناء همام بن مرة بن ذهل بن شيبان،
 ومُطَمَّأ: هم بنو مُطَم بن ذهل الشيباني

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير — طبعة بيروت ١٩٦٦ — م ٢ — صفحة ٢٩٣.

(٢)

دور بني شيبان .. في حروب التحرير

من المعلوم تاريخياً أن القوة العربية الضاربة في ربوع العراق، التي عاينت حالة صراع دائم مع الفرس هي قوة بني شيبان بشكل خاص وبضمون بكر الأخرى بشكل عام، وحلفاتهم وعلى وجه التحديد منذ انتمائها في ذي القار.

ولاستمر الحال كذلك إلى قديم الميثى بن حارثة الشيباني إلى الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حينما أراد منه أن يجيزه بقتل الفرس فأجازه.

يقول كلوب: «لم يكن العراق وخاصة أطرافه المتاخمة للجزيرة العربية بغربية عن بني شيبان، إذ كانوا يتأخمون العراق، وكثيراً ما شنوا الغارات على أطرافه، كما وإن معركة ذي قار وقعت عملياتها العسكرية في صحراء العراق بقيادة بني شيبان الذين كانوا في نزاع دائم مع الفرس»^(١).

ولم يكتفِ الميثى بما قام به بنو شيبان من غارات على الفرس في تلك الناحية، بل دعا البكرين إلى ذلك فقد روي أنه دعا ابن عم له يقال له سويد ابن قطبة السدوسي، انضم إليه جيشاً ووجهه لقتل الفرس من ناحية الأبله وما يليهم من الفرس^(٢).

(١) انظر كتاب «التفوحات العربية الكبرى» جون كلوب - ط ١ بغداد - مكتبة الميثى ١٩٩٣ - صفحة ١٩٩.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الرسل والملوكة» للطبري ط ٢ القاهرة ١٩٦٧ - ج ٢ صفحة ٢٩٣.

واستمر قتال بني شيبان من جهة الحيرة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني بمعارنة قطبة السدوسي دون هزيمة، مما أثر ذلك تأثيراً كبيراً على معنويات الفرس وزرع الرعب في قلوبهم فحشدوا لهم أعداداً عظيمة من جيوشهم، وهو الأمر الذي دفع المثنى بن حارثة الشيباني إلى إرسال أخيه مسعود ابن حارثة إلى دار الخلافة بالمدينة طالباً المدد منها لمواجهة قوة الفرس فأمدّه أبو بكر (رض) بخالد بن الوليد^(١).

ولقد صدرت الأوامر إلى خالد بن الوليد بالتقدم نحو العراق. وبعد أن اكتملت تعبئة الجيش العربي الإسلامي الذي وزعه خالد إلى أربع فرق، تقدمه فرقة بني شيبان بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني التي وصلت منها قبل الفرق الأخرى ببومين^(٢).

وبعد تكامل الحشود العربية بوصول الفرق الأربعة أرسل خالد إلى القائد الفارسي هرمز أن يختار واحدة من ثلاث بعد أن كتب له كتاباً قال فيه: «اسلم نفسك، أو أعتد لنفسك وغرمك الفضة وأقرر الجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»^(٣).

إلا أن الفرس استعدوا لدخول المعركة والفضين طلب خالد بن الوليد، وقد التقى الجيشان العربي والإسلامي والفرسي في معارك عدة منها معركة المذار في صفر ١٢هـ الموافق ١٧ نيسان ٦٢٢م، ومعركة الرلجة في ٢٢ صفر ١٢هـ، الموافق ٣ أيار ٦٢٢م وغيرها من المعارك.

(١) انظر كتاب «الاصابة في تمييز الصحابة» للصفارني - ط ١ مصر ١٢٢٨هـ - ج ٢ صفحة ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٢) انظر «تاريخ الرسل والملوكة» للطبري - ط ٢ القاهرة ١٩٦٧ ج ٢ صفحة ٢٤٨.

(٣) انظر كتاب «الأموال» لابن سلام - القاهرة - ١٩٧٥ - صفحة ٤٢.

وبعد مطاردة خالد والتمشي على مدن كثيرة صدرت الأوامر لخالد بن الوليد من الخليفة أبو بكر (رض) بالتوجه إلى الشام لدعم وتعزيز القوات العربية الإسلامية المعقلة ضد الفيزنطيين^(١).

وأمره الخليفة أبو بكر بأن يأخذ نصف القوة التي معه في العراق، ويبقى للنصف الآخر على أن يتركه عند التمشي مثله^(٢)، ثم ودع التمشي بن حارثة الشيباني القائد خالد بن الوليد في قراره ثم رجع التمشي إلى الحيرة^(٣). ولقد أصبحت مهمة التمشي بعد رحيل خالد صعبة إذ أصبح عليه واجب مضاعف، إذ عليه أولاً، أن يحتفظ على الأرض المحررة، في خطته الجديدة، وثانياً: الاستمرار في إنجاز خطة التحرير في ظل المبادئ التي أرساها الدين الجديد.

ولقد خاض التمشي عدة معارك منها معركة بابل في أواخر ربيع الأول عام ١٢هـ - أواخر أيار ٦٣٤م^(٤).

وحقق هناك انتصاراً كبيراً في هذه المعركة حيث لاحت جيوش المسلمين لأول الفرس حتى أوصلوهم إلى المدائن ثم عادوا^(٥)، ولقد بدأ زحف التمشي نحو أرض الموصل.. وأخذ يحرر القرى والبلدات دون مقاومة، وترك

(١) انظر تاريخ الرسل والملوكة - تلمبزي - ط ٣ القاهرة ١٩٦٧ - جزء ٣ صفحة ٤١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١١.

(٣) المصدر نفسه ص ٤١١.

(٤) المصدر نفسه ص ٤١٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٤١٢.

للفرس ملوراء حجلة للعرب، ثم اتجه المثنى بن حارثة نحو الأنبار وميسان..
ثم إلى تكريت.. إلا أنه توفي قبل قدوم سعد ابن أبي وقاص القاسمية وذلك
سنة ١٤ هجرية^(١).

ولكن لم ينته دور بني شيبان في عمليات تحرير العراق بعد وفاة
المثنى، بل انضمت ككتيبة التي قدامها لغزو قمم بن حارثة القشيبتي إلى
الجيش العربي القادم من الحجاز، وساهمت في عمليات التحرير ونشر
الرسالة^(٢).

وحينما انضمت القوات العربية في العراق مع الحشود الكبيرة القادمة
من الحجاز عند بدء معركة القاسمية كان بنو شيبان جزءاً من القوات العربية
المشاركة في عمليات التحرير، والتي استمرت حتى تحرير العراق كله
والجزيرة وغيرها.

(١) انظر كتاب الفتح لبلدان - لابن الأثير - طبعة بيروت - نشر نفس الطباعة ١٩٧٨
- صفحة ٢٥١.

(٢) انظر كتاب تاريخ «الرسول والملوك» للطبري - ط ٢ القاهرة ١٩٦٧ - جزء ٣ -
صفحة ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٣)

إتساح شبهان نحو الجزيرة واستقرارهم فيها

وبعد انتهاء عمليات تحرير العراق والجزيرة ازداد الوجود الشيعاني في تلك المناطق وخاصة المنطقة الممتدة من جنوب العراق، حتى مناطق ديار بكر، يقول محمود إبراهيم العبيدي موضحاً: «حينما نتحدث عن منازل بني شبهان بعد الإسلام لا يعني هذا أن بني شبهان وعمرها من القبائل العربية غيرت منازلها والتي كانت عليها عند ظهور الإسلام فجاء إلى أخرى، بل إن القبائل القبائل حدث بشكل تدريجي، وبهجرة أدنى إلى عمليات التنقل وانتقلت عمليات التحرير التي كانت تقوم بها الجيوش العربية الإسلامية خارج الجزيرة العربية وما تبعها من تمصير الأمصار»^(١).

ثم أضاف: «إنه وبعد تحرير العراق وتمصير الكوفة والبصرة يبدو أن هناك المدينتين أصبحتا من المراكز الرئيسية لسكن بني شبهان وبكر، وخاصة بعد أن غلبت طوبى روح قنم، وبدلنا على ذلك ما ذكره الهمداني من التفرار بكر البصرة على بكر الكوفة»^(٢).

(١) انظر كتاب «بنو شبهان» لـ محمود عبد الله العبيدي - طبع المكتبة الوطنية بغداد ١٩٨٤ - صفحة ٢١.

(٢) المرجع نفسه صفحة ٣٥.

ووصل العبيدي إلى نتيجة عامة وصحيحة حيث قال: «ويكاد يكون تاريخ شيبان بشكل خالص وبكر بشكل عام في نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول وما تلاه متصلاً بتاريخ الجزيرة الفراتية وخاصة ديار بكر»^(١).

ولقد ذكر البكري عدة مواضع لبني شيبان، ومن هذه المواضع حول ذي قار، والكوفة، قرقر والجبليات، وذو المعجم، وديار بكر، وخاصة طور عابدين فقال: «إن جبل الطور البكري هو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذوئها، ولا يخالفهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد»^(٢).

كما تحدث المسعودي بشكل مفصل عن بعض مساكن بني شيبان في صدر الإسلام فقال: «أما عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، فمنهم تميم الله، وقيس بن ثعلبة بن عكابة، وشيبان بن ذهل بن ثعلبة بطون ثلاث عظمى، ولوسمها وكثرها شعوباً بنو شيبان، وكانت لهم كثرة في صدر الإسلام شرقي دجلة في جهات الموصل»^(٣).

ثم أضاف: «وكان بنو الشيخ بن مرة.. كانت لهم رئاسة بأمد»^(٤).

(١) انظر كتاب جنو شيبان - لـ محمود عبد الله العبيدي - طبع المكتبة الوطنية بفسداد ١٩٨٤ - صفحة ٣٥.

(٢) انظر كتاب صعب ما لضعجم - للبكري - طباعة القاهرة ١٩٤٩، ج ١ صفحة ١٩٣.

(٣) انظر كتاب صروج الذهب ومغان تجوهر - للمسعودي - ط ١ القاهرة ١٩٦٥ - ج ١ صفحة ٣٠٤.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٣٠٢.

• أما بنو مُحْتَم فكان لهم طور عايدون وما جاوره وفق ما أكتنه
المصادر التاريخية والتي ذكرناها في حيقه.

وعلى ضوء هذه المعطيات التاريخية نستطيع القول بأن الوجود
الشيباني في منطقة ديار بكر كان ظاهراً وفاقلاً في تلك الحقبة حيث بدأ
استقرار هذه العشيرة والتي قطنت من تلك المنطق فيما بعد مناطق مسكن
دائمة لها حيث تحولت إلى عشائر مستقرة ساهمت في بناء تلك المناطق
وإعمارها.

كما أكد ذلك النبوّه جي في كتابه «تاريخ الموصل» بقوله: «بنو شيبان
بطن من بطون بكر القبيلة التي انتشرت إلى ديار بكر التي عرفت بسها،
وسكن بنو شيبان الجزيرة والموصل وكانت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات
الموصل في صدر الإسلام»^(١)

(١) انظر كتاب «تاريخ الموصل» لمحمد النبوّه طبعه بغداد ١٩٦٩ - صفحة ١٩.

(٤)

الشيبانيون في الجزيرة الفراتية

من المعلوم أن منطقة الجزيرة الفراتية كان يسكنها عدد من القبائل والعشائر العربية قيس، وتميم، ونمير، وبنو عامر، وغنم، وتغلب، وبكر، وشيبان وغيرها، وكانت هذه القبائل تتوزع مناطقها الثلاث ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مصر.

ولقد كان المحيط القبلي والعشائري سائداً في تلك المناطق وكانت العلاقات ما بين القبائل والعشائر العربية علاقات مد وجذر، فكثر الحروب والصراعات في المنطقة، وخاصة تلك الحروب التي وقعت مساهين القبائل الكبيرة كحرب قيس وتغلب أو بين بكر وتغلب وغير تلك من الحروب.

ولقد وقف الشيبانيون دوماً مع أبناء قبيلتهم الأم بكر والتي نسلوا زعامتها مرات عديدة، كما أنهم ناصرُوا أبناء عمومتهم التغلبيين عدة مرات وكان من أهم أيامهم يوم الثرثار ويوم الضحك، ويوم كلاب وغيره من الأيام.

ولقد كان من أهم تلك المواجهات الواقعة لثرثار والتي حدثت مساهين قيس وحلفائها وبكر وتغلب ومن الأسماء، ولقد تصالحت قيس وتغلب وجمعت تغلب جميع بطونها وكان من حضر ذلك اليوم من وجوه بكر بن وائل (المجشر بن الحلوث بن عامر بن مرة بن عبد الله بن منجم بن ذهل بن شيبان) وكان المجشر من ساداتهم بالجزيرة، فقاتلهم في جمع كثير، وقتل خصمهم في هذه الحرب عير بن الحباب في ذلك؛

لما أخوتنا من نعيم هديكما ومن أمد هل تسمعن المناديا
 كم تعلمنا إذا جاء بكر بن وائل . وتطلب الفقأ نهز المواليا
 وبعد منازلات عدة في ذلك اليوم قل فيها عصر من قيس ونسي نلسك
 يقول نعيم أخاه:

فإن تعجز بقاء بكر بن وائل من عننا فاندهر ذو متغير
 صوف نخوض قماء لو صوف نقصن من أهداء عم المعشر^(١)
 وفي هذه الموقعة يقول الأخطل:
 كفرت البليغ من عيلان فالوجها فالمحليات فالخابور فالشعبا^(٢)

والشاعر الأخطل كما هو معلوم ابن الجزيرة الفرقة ومن بني تغلب
 عاصر تلك الحقبة ولقد أعطت لشعره صورة دقيقة عن العلاقات القبلية في
 تلك الحقبة وكان شاهد عصر بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى فقد عبر عن
 العلاقة التي كانت قائمة بين قبيلة تغلب وقبيلة بكر وخاصة شيبان:
 بقوله:

ألا أبلغ بني شيبان علي لما بيني وبينكم تحول^(٣)
 وقال
 لما لبني شيبان عدي ظلامه^(٤) ولا بدم تسمى علي الحناقم^(٥)

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير - طبعة دار بيروت - علم ١٩٦٦ - ج ٢ - صفحة ١٣١.

(٢) انظر الأخطل - النوف - صفحة ٨٢.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٣٧٢.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٣٨٥.

كما تحدث عن حرب وقعت بين أبناء شيبان أنفسهم بنو مُحَلَم وبنو مرة فقال:

لقي كل عام لا يزال لعلهم على الفوز نهب أروث مزهم
لعمري ما أدري إني لست لعمري لم أعلم مرة لظلم
لما للسمين لا يقوم خطيبها وما لأبن الجدين لا يتكلم^(١)
وفي الشرح: ابن عمر هو (من بني مُحَلَم بن ذهل بن شيبان) والسمين هو (من بني لست بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان).
وقال ملحقاً بني شيبان وخاصة (بنو مُحَلَم) لهم:
يا عامر بن عمير أنت مدرغنا بالثل يوم ثلاث لوجه العرب^(٢)

وفي الشرح: المدرغ: هو السيد المدفع عن قومه.
وعامر بن عمير: هو من بني مُحَلَم بن ذهل بن شيبان.
كما ذكر ابن حوقل القسبي في بعض الأمكنة في مناطق الجزيرة الفراتية فيها سكن للشيبانيين.

فذكر جزيرة ابن عمر بقوله: «جزيرة ابن عمر مدينة صغيرة لها أشجار وثمار ومياه ومرقق وعصن وعليها مور.. وهي أيضاً على شفا جرف من الخوف والرجاء وبها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين، وريح مضطرب لو لم يجر فيها حكم القسطنطين والخوارج»^(٣).

(١) المرجع نفسه صفحة ٧٢٦.

(٢) انظر الأخطل، القويون — صفحة ٧٥٩.

(٣) انظر كتاب صورة الأرض — لابن حوقل القسبي — طبع دار مكتبة القومية في بيروت (دون تاريخ) صفحة ٢٠٦.

(٥)

إسهام بني شيبان في حركات الخوارج بالجزيرة

لقد أدى وجود الخوارج كقوة سياسية وعسكرية ذات فعالية في إقليم الجزيرة الفراتية إلى حروب كثيرة بينهم وبين السلطة المركزية الأموية ثم العباسية فيما بعد.

ولقد كان لبني شيبان دور بارز في ثورات الخوارج شاركت إليه عدة مصادر تاريخية.

ومن ذلك ما ذكره الصليح في كتابه «تاريخ الموصل» بقوله: «كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى، وثوراتهم وغاراتهم على مناطق واسعة من أرض الجزيرة أثره السيء على تلك الجهات»^(١).

وكان أحد أبرز القادة الخوارج من بني شيبان هو الخارجي الضحالك بن قيس (المُحملي شيباني) والذي خلف الخارجي سعيد بن بهدل الشيباني ولقد ذكر حمدن شمسان في ثورة سعيد بقوله: «بحرود سنة ست وعشرين ومائة هجرية/ ثلاث وأربعين وسبع مئة ميلادية، وخلال تشغل الخليفة الأموي مروان بن محمد بمشكل الشام تمكن الحروري (الخارجي) سعيد بن بهدل

(١) انظر كتاب تاريخ الموصل لاسماعيل الصليح - ج ٢ - ط بيروت - ١٩٦٨ - صفحة

الشيباني من أن يحد جيشاً من أهل الجزيرة ويحل على إعدائه وكربيه في المنطقة الواقعة ما بين كفرنوتا وماردين، وبعد تكثّر جمعه سار باتجاه العراق لأخذه من الأمويين، لكنه مات في الطريق، فباع القوم خليفته الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي، وبعد أن استولى الضحّاك على الموصل وكورها بعد سنتين من خروجه سنة ١٢٨ هجرية، وبعد أن تضخم عدد أفراد جيشه.. قسد مدينة نصيبين وضرب الحصار عليها ومن هناك وجه خمسة آلاف رجل إلى الرقة.. ومارها إلى مناطق أخرى بديار ربيعة مع الإثارة، أن كفر توتا وماردين كثفتا قاعدتين لتجمعه»^(١).

وذكر خليفة بن خياط في تاريخه قصة لفتار الضحّاك خليفة لسعد بن بهدل بقوله: «حدثني إسماعيل بن إبراهيم أن سعد بن بهدل لما حضرته الوفاة بشهر زور، اجتمع إليه قواده فدعاهم أن يستخلف عليهم رجلاً منهم فاجعلوا ذلك إليه فقال لنا: اختاروا منكم عشرة فأخرج منهم عشرة ثم صيرهم إلى أربعة، ثم قال للأربعة: اختاروا، فاختاروا الضحّاك بن قيس النخعي وشبيب بن عبد العزيز البكري، فقال لهما سعد: اختاروا للمسلمين ولأنفسكما، فقال شيبان: فإني أختار لنفسي وللعمامة الضحّاك، وقال الضحّاك: أختار لنفسي وللعمامة شيبان، فلم ي شيبان إلا الضحّاك رضي بذلك لهما فاجعوا الضحّاك»^(٢).

(١) انظر مدينة ماردين - حسن موسوي - ط - دار الكتب بيروت ١٩٨٧ - صفحة ٦٤.

(٢) انظر خليفة بن خياط - تاريخه - ط دمشق - وزارة الثقافة ١٩٦٨، ج ٢ - صفحة ٥٦٨.

ولقد جاء في تاريخ الطبري أن المعتز بالله خرج في الحملة التي قاده لإصلاح أمر الجزيرة لتتخلص من المشايخ واستطاع بحصلته تلك أن يعيد بني بكر الشيباني إلى الطاعة^(١).

كما ذكر حسن شمساني بإسهاب ما فعله بنو شيبان في تلك المنطقة بقوله: «الواقع أن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للمسلمين حيناً والانتفاضة عليهم أحياناً، وذلك حسبما كانت تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة، فتراهم يستأثرون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن يزيد الشيباني في إخماد ثورة الوليد بن طريف الخارجي، وينضمون إلى الثائرين عليه من جهة أخرى كما فعلوا عندما أهدى الخارجي هارون الشاري وحاربوا إلى جانبه»^(٢).

وأضاف يقول: «ولقد استمر الوليد بن طريف الخارجي في طغيانه في بلاد الجزيرة، ورأس العين، وبا عرابيا وغيرها، إلى أن سلط عليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فقتله.... كما قام الشيبانيون في أيام الخليفة الواثق بالله بن المعتصم بثورات منها ثورة محمد بن عمرو الشيباني الذي اتخذ من ديار ربيعة كلها مسرحاً لعملياته الحربية ضد العباسيين.. فقبض عليه الخليفة وسجنه في نصيبين»^(٣).

(١) انظر «تاريخ قرسل وقملوك» - الطبري - ط مصر - دار المعارف - ١٩٦٣ - ج ٢ - صفحة ١٠.

(٢) انظر كتاب «مدينة ماردين» - حسن شمساني - ط دار الكتب ببيروت ١٩٨٧ - صفحة ٨١.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٨١.

— خلاصة —

من خلال ما بيناه في الفصل المتقدم فإننا نستدل على أن الوجود
الشبثاني في المنطقة لم يكن مقتصرأ على منطقة طور عبيدين، بل كان ممكناً
إلى آمد وديار بكر كلها، وإلى نواحي الموصل والكوفة كما إن هذا الوجود
لم يكن هامشياً بل كان فاعلاً، وكان له أثره وبصمته الواضحة على تلك
المساحة، وخاصة حينما قلا حركة الخوارج عدة مرفق، ولقد استمر هذا
للوجود الفاعل قرون عدة منذ القرن الثالث الميلادي ومروراً بالفتوحات
الإسلامية، بل حتى المصريين الأموي والعباسي وما بعدهما حيث بدأ يخفت
شيئاً فشيئاً لأسباب عدة سنعمد إلى تفصيلها في فصول لاحقة.

ولختتم هذا الفصل بقول العبيدي في كتابه «بنو شيبان»: «إن بني شيبان
كانت لهم مكانتهم بين القبائل العربية لربعية والمضاربة حتى قيل عن بني
شيبان: جاء الإسلام وليس في العرب أعز ديراً ولا أضع جلاً ولا أكثر حليفاً
من بني شيبان»^(١)

(١) انظر كتاب «بنو شيبان» — محمود إبراهيم العبيدي. ط دار الحرية بغداد ٨٤ صفحة

الفصل الثالث

(بنو مُحَنَّم.. بين الأمس واليوم)

— أولاً —

لمحة تاريخية عن أسباب تراجع للثبتيين

لقد عرفنا أن قبائل بكر وتغلب بنى وإل هم أول من سكن منطقة الجزيرة الفراتية من القبائل العربية، وذلك منذ القرون الأولى للميلاد، وأن هذه المنطقة قد سميت باسم هذه القبائل، ولقد كانت الجزيرة قبل الإسلام طائفة منها تابعة للروم وقسماً منها تحت النفوذ الفارسي، وبشكل عام فإن نهار ربيعة التي تمتد من تكريت والموصل إلى منجار والخابور وبعضاً من مناطق جزيرة ابن عمر إلى حدود نصيبين وغيرها كانت تحت النفوذ الفارسي، أما ديار بكر ورأس العين وأمد وغيرها فكانت تحت النفوذ البيزنطي.

وحينما وقعت هذه القبائل العربية ونزلت في تلك المناطق فإنها قد تعاشرت مع سكانها العرب الأصليين، وتولت إليهم نصير تلك القواحي، ولقد عمل سلطان الفرس والروم على احتواء تلك القبائل بغية ضمها للتحالف معها، ولقد جعلوا على كل منها حاكماً أو أميراً تابعاً لهم سواء للحاكم الفارسي المقيم في نصيبين، أو للبيزنطي المقيم في عردين.

وفي تلك الأثناء كانت هذه القبائل العربية في حالة نزاع وقتل مستمر فيما بينها، وذلك لأجل الحصول على المراعي والأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، مما تسبب في حدوث صراعات وخلافات كثيرة، نتج عنها عدة حروب ذكرنا بعضاً منها، وخاصة تلك التي وقعت معين تغلب ومن والها

من بكر، وبين قيس ومن والاها من العرب، ولقد كانت بين هاتين القبيلتين عدة أيام، مثل يوم الثرثار، ويوم ماكسين، ويوم الحشك، وغيرها من الأيام. وكان من تلك الحروب ما كان يقع بين أبناء القبيلة الواحدة كحرب الهيموس بين بكر و تظب، والتي استمرت عدولتها إلى عدة قرون، وإلى غير ذلك من حروب تلك القبائل ونزاعاتها المستمرة.

وظل الأمر على ما هو عليه حتى جاء الفتح الإسلامي لتلك المناطق وتطوى الجميع بعد حقبة من الزمن تحت رايته، حيث فتح المسلمون أكثر تلك المناطق صلحاً نظراً للوجود العربي فيها، فقد أثرت القبائل العربية جيوش الفتح الإسلامي في هذه المنطقة.

ويقول البلاذري في حديثه عن فتوح عيسى بن عظم للجزيرة: «فتح صياض آمد بغير قتال على مثل صلح الرها، وفتح ميقاتين، وفتح حصن كفر توثا ونصيبين بعد قتال، وفتح طور عابدين وحصن ماردين ودلرا على مثل صلح الرها، وكان ذلك سنة عشرين للهجرة»^(١).

ولقد استمر القتال بين الحضارة العربية في العصرين الراشدي والأموي وحتى العباسي المبكر، وحصل هذا الاقتتال بسبب ولاية قسم منهم لدولة بني أمية وقسم آخر لخلافة سيدنا علي عليه السلام. ولقد أدى ذلك إلى وجود الخوارج كثرة سياسية عسكرية في المنطقة مما أدى إلى حدوث معارك فيما بينهم ومن الأهم من القبائل العربية أو غير العربية وغما بين السلطة المركزية الأموية ومن ثم العباسية فيما بعد، ولقد كان للشيعيين خلاصة دوراً في تقوية نفوذ الخوارج في الجزيرة وامتد تأثيرهم حتى الموصل إلى جنوب العراق.

(١) فطر كتاب فتوح البلدان - البلاذري - صفحة ١٨٠.

ولقد قامت عدة ثورات للخوارج قتم بها قلة من أمثال صالح بن مسرح الذي أشار إليه الطبري في «تاريخه»: «ولقد جمع حوله كثير من أهل ديار نصيبين وسنجار»^(١).

وكانت أيضاً ثورة الخارجى سعيد بن بهدل الشيباني الذي خلفه الفضالة بن قيس المظلي والذان استطاعا أن يعدا جيشا من أهل الجزيرة، ويعملا على إبعاده وتدريبه في المنطقة الواقعة ما بين كفر توتا ومردين، وكذلك كانت ثورة الخارجى مساور بن عبد الحميد الشاري.

وهناك نص سنورده بالكامل مأخوذ من عدة مصادر تاريخية، ولقد أورده حسن شمساني في كتابه «مدينة مردين» حيث قال: «كان لانتشاز بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثوراتهم وغاراتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض الجزيرة أثره السيء على تلك الجهات، والواقع أن سياسة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على قولا، للعباسيين حبا، والانتفاضة عليهم أحيانا.. وذلك حسبما تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة.. فتراهم يسلطون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن يزيد الشيباني في إخمد ثورة الوليد بن طريف الضارحي. وينضمون إلى الثائرين عليه من جهة ثانية كما فعلوا عندما ألدوا الضارحي هارون في ثورته، وحاربوا إلى جانيه وجنائب خلفاءه من الأعراب الآخرين»^(٢).

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٦.

(٢) انظر كتاب «مردين» لحسن شمساني ط دار الكتب بيروت، ١٩٧٨ - صفحة ٨١ ولحضا لابن الأثير الكامل جز ٨ - صفحة ١٨١-١٨٥. وعظر أيضا تاريخ خليفة بن خياط جز ٢ - صفحة ٧١٨-٧٢٢.

وبطلينا هذا النصر صورة واضحة على أن الوجود الشيعي في تلك المرحلة التاريخية قد بلغ أوجه في الجزيرة.

ثم حكم المنطقة الحمدانيون، وبنو حمدان هؤلاء من تغلب وقد بدؤوا عملهم السياسي في الدولة العباسية حيث كانوا عمالاً للخليفة، وكانوا من أهل ديار ربيعة، فنشئوا بها وأقاموا أول ما أقاموها دولتهم فيها، ولقد ارتبط تاريخهم ارتباطاً وثيقاً بديار ربيعة ومنها الموصل - وهي نصبتها - ورأس العين وماردين ونصيبين وميافارقين وأمد وجزيرة ابن عمر وغيرها.

ويتحدث سعيد الديوه جي عن هذه المرحلة فثلاً: «وفي هذه الفترة نجد أن ابنى حمدان يتولى ديار ربيعة والموصل، فكان الحسين في ديار ربيعة، وأبو الهيثم في الموصل، وصار مركزهما قوياً وكان الخليفة المقدر ورجل دولته ينظرون إلى أبناء حمدان بعين الحذر»^(١).

واستمر الوضع على ما هو عليه حتى استطاع العفيلون القضاء على بقايا أبناء حمدان، حيث أزالهم أبو الفوارس محمد بن المسيب العفيلي، وبنو طفيل هؤلاء كانوا من أتباع بني حمدان، ثم انتقلوا عليهم وأضوا على دولتهم، واستولوا على الموصل وما يتبعها، فكان أول نشوء الدولة العفيلية.

إلا أن هؤلاء العفيلين لم يستمروا أيضاً، حيث استطعت سلطنة السلاجقة بعدما امتد حكمهم إلى حلب، وكان قد حصل بين العفيلين والمرائيين أصحاب ميافارقين خلافت كبيرة في منطقة الجزيرة الفراتية، وخاصة مناطق (عربايا) و (ماردين) وغيرها، فقد امتدت هذه الخلافات حتى عام ٤٧٠/ للهجرة تقريباً حتى قضى عليهم السلاجقة بقيادة ملكشاه

(١) انظر كتاب «تاريخ الموصل» سعيد الديوه جي صفحة ٩٤.

لولا ثم تنقل بن قتب لوسلان. في بداية عصر الحروب الصليبية قامت عدة دويلات تركمانية حكمت أعالي الجزيرة مع مناطق من آسيا الصغرى، كان من أهمها دولة الأرتقة. فقد حكم بنو أرتق المنطقة بشكل متقطع وتأسست دولة أتابكة الموصل التي حكمت الجزيرة وخطب، ثم جاء بعدها سلطان بني أيوب، وفي أيام بني أيوب بعد صلاح الدين طرق الجزيرة فلول الخوارزمية، وقد ذكر ذلك ابن الأثير بقوله: «في العام ٦٢٨هـ - تفرق عسكر جلال الدين بن خوارزم شاه فصعدت طائفة منه حران، وقصدت طائفة نصيبين والموصل وسنجار ومالدين وغير ذلك من البلاد، ونزلوا نصيبين وأحرقوها ولعلوا بها أعظم مما قبل يترها»^(١).

ثم جاء بعدهم التتر المغول الذين تمكنوا قبل من القضاء على الدولة الخوارزمية، وانفتح أمامهم العراق وفتلوا على بغداد، وبعدها تقدموا نحو الغرب ووصلوا إلى بلاد الجزيرة وناسحوا عنها مجتاهين ومدمرين للإنسان والحياة والأرض.

وحدثنا ابن الأثير عن ذلك بقوله: «صاروا في البلاد لا مانع يمنعهم، ولا أحدا يقف بين أيديهم، فذهبوا.. وفر أهل مالدين للظلمة»^(٢).

ولقد أشار ابن شداد إلى تلك الحوادث بقوله: «جسدت التتار، مبالغة في غزولها وضايقتها.. ووصلت غاراتهم إلى بلد ومالدين، وأمد»^(٣).

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير - جزء ١٢ - صفحة ٤٩٨.

(٢) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير - جزء ١٢ - صفحة ٤٩٢.

(٣) انظر كتاب «الإعلاق الخطيرة» لابن شداد - ج ٢/٣ - صفحة ٤٧٢.

وإن ما أتى به المغول من إرهاب واضطهاد، وخاصة في العراق والجزيرة قد أحدث اضطراباً في الأوضاع واختلالاً في النفوس، وتكونت للعصابات وكثرت الغارات، من تلك أن الأكراد أغاروا على بلاد ماردين في سنة ٧٥١-٧٥٤هـ.

وتحدث حسن شمسلي عن ذلك بقوله: «والأكراد الضاربون في قضاء متفرقة من إقليم الجزيرة حاولوا الاستفادة من الأوضاع المضطربة التي عاشتها المنطقة آنذاك فقاموا كعنتهم في مثل هذه الظروف... بالإغارة على الأعمال والنواحي يعيشون ويغنمون وكان من هؤلاء المدعو بدر الدين حسن بن هندو بمسكركه حاجم بلاد الموصل وسنجار وتطلب على أصحابها وواصل تحركاته إلى بلاد ماردين فلتشبك مع صاحبها الملك الصالح ثمس الدين صالح، واستطاع قهره وبجسدا بلاده ونهبها»^(١).

«ومشى إلى بلاد ماردين ونهبها»^(٢) ولم نعرف المنطقة المستقرة واليهودية لاستمرار بغلق الشعوب التركية والمغولية، وتزوج هذا في أواخر القرن الرابع عشر للميلاد بالاجتياح التيموري الذي سبب اضطراباً في المنطقة لمدة يقارب المئة عام، حيث سالت بعد تيمور أن حكم التركمان من طائفتي قراقرينلو والأق قوينلو حتى وصل الحكم إلى عائلة حسن بك فأول لتحكم المنطقة حيث بدأ عهد «البيكات التركمان» ومن ثم خلفه أبناء» ومنهم حمزة بك «الذي نستتب أمر لملائه له وساس بلاد الجزيرة طويلاً وعرضاً بعد أن أناب فيها لصل والأعرن»^(٣).

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» حسن شمسلي ط دار الكتب بيروت ١٩٧٨ صفحة ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) انظر كتاب «السلوك» للقريري ج ٢ صفحة ٨٣٠.

(٣) انظر كتاب «مدينة ماردين» حسن شمسلي ط دار الكتب بيروت ١٩٨٧ صفحة ٣٠٠-٣٠١.

وكان ذلك حوالي سنة ١٤٣٧م / ٨٤٠هـ —

وفي أواخر عام ٩٠٧ هجرية انتهى عصر التركمان من سلالة حسن بيك الطويل على يد الصفويين، ثم بعد ذلك دخلت المنطقة تحت مظلة الحكم العثماني الذي استمر حتى الثورة العربية الكبرى أيام الحرب الكونية الأولى، وبعد هذه الحرب زالت المنطقة العثمانية وحكم أتاتورك بقلها حيث أسس الجمهورية التركية التي مازالت إلى اليوم تحكم تركيا.

تلك كانت لحظة سريعة وموجزة عن الوضع التاريخي والسياسي للمنطقة، ولقد رأينا كيف أن منطقة الجزيرة الفراتية قد مر عليها الكثير من النكبات والحروب والغزوات، وخلفت تلك السلسي وتركت وراءها جملة من الآثار السلبية العالوية، والتي أثرت على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في تلك المنطقة، وكان لها أشد التأثير على حياة المجموعات البشرية التي كانت تعيش هناك، وخاصة المجموعة العربية ومنها العشائر العربية التي تعيش هناك ومن حملتها بقلها بني شيدان وغيرهم والتي كانت تعيش وتعلم هناك ولقد بدأ النفوذ القبلي والعشائري هناك ينتقل رويدا رويدا مع تراجع النفوذ السياسي العربي.

كما إن النفوذ الشيعاني أخذ ينتقل بدوره من جراء ذلك، ونتيجة لهذه الأحداث وخاصة بعد تهيار الخلافة العباسية وبداية الهجمات الشيعوية على المنطقة، ونستطيع أن نعمل أسباب ضعف النفوذ الشيعاني بما يلي:

١- انضمام الشيعانيون للخوارج وترغمهم لهذه الحركة وفوقهم ضدد حكم الخلافة العباسية وقبلها الأموية، الأمر الذي جعل بعض الخلفاء يحقدون عليهم حتى إن أحد الخلفاء العباسيين (الواثق بالله) قد قاد حملة بنفسه للقضاء

على ثورتهم.

ولن نقضاء على الخوارج من الشيعة لو من والاهم كان يترك آثاره الملية على كل لبناء هذه المجموعة العربية والتي جرت المنطقة برمتها إلى كثير من الولايات، وانحسرت بشكل مباشر على السكان أنفسهم.

٢- تعرض المجموعة العربية لعمليات تطهير عرقي على يد المجموعات العشوية وخاصة المغولية، والتركمانية، والكردية، والتركمانية، وغيرها. ولا سيما عند اختلال موازين القوى هناك منذ نهاية القرن الخامس للهجرة/ العادي عشر للميلاد، وفيما الهجمات العشوية وكان لهذا الأمر أثره البالغ في انحسار المد السكاني الشيعي وترجمته لاستقرار في منطقة محدودة أو لنقل ضمن حيز جغرافي صغير.

٣- سيطرة الحكام التركمان على المنطقة، والذي نتج في الحكم (البكوي) الذي كاد أن يزيل النظام القبلي العشائري ولن يخل محله، وكان لهذا الأمر أثر بالغ في تهالك البنية القبلية والعشائرية، الأمر الذي جعل للمجموعات العربية عبارة عن مجموعة سكانية متفرقة هنا وهناك خاضعة لحكم (بك) معين.

٤- الحروب والنزاعات ما بين العشائر العربية التي انتهت بها هذه الحروب وأضعفتها وتركت آثاراً ملبية على فوضع العام في المنطقة. هذه الأمور كلها قد أسهمت شيئاً فشيئاً في انحسار المد العربي في المنطقة وترجمته، وبالتالي فإن القبائل العربية التي كانت تقيم هناك ومنها بني شيبان قد ضاقت بهم القبائل، مما جعلهم في حالة ضعف وهزيمة وخوف بعد ما كانوا في حالة قوة واتحاد، ولتخذ الإجماع العربي يهتف شيئاً فشيئاً حتى كاد أن يتلاشى...

وإن كثيراً من العشائر العربية قد رحلت عن تلك المنطقة ولم يبق منها اليوم إلا القليل وخاصة تلك التي نزلت في هذه المنطقة منذ زمن طويل واستقرت فيها محتمدة على أعمال الحرفة والزراعة والتجارة وعيشها في قرى منعزلة عن غيرها من المجموعات الأخرى كما هو حال (المُحَلَّمِيَّة) اليوم الذين بقوا من بني شيبان حيث لازالت تعيش في ديارها في منطقة طور عابدين في المنطقة العربية (باعربايا) وكذلك هناك بعض التجمعات لعشائر عربية أخرى، وهي أقل عدداً مثل الرثندية والمخالمة والمخالمة (أهل لزخ) وقسم من علي وبني سبعة وغيرهم.

وإن هذه العشائر مجتمعة هي الباقى المتبقى من وجود عربي كثيف وكبير كان أول من استوطن تلك المناطق وأعطاهما اسمه، وعمل على بنائها وإعمارها مع غيره من المجموعات الأخرى التي كانت تعيش هناك.

وبإتنا نستطيع أن نعطي مقالاً واحداً عن انحسار المد العربي الفينيقي هناك بأنه خلال حقبة زمنية لا تتجاوز خمسة قرون كانت عشيرة المُحَلَّمِيَّة تمتد عبر خط طويل يصل ما بين لزخ عند جزيرة ابن عمر إلى جنود ماردين حيث كانت هناك أكثر من خمسة قرية مُحَلَّمِيَّة لم يبق منها اليوم سوى عثرتي القرى والبلدات، والتي لازالت علامة ببناءها المصنوعة من الطين إلى يومنا هذا. والذين لم يعودوا يعرفون عن عشقهم وقبائلهم، بل حتى عن وجودهم التاريخي أي شيء، سوى أنهم من (بني مُحَلَّم) وأنهم عرب ينتشون إلى أصول عربية خالصة.

— ثانياً —

ديار المخطمية

(١)

إن ديار المخطمية اليوم هي منطقة حضرية يعيش فيها أبناء المخطمية، وهي ذاتها منطقة استقرارهم (الرعية القديمة) حيث كانوا يعيشون هناك كمسائل رعية وما تتطلبه حياتهم تلك من قبض من قصب ومياه وفيرة، وإنهم قد وجئوا في هذه المنطقة ما يجعلهم يقيمون فيها بصورة دائمة، وقد استطاعوا المحافظة عليها نتيجة كثرة أعدادهم ووجودهم ونفوذهم الذي وصل في بعض الأحيان إلى حد السيطرة الكاملة على هذه المنطقة وما يجاورها من مناطق جغرافية كما تقدم ذكرنا لذلك.

وإن استقرارهم الطويل في هذه المنطقة ساعدهم على الانتقال من حياة البداوة إلى الاستقرار ثم إلى التخصر، ولدينا كثير من المحيطات والمواشيت والدلائل التي تساعدنا وتعطينا فكرة عن وقت انتقالهم وتحويلهم من حياة إلى أخرى.

ومن ذلك:

أ- **السكن الصرقي**: حيث إنهم قاموا ببناء هياوت والمساكن وشيئنا القلاع والبنية التحتية اللازمة لسكنهم، وقد ساعدت الطبيعة الصخرية للأرض في الحصول على المواد الأولية اللازمة للبناء، حيث نجد أن مساكنهم وبيوتهم مبنية من الحجر، وهناك ما يتل على وجود مساكن قديمة

من خلال وجود بقايا حجرية لها أصبحت على شكل أنقاض مرتفعة نسبياً. ويعود تدهم هذه المساكن أو خرابها لأسباب عدة: منها هجرة ساكنيها، أو لعوامل طبيعية، أو الحروب، وغير ذلك.

ب - تكون القرى والتجمعات السكانية: حيث كان هناك قنات من تلك القرى والتي مازال منها قصرات.

وهذا كله يعطي إشارة واضحة أن ساكنيها كانوا من المقيمين المستقرين بها، وخاصة أن هناك بقايا لبعض الفلاح والتحصينات الموجودة في المنطقة، وهذا مؤشر على أن السكان كانوا يتخذون منها ملاجئ أو مخاض لهم تحميهم من أخطار الحروب والغزوات، ومن هذه الفلاح ما ذكره مار أغناطيوس في كتاب «طور عابدين» عن وجود قلعة قديمة اسمها (قلعة المنجلمية) والقلعة الجديدة وغيرها.

ج - الانتقال من الشكل الاقتصادي القروي إلى الحياة الزراعية، وذلك بالاعتماد على الزراعة وخاصة زراعة العنب والأشجار المثمرة، وخاصة للكرمة (العنب) ولقد ساعد الموقع الجغرافي للمنطقة بكونها واقعة على لطرق البرية والنهرية الواسلة ما بين مردين والموصل على سهولة التحول هذه.

حيث كانت مدينة بلزبدي (الزخ) القريبة من جزيرة ابن عمر على نهر دجلة بمثابة مرفأ نهري للمنطقة، فقد ساعد كل ذلك على قيام حركة تجارية مزدهرة ساعدت السكان في الانقلاب جذرياً نحو حياة اقتصادية جديدة. ولقد أعطانا ابن حوقل النصيبيني فكرة واضحة عن تلك المناطق ومنها وحياتها المعيشية والاقتصادية بقوله:

— «جزيرة ابن عمر.. مدينة صغيرة.. وبها تجارة دقمة لو تركتها
لسلاطين وبيع مضطرب لو لم يجر فيها حكم الشياطين والخوارج.. وتصل
منها إلى الموصل المراكب مضمونة بالتجارة كالصل واليمن واليمن والجبن
واللوز والبندق والقريب والفتن إلى غير ذلك من الأتواع وهي أحسن تلك
الناحية عمارة»^(١)

وقال: «وكانت أعمال ديار في الربع الشمالي وطور عابدين أيضاً، وهو
من أعظم رسلتها وقدر رخصا لئلا وهو مجاور لطور عابدين وكان
لسيف الدولة بالفي كرك حيوياً.. ورفع عصرها وأقامها وعمرها
وطولها»^(٢)

ولقد ذكر (بازيدي) أزخ بقوله: «تحتها من الضبعة المعروفة بالمقابلة
والأحمدي وباعوسا والبيضاء إلى حدود الجزيرة، وتحتها من الحطة
والشعر الحاصل ألف كر فمئتها من الورق ألف درهم»^(٣)

وإن ما ذكره ابن حوقل عن منطقة طور عابدين ومنها الأحمدية
والمقابلة وما من القرى التي يسكنها الشطمية اليوم هذا، دلول على أن تلك
المنطقة هي حضرية واستقر فيها سكنتها واعتمدوا على حياة اقتصادية جديدة
(كالتجارة وغيرها).

د — التخلي عن العادات البدوية الرعوية القديمة، واكتساب مهارات
حضرية جديدة نتيجة عوامل الاستقرار والجوار، والحياة الاقتصادية

(١) انظر كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل الصوفي — طبع دار مكتبة المصاحف في
بيروت — (من دون تاريخ) — صفحة ٢٠٣.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة ١٩٤.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ١٩٧.

الزراعية والتجارية مع محققاتهم على لهجتهم العربية وبعضاً من عاداتهم
وخصائلهم العربية.

ونرى ذلك واضحاً في بعض المستحدثات في حياتهم كشكل الملابس
حيث إنهم لا يثثروا بقزي التركي مع المحافظة على زيهم العربي نوعاً ما،
فاللباس عند الرجال يتكون من (جلابية قصيرة تصل إلى الركبة، تحنها
سروال طويل له نكّ وفوقها صدرية تسمى بالتركي (بُكّ)، وعلى الراس
توضع (الشغفة) التركية). وقد فرض الأتراك عليهم لباسها وهي وجه من
لوجه سياسة التتريك التي طالت اللغة والعادات وأسماء المدن والأقاليم وغير
ذلك.

أما لباس المرأة فهو عبارة عن فستان طويل حتى الركبة وتحتّه
(شروال) يكون عادة ملون، وترتدي (الباندا) فوق الفستان كما أنها تغطي
رأسها (بشاشية) بيضاء.

وإن هذه الألبسة كانت تغطى محلياً باليد وتصنع باليد القديم. أما
أحذيتهم فكانت تصنع من جلد البقر على آلة يقال لها (الجاروق)، وكانوا
يستخدمون أدوات مختلفة لتصنعها حياتهم الجديدة، وإن كان معظم هذه
الأدوات قد انقرض في الوقت الحالي، وحل محلها الأدوات الحديثة
الكهربائية أو المصنوعة من الألمنيوم والستيل والزجاج ومن هذه الأدوات:

— إن الماء، حيث يصنع من الفخار ويستعمل للتصفية وتبريد الماء في
موسم الصيف، والطنسي، والأبريق، والمسجدة، والمرعز، والمنخل، والقنور،
والصاج، والحطب، والهنون، والبساط وغيرها. وهي أدوات تتطلبها حياة
الاستقرار والسكن.

(٢)

إن ديوار المصطمية هذه هي منطقة قديمة أطلق عليها المصريون ولبن
خردانية اسم مبيت مطلمه وأطلق عليها المؤرخون العرب ديوار بني شيبان
ولقد ورد اسم هذه المنطقة وبعض قراها في العديد من المصادر التاريخية
والأدبية، والتي أوردت أسماء بعض قرى وبلدات المناطق المجاورة لها،
ولقد ذكرنا بعضاً من هذه الأماكن فيما تقدم وسنتحدث بشيء من التفصيل
عن أسمائها في بعض المراجع الأخرى ومنها:

ما ذكره الأخطل (شاعر تغلب) عن معجزة بكر وتغلب وسيطرتهم على
الجزيرة حيث ذكر اسم ملادين:

نربحنا على عرش الجزيرة بعد فارس

فماضت وهي من فارس قفار

تسلي ملادون به الثريا

فلدي الناس دونهما قصار^(١)

ثم نراه - أي الأخطل - يتحدث عن نصيبين:

فما كنت لا أتي نصيبين طامعاً

ولا السجن حتى يمضي الحرمان^(٢)

ثم ذكر الجودي في تلك المناطق، والجودي منطقة جبلية قريبة من

جزيرة ابن عمر:

(١) نظر - الأخطل - الديوان - صفحة ٢٨٠.

(٢) نظر المراجع نفسه - صفحة ٢٩٨.

نسائه زيد الله ثروى عسبا

تجدين بالجوذي ورداً لمسهباً^(١)

وفي الفرج — زيد الله — قبلة نظمية تسكن المنطقة.

— وحينما يتحدث الأخطل عن واقعة جرت ما بين بني شيبان ولؤاد

(مُحَلِّم ومرة) قال:

لني كل عام لا يزال لعمري على الفرز ذهب من أروش مزني

لعمري ما أدري وبني لساقل لشرة لم أصلم مسرة لظلم

وما كانت الجباه منا مربة ولا تعد الكوريين ذلك القدم^(٢)

وفي الشرح: الجباه: منطقة في ديار ربيعة

وعلمر: هو ابن عمرو بن مُحَلِّم شيباني

ولقد ذكر ابن عربشاه أسماء بعض قرى المنطقة التي ما زالت

أسماؤها موجودة ليومنا هذا، ولا زال سكانها مُحَلِّميون حيث قال: موسغها

(أي ماردين)، نهر الصور الأثني من جبل باسمه في طور عابدين وبصحب

هذا النهر في الخابور^(٣).

والصور هذه بلدة من البلدات التي يسكنها المُحَلِّميّة ليومنا هذا، وتعد من

بلدات وقرى المُحَلِّميّة في طور عابدين.

(١) انظر المرجع نفسه — صفحة ٧٤٣.

(٢) انظر الأخطل — الدوران — الصفحة ٧٣٦ — ٧٣٧.

(٣) انظر كتاب عجائب الخابور — لابن عربشاه — مصر — دار نفع للطباعة —

١٩٧٩.

— ولقد ذكرنا بأن ابن الأثير تحدث في «الكامل» عن بعض قادة الخوارج في تلك المنطقة وهو سعد بن بهدل النخيلاني، والذي خلفه الضحاك بن قيس المصلمى فيته ذكر: «بأن جيشهم قد تم إعداده من أهل الجزيرة حيث تم تدريبه في المنطقة الواقعة بين كفرنوثا ومردين وكانت مركزاً لتجمعاتها»^(١).

— وأخيراً فقد ذكر مؤلف كتاب طور عابدين الأب سائر اغنطليوس الأول في كتابه هذه المنطقة حينما قال: «بأن المصلمية منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طور عابدين وكانت فيها أكثر من خمسمئة قرية»^(٢).

(١) انظر كتاب «الكامل» لابن الأثير — ج ٥ — صفحة ٣٣٤.

(٢) انظر كتاب «طور عابدين» — لسائر اغنطليوس قديم الأول — صفحة ٣٥٦.

(٣)-

أسماء الأمكنة

لقد سلف وذكرنا من قبل أن ديار المَظْمِيَّة لو (بيت مَظْم) تقع في المنطقة العربية والمعروفة باسم (باعرابايا)، والممتدة من حدود قرية بازبدي (أزخ) عند جزيرة ابن عمر حتى حدود منطقة ماردين، حيث تنتشر قرى وبلدات المَظْمِيَّة، والتي يتوسطها قلعة صغيرة أثرية هامة تسمى (بقعة المَظْمِيَّة)، جاء ذكرها في كتاب مطور عابدين، وما زالت في يومنا هذا تلك المنطقة هي ديار للمَظْمِيَّة حيث توجد عشرات البلدات والقرى المَظْمِيَّة، وهي ما تبقى من القرى الخمسة التي كانت في هذه المنطقة الواسعة.

وتعود أسباب انحسار قرى المَظْمِيَّة خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة منذ تاريخ استقرار المَظْمِيَّة في تلك المنطقة حتى يومنا هذا إلى ثلاثة أسباب هامة وهي:

١- ما لحق بالمنطقة الكثير من الحروب والغارات والغزوات التي خلفت أثراً مدمراً على السكان والسكن في تلك المنطقة وغيرها من المناطق، مما أدى إلى تدمير عدد كبير من تلك القرى أو هجرانها.

٢ - الهجرة الخارجية والداخلية التي كان سببها تحروب والغزوات التي لحقت بالمنطقة وتأثيراتها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية هناك مما حدا بعدد كبير من سكان تلك المنطقة من المَظْمِيَّة إلى الهجرة للمدن العربية في سورية ولبنان والعراق، وإلى غيرها من مدن

الدول الأجنبية، كما وكانت هناك هجرات داخلية إلى المدن الرئيسية في تركيا وخاصة المدن الكبيرة منها كإسطنبول وأنقرة وغيرها.

٣ - قيام التجمعات السكانية الكبيرة، مثل البلدان والمدن الصغيرة في المنطقة، وزوال القرى الصغيرة مما تسبب في تقلص عدد القرى أيضاً. وسنورد فيما يلي بعضاً من أسماء البلدات والقرى المخطمة، ونستطيع أن نميز هذه البلدات والقرى عن غيرها من القرى والبلدات التي تسكنها مجموعات أخرى غير عربية من خلال محافظة هذه البلدات والقرى على الأسماء العربية، ووقوعها ضمن حزام مكثفي جغرافي واحد، ومن هذه القرى والبلدات:

كفر جوزة، كفر عئاب، كفر جوشن، كفر حوكر، كفر عرب، شور
أصبح، الصور، عين لوزة، جوزي، أبشه، الأحمدية، المنزل، اسفل، كفر
عئاب، كفر سلط، عين كاف (عين كهف) وغيرها من القرى والبلدات.
ومن الملاحظ أن الصيغة الثنائية على أسماء هذه القرى والبلدات هي
لسمائها العربية كما ذكرنا، ولها مسبقة بكلمة (كفر) وهي كلمة عربية
تعني بلدة أو قرية أطلقت بمثابة مسبقة على أسماء هذه بلدات في أماكن
مختلفة من بلاد الشام ومصر وغيرها، مثل كفر حلب (حلب)، وكفر الدوار
(مصر) وكفر تخريم (إدلب، سورية).

وسنورد فيما يلي توضيح بعض أسماء هذه القرى والبلدات ومعناها
باللغة العربية الفصحى، لأن أغلب هذه الأسماء هي صفات لبعض المهن أو
مياه، أو أشجار، أو الموقع الجغرافي والتركيب الطبوغرافي.

جدول بأسماء القرى والبلدات والمدن المُطَمِيَّة والكوسوية

(عرب من غير المُطَمِيَّة) في منطقة طور عابدين

— كفر حوزر ^(١)	— رشم
— كفر علاب ^(٢)	— قبالا
— شور لصبح ^(٣)	المخاضية ^(٤)
— إيتيه ^(٥)	مع سرتيه ^(٦)
— قسطلونه ^(٧)	لسقل ^(٨)
— كنده ريب ^(٩)	لندر

(١) كفر حوزر: كفر، الجمع كفور: الأرض البعيدة عن الناس. وكفور: قومة، حوزر:

الحوزر هو نوع من الأحجار الصغيرة. (القاموس)

(٢) علاب: العلاب هو من يضرب السيوف ويختنها ويصنها ويضطها. (القاموس)

(٣) شور لصبح: شور هو الصل المجتلي. لصبح: لسود يضرب إلى العصرة،

(القاموس)

(٤) إيتيه: جمعه من قوم، تَأْتِي القوم أي شجعوا. (القاموس)

(٥) قسطلونه: تصغيراً لكلمة قسطل، والقسطل هو أبواب حجري أو حديدية للسفل مياه

النهر. (القاموس)

(٦) كنده ريب: كنده: تل أو مرتفع جبلي. ريب: خرف فيصبح الاسم بالكامل جبل أو تل

الشرف. (القاموس)

(٧) المخاضية: بلدة في طور عابدين وأهلها من العرب غير المُطَمِيَّة. ومخاضية هو اسم

لمنطقة تطل على جبل البشر في الجزيرة الفراتية بين مدینتي الرقة ودير الزور

الموريثين (معجم قبادان — الحموي).

(٨) مع سرتيه: مدينة عابيتها من العرب وفيها بعض الألفاظ.

(٩) لسقل: مدينة قرب مدینة عابيتها من العرب وأصبحت اليوم متصلة بمدينة مدینة

عراقيا.

— حُدَح	— قرأشديه ^(١)
— كُفر عَنَاب	— المنزَل
— عين كهف	— الصور
— جوزة	— الاحمدي ^(٢)
— خربة الحجى	— كُفر جوشن
— الزبارة (المزار)	— كُفر عرب
— نَقَه	— باطوشه
— زرنوقه ^(٣)	— خربة الكنكريس ^(٤)
— كُفر شمع (خارط)	— كُفر ملط ^(٥)
— دير الديب	— الغربه
— كُفر عرق	— نونب
— كُفر جوزة	— دير زبينة

وهناك أسماء لقرى كثيرة غير التي ذكرناها.

— ومن الأمثلة على أسماء القرى والبلدات التي تسكنها عشائر عربية من غير المنطمية؛ أي: أنهم لموسوا من بني منطم:

(١) زرنوقه: ساقية لو نهر سنهور. (القاموس).

(٢) قرأشديه: بلدة كبيرة يقرب من ماردين وأهلها عرب.

(٣-٤) الصور والاحمدي متبعتان في طور عيلدين شكلهما غالبية عربية مع بعض الأكراد.

(٥) الكنكريس: اسم يطلقه المنطميون على نوع من الأشجار المثمرة وشجره لا طعم له فيضربون به القمل على مالا ينجيهم.

(٦) كُفر ملط: الملط هو الريح الطويل (القاموس).

المخاضية، قرانديه، وغيرها من القرى الكوسوية.

— ومن الأمثلة على أسماء البلدات والقرى السربانية في المنطقة:

هوريت تلو — بنه بول — زرتو — زيتو — خرابه مشكه — لشركو —
بيت اسحاق — أوير.

علماً أن هذه القرى والبلدات هي ليست بعيدة عن بيت محلم أو دجل
المُطمية، وتعرف منطقتها باسم بيت ريشا، أو منطقة حصن كيفا.
— ومن الأمثلة على أسماء القرى الكردية في تلك المناطق:

سيتا — برني — حولي — هسار — حقري. وهي قرى وبلدات تقع إلى
شرق وجنوب دجل المُطمية.

ويمكن أن نورد هنا عدة ملاحظات على أسماء هذه القرى والبلدات:

١ — هناك تباين واضح بين أسماء القرى المُطمية (العربية) ولأسماء
القرى السربانية أو الكردية.

٢ — إن قرى وبلدات المُطمية تقع ضمن حزام جغرافي واحد داخل
المنطقة العربية بينما تنتشر القرى السربانية شمال هذا الحزام والقرى
الكردية إلى الجنوب منه.

٣ — إن القرى السربانية تقع في منطقة بيت ريشا، وإن هذه المنطقة
هي إلى الشمال والشرق من طور عابدين، بينما منطقة بيت محلم هي إلى
الجهة الجنوبية من طور عابدين.

٤ — إن قرى المُطمية وبلداتها يسكنها المُطمية العرب حصراً، حيث
لا نرى في هذه القرى أو البلدات إلا أعدداً قليلة جداً من غيرهم.

٥ - إن أسماء هذه القرى توحى بأنها كانت مراكز (تسليح) للجيش بكل ما عليه هذه الكلمة من معنى ولا صوب في ذلك وخاصة إذا علمنا أن كثير من ثورات الخوارج قادها شيعيون مثل الضحاک بن قیس المُنْطَمِي وغيره كانت تنطلق من تلك المنطقة.

فالحلّاب: يعني صنع السيوف، وكفر علب تحي مكان السيوف لو مكان صنع السيوف، وكفر جوشن، مكان للدروع لو لصنع الدروع وكفر سلط، تدل على مكان الرماح الطويلة أو صنمها و(لبشه) هي مركز لتجمع القوم، وكفر شمع: مكان لصنع الشموع وهكذا.

وأخيراً فإن الذي ذكرناه حول أسماء لمكة وجود المُنْطَمِيّة، والسمات التي تمايز بها هذه المنطقة، بشكل أحد الدلالات والمعطيات القوية على مرجعية (المُنْطَمِيّة) لأصولهم العربية، حيث ما زالت بلادهم وأهاليهم عربيّة الاسم والسكن والسكان على الرغم من أن الحكومة التركية قد غيرت أسماء أهلها واستبدلتها بأسماء تركية، كما أنهم متمسكون بلغتهم وأصولهم العربية. هذا ولقد وضعنا في نهاية هذا الكتاب مخططاً توضيحياً يبين توزيع بلدات وقرى المُنْطَمِيّة، كما وضعنا بعض الخرائط والصور عن تلك المنطقة.

— خلاصة —

بعد العرض الذي بيّنا فيه إمكان وجود المُطَمِّية وأسماء الأمكنة والبلدات، والقرى المُحَلِّية، وما قمنا به في الفصل المتقدم من إثبات نسب المُحَلِّية، وما إلى ذلك من أمور وحقائق تستلزم أن نقول:

إن (المُحَلِّية) اليوم ليسوا إلا جزءاً من بني مُحَلَم الشيباني، ولقد بُوِّنا ذلك بأدلة ومعطيات قوية تكل على أن عملية الربط التاريخي قوية وموثقة ومدعومة، لأن إثبات النسب بعد ذلك هو أمر نظري لا قيمة له دون ذكر للمعطيات والأدلة المؤكدة على عملية ارتباط ما بين النسب والمكان، أي بين المعنوي والمادي، أو قل بين الإنسان والأرض، ولقد استطعنا أن نشهد ذلك، ونعادر إيجازه بالنقاط التالية:

١ — لقد كانت الأدلة التاريخية على أن الشيبانيين (بنو مُحَلَم، بنو مرة) قد استقروا في المنطقة العربية من ديار بكر المعروفة باسم (باهر بایا) والمعتمدة من أرخ حتى حدود ملردین والواقعة إلى جهة الجنوبية من منطقة طور عابدين، وهذه المنطقة التي عرفت تاريخياً بلها ديار بنو شيبان وديار مُحَلَم، وما زالت هذه المنطقة يسكنها المُحَلِّية اليومنا هذا.

٢ — إن نسب (المُحَلِّية) يرجع إلى (مُحَلَم) بن ذهل الشيباني، وليس لغيره، ولا يمكن أن ينسبوا إلى غيره بأي شكل من الأشكال، كما لا يمكن أن ينسب العربي إلى غير يعرب بن شجب، أو العنقاني إلى غير عنقان وهكذا..

٣ — إن محافظة العنصر (المُطَمِّ) في هذه المنطقة على نقولته العربية والقبائلية، واحتفاظه باسمه (المُحَلِّ العربي) كان له الأثر البالغ في

عدم لختلاط هذا العنصر وانصهاره في غيره من المجموعات، سواء العربية منها أو غير العربية، على الرغم من كل الظروف والظروف التي تعرضت لها المنطقة، والتي ذكرناها بشكل فيه نوع من الإسهاب والتوضيح.

٤ - المحافظة على اللغة العربية ضمن محيط غريب ومتنوع، وخاصة المحافظة على لهجتهم العربية المحكية، وهي لهجة المنطقة الممتدة حتى حدود الموصل، وإن محافظتهم على هذه اللغة والاسم العربي فيه شيء من الإيجاز حقيقة، إذ أنهم قد قلوبوا كل أشكال التغريب والغريب والانصهار الاجتماعي تاريخياً وخاصة في منطقة عاشت تحت رحمة الصراعات العرقية والقبلية والعشائرية.

٥ - إصرار وعند العنصر المخطمي العربي على انتمائه العربي، هذا العناد والإصرار الذي وصل إلى حد التصبب والتمسك الإيماني، حيث إنهم حافظوا على أنفسهم بفرض هذا (الطوق) الاجتماعي من حولهم، وذلك ليكون خطأ دفاعياً يحميهم من أي اختراق اجتماعي أو عرقي يمكن أن ينفذ ويكسر طوق الدفاع الاجتماعي هذا الذي فرضوه على محيطهم.

وخلاصة القول: إن الأدلة التاريخية التي أبرزناها وقدمناها لإثبات نسب المخطمية وصلتهم بأصولهم هي أدلة واضحة وقاطعة، وكنا حريصين دائماً على إثبات هذا النسب بطريقة موضوعية تاريخية، وإننا لم نكن نختار إلا الأدلة المعتمدة على عدة مصادر مؤكدة، من عدة مؤرخين، ولقد حرصنا على تبيان أسماء تلك المصادر ونقل الأدلة بصدق وأمانة ودون لبس أو غموض.

ويجب أن نلاحظ باهتمام أن إثبات النسب هذا ربما لم يكن يحتاج إلى كل هذه الأدلة والبراهين والبحوث وغيرها، وخاصة في منطقة الجزيرة السورية، والتي لا تعتمد الأسلوب العلمي التاريخي الموضوعي في إثبات

النسب والمرجعية القبلية والعشائرية، إذ إن أغلبية أبناء المجتمع الجزائري تكتفي بالإصحاح عن مرجعيتها القبلية أو العشائرية دون تقديم أي أدلة تاريخية على ذلك.

ولهذه الأسباب فإننا نرى هناك تدخلاً عجيباً وغريباً في مسألة النسب والانتماءات القبلية والعشائرية في هذه المنطقة وصل إلى حد الفوضى والنسب؟!.

الفصل الرابع

قوة التكوين العربي المُحَلَمي

— أولاً —

انتماء المُحَلَمِيَّة للعروبة

بعد انتماء المُحَلَمِيَّة للعرب لمرأ تاريخياً وواقعياً، وهو قضية محسومة بالنسبة لأبناء هذه الجزيرة، سواء تكفوا في مناطق وجودهم في ديار المُحَلَمِيَّة في (تركيا)، أو في الجزيرة السورية، أو في أي مكان آخر يقطنون فيه. لكن ما الذي يحبطنا إذن نسعى لإبراز الأتلة المؤكدة على هذا الانتماء وهي مسألة لا تحتاج إلى مثل هذا التأكيد أو الإثبات؟!

إننا نقول بصراحة وبكل جرأة وفي الوقت نفسه بكثير من الأسف والألم: إن (المُحَلَمِيَّة) في ديارهم (تركيا) اليوم وقنين يعيشون في منطقتهم العربية منذ عشرات القرون، معترف بحروبهم من قبل السلطات التركية والقومية وجميع المجموعات العرقية الأخرى هناك. وهم معروفون بأنهم عرب عند القاصي والداني، ولا يشك في عربيتهم أحد، ولم تثر أي مشكلة، أو محضلة تتعلق بانتماءهم العربي هذا.

لكن ظاهرة الطعن في هذا الانتماء، ومحاولة النيل منه، أو التشكيك فيه قد ظهرت في الجزيرة السورية، حيث يعيش المُحَلَمِيَّون في أرض عربية وبين سكان جلهم من العرب.

وهم كانوا قد أعطوا، منذ أن وصلت أقدامهم أرض الجزيرة بأنهم (عرب مُحَلَمِيَّون) وهم لظروف تسهينا في شرحها فقدوا انتماءهم القبايلي وهم لم يكونوا يعرفون أن (المُحَلَمِيَّة) ترجع إلى مُطَم بن ذهل القبيلي، ولم يكونوا

يُعلموا بأنهم من بني شيبان، ولقد وجدوا أن التصريح بأنهم مُحطمة وعرب لا يكفي في منطقة الجزيرة السورية إن لم يقترن بالانتماء لـ «شيرة» أو قبيلة عربية، وهنا لا يُعرف العنصر العربي إلا من خلال هذه الشيرة أو القبيلة. بينما كان الأمر مختلف تماماً في مناطق وجودهم (في تركيا)، فالتمييز هناك تميز (عربي، قتي) فعرّفوا بأنهم عرب واعتُرف لهم بذلك، أما هنا فالتمييز (عشائري، قبلي) لأنهم منذ البداية لم يعرفوا انتماءهم لقبيلة كـ «شيرة» ما، أو فُقدوا هذا الانتماء القبلي نتيجة لظروف معقدة، جعلتهم مهملين تساوون وعُمل إلى حد الشك بالانتماء للعروبة.

وإن استطعنا الشيرة كمجموع أو الفرع لن نعمل على تجسيد هذا الانتماء القبلي، أو قل ثقافته في أدلة ومدونات تاريخية. وفي الحقيقة فإن هذا العمل ليس من مهمة الأفراد، وهم غير قادرين عليه بل هو من مهمة الشيرة ككل، ومن المعروف أن شيرة المُحطمة كانت وما زالت تفتقر إلى (الهيكلة العشائرية التاريخية).

ولقد كان خزيًا بالفتامين على أمر هذه الشيرة من وجهاء ورجالات معروفين، اتخذوا ما يلزم لتدعيم الطابع العربي المميز للشيرة وثبثته وثقافته بـ «هوية» عربية بشكل واضح، وخاصة أن المناخ السياسي العام في منطقتنا كان يسمح ولا يزال للعمل على إبراز هذه الهوية واتخاذ الخطوات اللازمة لذلك، ومن هذه الخطوات مثلاً عقد الندوات واللقاءات وشرح الأوضاع والظروف التاريخية المربطة بالشيرة، والبحث عن مرجعية قبلية معترف بها ومدعومة بالأدلة الكتابية والتاريخية، وذلك بهدف سد كل الفجوات والرد على كل التبهات، والمحاولات التي من شأنها طمس الهوية

العربية للعشيرة، لو صهرها أو دمجهاء والتي وصلت في مرحلة من المراحل إلى حد محاولة لتبلاع هذه العشيرة وضمها.

ولقد ساهمت عوامل القطوعة التي حصلت بسبب تشتت الحاصل والذي فرضته ظروف خارجية أدت إلى (إشطار) العشيرة بعضها عن بعض، لكل شعبة منها ظروفها الخاصة بها في فقدان الانتماء القوي.

كما إن هناك سبب آخر قد ساهم بشكل أو بآخر في عدم حصول هذه العشيرة العربية الأصيلة على (حقها الطبيعي) في أن تكون كغيرها من العشائر العربية ذات التريفة، وهذا السبب يتعلق بالوضع الاجتماعي والاقتصادي لأبناء هذه العشيرة، هذا الوضع الذي فرض على غالبية أبناء هذه العشيرة تفسير جل وقتهم في البحث عن لقمة العيش نظراً لفقر الحال والأحوال.

وهو الأمر الذي منحهم مدياً ومطوباً من السعي نحو ذلك، وخاصة في ظل غياب مرجعية إدارية للعشيرة توفر لهم متطلبات القوة والوجود.

أما عن الطبقة المثقفة أو الواعية في هذه العشيرة فقد ظلت خارج السرب كله، واكتفت ببعض المعاولات الفردية التي لا تسمن ولا تظفي من جوع.

وذلك بقترة بعض الحواريات والنقاشات هنا أو هناك مع بعض الأفراد من المجموعات الأخرى، وهذا لا يكفي في الحقيقة لتدعيم المسألة المطلوب الدفاع عنها دائماً وأبداً وهي قضية الانتماء العربي.

وإننا إذ نفرد باباً خاصاً لهذه المسألة فإن القضية المطروحة للبحث هنا تستحق ذلك، وإنها ليست بالأمر السهل نظراً لما لاقته وتلاقيه قضية الانتماء

العربي لهذه الضيرة من تسلالات ومن عقبات وشبهات من هنا وشبهات من هناك، وخاصة من قبل تلك المجموعات التي كان من مصلحتها دائما أن تثير هذه المسائل وتزرع بذور الشك والريبة في الطريق، وذلك لغايات ظاهرة وباطنة، فالغايات الظاهرة هي محاولة جذب هذه الضيرة الكبيرة والعريضة لها والمرصوفة بأخلاقياتها القليلة وعداقتها الأصيلة، والغايات الباطنة هي محاولة (نزع الثوب العربي) الذي ترتديه هذه الضيرة بغية طمس هويتها العربية الأصيلة.

— ثانياً —

في الحجج والأدلة المؤكدة على الانتماء العربي

لقد أوردنا جملة من الحقائق والأدلة القاطعة تاريخياً تثبت أن (المنظمة) هم إحدى العشائر العربية المنتمة إلى قبيلة بني شيبان بن بكر العربية، وذلك بشكل مفصل في المواد المتقدمة من هذا الكتاب، وإذنا نعود في هذا الفصل لنذكر تلك الأدلة التاريخية بأدلة وبراهين واقعية، وإن كان الأمر لا يستحق حجج وأدلة مؤكدة أخرى أكثر مما يتناهى وفصلناه، إلا أن الموضوع المطروح هنا شكّل قضية حروفية وجندية وتاريخية محققة في هذه المنطقة وعلى مدى عشرات السنين، لذلك ارتأينا أنه لا بد من إزالة أي التباس يتعلق بهذه القضية، وسد كل الأبواب، وعدم ترك أي مجال لأحد لينفذ مجدداً ويثير ما يثير من الأكاذيب والتشبهات، ولو كان هذا التحيز الذي يمكن أن يستطيع النفاذ منه بمقدار (خبرم يرة).

الحجج والأدلة الواقعية

- بالإضافة إلى ما تقدم نستطيع أن نجمل الحجج والأدلة الواقعية والتي تؤكد على الانتماء العربي للمُحَمَّدية في أيماننا هذه في خمس نقاط وهي:
- أولاً: عامل اللغة.
 - ثانياً: عامل الأرض.
 - ثالثاً: العادات والتقاليد والتاريخ المشترك.
 - رابعاً: مقاومة أشكال طمس الهوية العربية.
 - خامساً: الاعتزاز والفخر بالنسب والانتماء العربي.

أولاً: عامل اللغة

تعد اللغة كما هو معلوم أحد العوامل الأساسية التي تقوم عليها الأمة وتحديد الهوية القومية لأي فرد أو جماعة بشرية، كما تعد الأساس الذي تلقت حوله وتلتقي عنده هذه الأمة، أو تلك الجماعة. ولئن هذه المقولة تنطبق تماماً على واقع عشيرة المُحَلِّمِية، لأن عنصر اللغة هو الذي حدد ومنذ البداية هويتها وافتاءها العربي، وجعلها تتميز بذلك عن غيرها من العشائر والمجموعات غير العربية. ولقد حافظ (المُحَلِّميون) على لغتهم العربية الأصيلة طيلة قرون عدة، وما زالوا يتكلمون بها على الرغم من جميع عوامل الفقرة وسياسات التتريك والدمج التي كانت الغاية منها تجميع العنصر العربي ومنه (المُحَلِّمي) بالثقافة التركية.

ثانياً: عامل الأرض

لقد ذكرنا في فصول متقدمة أن ديار المُحَلِّمِية التي تعيش فيها إلى اليوم هي منطقة وجودهم منذ صوره عدة وعلى الأكل من العصر الراشدي، وما سُميت تلك الديار باسمهم إلا لكونهم أول من سكنها واستقر بها من العشائر العربية، حتى إن تلك الديار عرفت تاريخياً باسم بني شيبان وبني مُحَلِّم وكلها واقعة في ديار بكر، وبكر هي القبيلة التي ينحدر تحت جناحها الشيبانيون ومنهم بنو مُحَلِّم.

ولذلك نُكر في التاريخ أن طور عابدين هو اجني شجيان ونُكر أيضاً أن
 الجهة الجنوبية لطور عابدين هي ديار المُحلمية أو بيت مُحلم.
 لذلك فإن الوجود (المُحلمي) في تلك المنطقة وجود أساسي، حيث قام
 المُحلميون ببناء وإعمار تلك المناطق مع غيرهم من سكان المنطقة من
 العرب الأصليين في عصور القنسط الفارسية والفرومائية والبيزنطية، لذلك
 فإن وجود (المُحلميون) في تلك المناطق وكونها موطناً أصلياً لهم لم يكن
 وجوداً حادثاً، أو عرضياً، لو علمنا، بل كان وجوداً مستمراً، قديماً ودائماً.
 وعلى الرغم من أن بعض هذه الأرض قد خرجت من دائرة النفوذ
 السياسي والإداري للدولة العربية اليوم، وأصبحت ضمن حدود الدولة التركية
 فإن إرادة التمسك بها وبكونها عربية ما زالت حاضرة في ذهنية الفرد
 العربي المُحلمي حتى يومنا هذا، وإن هذا الشيء قد عزز من مكانة وقوة
 وصلابة الانتماء العربي للمُحلمية.

ثالثاً: العادات والتقاليد والتاريخ المشترك

يعيش المُحلميون ضمن دائرة اجتماعية فيها اثنيات وقوميات متعددة،
 وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المحيط الاجتماعي المتنوع لم يستطع أن يحوط
 عن المُحلمية (صفتهم العربية) التي صبغوا بها، فما زالوا يحتفظون بعادات
 وتقاليد عربية على الرغم من عوامل التحديث والتطور والتأثر والتأثير
 الاجتماعي المتبادل، وهم قد أثروا في محيطهم الاجتماعي، كما أن هذا
 المحيط الاجتماعي قد أثر فيهم، إلا أن كل هذه المؤثرات لم تمسح (الصهفنة
 العربية) عنهم والتي ظلت خالصة ونقية.

ولئن هذا التصيب لقوميتهم كان له ما يسوغه حيث إنهم جعلوه بمثابة
السد لمنع الذي حماهم من الانصهار الاجتماعي في مجتمعات وقوميات
أخرى، مما جعلهم يعيشون في دقيرة اجتماعية مغلقة، حتى إنهم رفضوا
إقامة أي علاقات مصاهرة أو زواج مع غيرهم من أبناء المجموعات
الأخرى، وذلك خوفاً منهم من ضياع نسبهم واختلاط العروق والنساء وغير
ذلك.

رابعاً: مقاومة أشكال طمس الهوية العربية

ومن أشكال هذه المقاومة:

١ - التحدث باللغة العربية في أماكن وجودهم ورفض التحدث بأي لغة
أخرى، كما أنهم رفضوا اللغة التركية لغة أساسية في منطقتهم، مع عدم
التحدث بتلك اللغة إلا لضرورات معينة بحدّها اللغة الرسمية في ذلك البلد.
كما إن الحكومة التركية قد انصاعت لمطالبهم بإلقاء خطاب أمام الجميع
في مساجدهم باللغة العربية.

٢ - إجبار الحكومة التركية على الاعتراف بهم كمجموعة ذات جذور
عربية، والتعامل معهم على هذا الأساس، الأمر الذي جعل لأبناء هذه
العشيرة هناك وضعاً مميزاً، يختلف عن أوضاع غيرهم من المجموعات
الأخرى كالكردية مثلاً، وكان لهذا الوضع المميز أهمية في حسابات هذه
الحكومة وسياساتها تجاه الأقليات الأخرى.

٣ - المحاطة على الطابع المكتفي العربي للقرى والبلدات المظلمة، وحمايتها من التطفل العرقي إليها، لذلك فإن هذه القرى والبلدات ما زالت تسكنها أغلبية ساحقة من أبناء المظلمية.

٤ - التصريح بالانتماء العربي والتعير عنه دائماً، حيث إن (المظلمي) ما زال يعن وبصراحة وبجراحة أنه (مظلمي عربي)، وهو ما يزل يحتفظ بهذه الهوية العربية ولا بعد الجنسية التركية التي فرضت عليه - لأوضاع وظروف جغرافية وسياسية معينة، قد حلت محل هويته العربية الأصلية، حيث بعد أن الجنسية التركية وقبوله بها جاء من قبل الإقرار بالأمر الواقع ولا يمكن لها أن تكون بديلاً عن الهوية العربية.

خامساً: الاعتزاز والفخر بالانتماء العربي

لقد تعرضت عشيرة المظلمية في الوطن والمهجر لكثير من التآثيرات والمؤثرات والاضغوط الأيدلوجية والعرقية لتتلمخ عن عروبته، وعلى الرغم من تلك الظروف الصعبة التي فرضت عليها، فإن هذه العشيرة وفي كل أماكن وجودها، ما زالت تحصر دائماً وأبداً على عراقلة تنمائها العربي، وتعز بذلك، وإنها تقتخر بانتمائها إلى أمة عربية عظيمة، وتعيش آمال تلك الأمة وآلامها لحظة بلحظة.

والفرد العربي المظلمي يتحين كل فرصة أو مناسبة للتعبير عن هذا الانتماء العربي، وإن حبه لانتمائه وعروبته يصل في بعض الأحيان إلى درجة (التعصب) لقرميته، وكل ذلك كان بسبب ما مرت عليه العشيرة من

ظروف مريرة قاسية، وذلك من خلال وجودها في محيط فيه الكثير من القوميات والأعراق.

وإذا سألت المحامي عن أصله ونسبه ولغته، فيقول لك معتزلاً بنفسه إنه (عربي مُحَلِّي)، ولا يتحدث إلا بلغته العربية في أي مكان كان ويلبس أن يلبس نفسه بأي مجموعة عرقية أخرى، كما إنه يفضض ويثور عليك إذا ما حاولت إصباغ نسبه وانتمائه بخير عروبته ويلبي ذلك، وفي هذا دليل على ترسخ الدم العربي في عروقه، واللغة العربية على لسانه.

الفصل الخامس

المغالطة التاريخية حول أصول المعلمية

أ - المغالطة التاريخية

لقد تحدثنا في مدخل هذا الكتاب عن أن عشيرة المُحْطِمة قد انشطرت إلى قسمين، أحدهما وهو الأكثرية ظل يعيش في منطقته الأساسية والمعروفة باسم (بيت مُحَلَم)، والقسم الثاني استقر خارج تلك المنطقة، وسكن سورية ولبنان والعراق، حيث تسبب ذلك في إيجاد حالة قسومية وقطاع مابين القسمين، وإن هذه العشيرة ككل تعرضت لعملية (عمل دماغ) تاريخية من جراء ما تعرضت له المنطقة التي عاشت فيها من الحروب الكثيرة والويلات والغزوات، والتي استمرت لقرون عدة. استطاعت أن تحو من الذاكرة المُحْطِمة ما تحفظه عن انتمائها قبلي، لأن النظام العشائري القبلي والسذي هو من مخلفات النظام السولسي العربي آنذاك قد قُتِى منذ زمن بعيد، ولقد أجهز الأتراك على ما تبقى منه من آثار وتشكيل، فإذا سألت أي فرد من أفراد تلك العشيرة هناك إلى أي قبيلة ينتمون، لو إلى أي عرب ينسبون فإنهم سيكتفون بالقول بأنهم (مُحْطِمة)، وأنهم (عرب)، وهم لا ينسبون أنفسهم إلى أي قبيلة أو عشيرة كما سلف وذكرنا ذلك.

وعليه فإنهم لا يعرفون شيئاً عن انتمائهم لبني هلال أو غيرهم، ولا ينسبون أنفسهم إليهم ولا إلى غيرهم، وهم لا يعرفون ولا يأمنون بأن (المُحْطِمة) تعود إلى كونهم (الميت... بيت)، أو (محل... مية بيت) القبايلية من بني هلال، بل إنهم لا يلاحظون كلمة المُحْطِمة، إلا بضم الميم وتشديد اللام أي (مُحْطِمة) وليس بفتح الميم مع عدم تشديد اللام (مُحْطِمة)، وإنهم يقولون: إن

عندهم لم يكن مئة بيت بل كثروا خمسمئة قرية وليس بيتاً، وذلك منذ زمن
سكنهم في تلك المنطقة التي عرفت باسمهم عشية استقروا بها.

وإن لفظهم لكلمة (المُطَمية) هو لفظ صحيح ومطابق تماماً لتسميتهم إلى
(مُحَلم) ليؤكد أن الجزيرة السورية كانت مصدر هذا اللفظ أو الخطأ الذي
وقع فيه بعض أبناء العشيرة في منطقتنا، حينما نسبوا المُطَمية إلى (بنى
هلال)، ولذلك سببه وتسميته، في اعتقادها وهو يكمن فيما يلي:

من المعلوم أن أبناء عشيرة المُطَمية الموجودين في الجزيرة السورية
قد قدموا أصلاً من منطقتهم (بيت مُحَلم) وذلك منذ حوالي قرن ونصف.

وحينما استقروا في الجزيرة السورية وجدوا أن الأمر هنا قد اختلف
عليهم من الناحية القبلية والعشائرية، حيث وجدوا أن القبائل والعشائر هنا
تعرف بأسمائها وانتماءاتها.

وفرض هذا الوضع العشائري في الجزيرة عليهم — ولضرورات عدة
— أن يحددوا هويتهم القبلية والعشائرية، وما علا بكفي القول نحن (مُحَلمية
عرب) مثلاً كانوا يسمون بأنهم كذلك.

ووجدوا أنه لا مفر لهم من أن يرجعوا عشيرة المُطَمية وينسبوا إلى
قبيلة ما، فالتركيبة القبلية والعشائرية هنا قد حكمت عليهم بهذا الأمر، ودفعهم
هذا الوضع الجديد كما قلنا للبحث عن هذه المرجعية القبلية العربية ولأن
ظروفهم وأوضاعهم وما تعرضوا له من حالات انقسام وقطيعة كانت صعبة،
وبذا أضفنا إليها غياب (المرجع العشائري والإداري والتقالي) عندهم، كل
ذلك جعلهم في موضع شك أو ريب يتعلق بمرجعيتهم القبلية وهذا الشك
وصل في بعض الأحيان إلى حد الطعن في انتمائهم العربي فكان لا بد لهم

من إيجاد مرجعية ما، وإداع أي مرجعية قبلية كانت، فوجدوا في كلمة
المُحَلِّمِيَّة ذاتها ما يساعدهم على إيجاد حل ما.

وحينما حللوا هذه الكلمة لغوياً تراءى ليعتصم لها كلمة مركبة مؤلفة
من مقطعين، هما (محل) و (مئة) ففروها (مُحَلِّمِيَّة) فككت هي المخرج لهم
حيث، استكلوا بقراءتهم لهذه الكلمة بأنها تعني (مكان) لـ (مئة) بيت أو
شخص أو ما شابه ذلك، فقالوا: هذه المئة بيت هي البقية الباقية من القبيلة
التي عبرت من هنا، وظل منها (مئة بيت) صموا (بمحل المئة) أو
(المُحَلِّمِيَّة).

والحقيقة إن هذه (الفكركة) اللغوية هي أيضاً ليست في محلها، لأن
لكلمة لا تقرأ (مُحَلِّمِيَّة) وإنما (مُحَلِّمِيَّة) بضم الميم وهي كلمة مفردة صفة
تلقب إلى شخص أو جماعة.

ولقد أعانهم هذا التحليل على إصاق عشيرة المُحَلِّمِيَّة بقبيلة بني هلال
فكانوا (المئة.. الباقية) من هذه القبيلة التي سالت في الأرض، ولابد لها أن
تكون قد وصلت إلى أطراف مناطقهم.

ولكن ربما سأل: ولماذا تم إصاق نسبهم ببني هلال دون غيرهم
من القبائل العربية؟

في الحقيقة إن إصاق نسب المُحَلِّمِيَّة ببني هلال له قصة وحكاية وفيها
تكمين الإجابة عن هذا التساؤل.

ذلك أنهم حينما وفدوا إلى منطقة الجزيرة وهي منطقة عربية الأرض
والسمكان واللسان بدؤوا بالبحث عن انتمائهم القبلي هنا وشرعوا بالبحث عنه
في كتب التاريخ التي كانت متوفرة آنذاك في هذه المنطقة حيث إنهم لم يكن

بمقتورهم الاطلاع على هذا التاريخ هناك في منطقتهم الأصلية، لأن سياسة التتريك قد محت لهم كل أثر يدل على وجود القوميات الأخرى أو تاريخها في المنطقة ومنها المجموعة العربية، لذلك منعت تدريس التاريخ العربي، وفرضت اللغة التركية بدلاً من العربية، ولم تترك للعرب أو لغبرهم أي كتاب باللغة العربية سوى (القرآن الكريم)، حتى إن هذا الكتاب الكريم قامت بترجمته إلى اللغة التركية.

لذلك فإن المحلية وجدوا هنا أن لهم فرصة تاريخية للبحث عن جذورهم، ولأنهم لم يكونوا بعد قد حصلوا على قسط وافٍ من العلم والعلوم والمعرفة، لقد وجدوا في القصص الشعبي حكايات عن القبائل العربية وغروسة العرب وبطولاتهم. فقرروا حكايات الزير، وقصة لها زيد الهلالي، وعنترة وغيرها، ولقد وجدوا أن السيرة الهلالية تتحدث عن قصة قبيلة كبيرة هي قبيلة بني هلال التي هاجرت من الجزيرة العربية، واتجهت نحو المغرب في شمال أفريقيا مروراً بمدن وقرى لا تعد ولا تحصى ومنها — كما زعموا — مدن هذه المنطقة وخاصة ماردن، وطبعاً إن ما تذكره الرواية الشعبية عن خط سيرهم لا أساس تاريخي له، وهذا ما سوف نقوم بتوضيحه في فصل لاحق.

لزموا أن بني هلال الذين لم يتركوا مدينة أو بلدة إلا ومروا فيها فأنهم إذ مروا بماردن، فلا بد إذن من أنهم قد مروا بمناطقهم وهنا كان بيت القصيد حيث ظلوا بأنهم البقية الباقية من هؤلاء الهلاليين.

وهم يعرفون أنفسهم بأنهم عرباً ولا يشكون في ذلك، فلا بد إذن من أن يكونوا (المية بيت أو محل) البقية من بني هلال وهم قد تظفروا عنهم وأنهم يتابعوا المسير لأسباب مجهولة.

ولقد استطعنا التوصل إلى هذا التطويل من خلال استطلاع آراء العديد من الشيوخ الكبار والوجهاء من أبناء المنطقة، حيث وجدنا أنهم ما زالوا يخلطون كثيراً بين أبطال وقصص الروايات الشعبية، حيث ما زال الكثير يعتقد مثلاً بأن الزير وأبا زيد الهلالي هم من قبيلة واحدة إلى غير ذلك من المغالطات التاريخية.

وبهذه الطريقة تم اختراع هذه المرجعية مع أنها لم تستند إلى أي دليل تاريخي، لو لنقل لهم اعتقدوا بصحة الرواية الشعبية وعدوها دليلاً تاريخياً، الأمر الذي ساهم في إعطاء هذه المنطقة نوعاً من الشرعية التاريخية.

وعلى الرغم من أن هذه الحكاية حكاية البحث عن الجذور، هي من حيث شكلها لا تبدو أكثر من (محاولة بدائية) إلا أننا نستدل بها دلالة عظيمة على قوة الانتماء العربي عند هؤلاء المحطمين، والذين أصبحت مسألة البحث عن انتمائهم القبلي بمثابة الهاجس، أو قل (الغصة) التي لم يكن يعرفوا المسيل لحلها وفكها، وهم الذين يعرفون أنفسهم بأنهم من العرب، ولم يشكوا في ذلك يوماً من الأيام، وإن محاورتهم التاريخية (المتواضعة) لإثبات جذورهم القبيلة، والتي تحدثنا عنها أعلاه، لمحت إلا دليلاً قوياً على مدى تعلقهم بعروبيتهم وانتماءهم، وفي الحقيقة والواقع إن هناك جملة من العوامل الموضوعية التي ساهمت بشكل أو بآخر في طرح مثل هذه المغالطات للتاريخية ومن هذه العوامل:

أولاً: لقد خضعت ديار المنطقة وغيرها من المناطق هناك لحكم عشائر (التركمان)، وذلك منذ حوالي قرون عدة، ثم تسلط عليهم بعد تيمور الحكام التركمان من سلالة أوزون حسن بيك الطويل وأحفاده من بعده الذين تمكنوا من حكم المنطقة، وتصيب أمراء وحكام محليين من قبيلهم، ومنحوا هؤلاء

الحكام لقب (البك)، ولقد استتب الأمر لهؤلاء (البكوات) لو كما يسمونهم في المنطقة (البكوية) أو (البكوية)، وذلك لمدد طويلة حتى مع وجود الحكم العثماني الذي حافظ على تسميتهم بعد أن أخضعهم لنفوذ السلطة العثمانية وسلطانها المركزية.

وإن هؤلاء الأمراء من أسفل حمزة بك، وميرزا بوسك وغسبرهم قد تقاسموا السيطرة على المنطقة، وحصل بينهم نزاعات وصراعات تمويصة، جزوا إليها أبناء تلك المنطقة كلها.

ولقد قام هؤلاء (البكوية) أول ما قاموا به هو حل (السلطة العشائرية) بما فيها سلطة الشيوخ، وحلوا محلها، ففرقوا كل مظاهر الحياة العشائرية التي تعبر عن الوجود العربي هناك، ولقد ظلوا كذلك إلى عقود قريبة الزمن، حيث ظل (البكوية) يعرفون في ديار المصلمية باسم (بيت الأمير)، وإن كلمة الأمير نفسها قد استعاروها من الرعايا العرب الذين تحت حكمهم، فلقبوا أنفسهم بأمراء المصلمية؛ لأن المحكومين العرب يسمون حكمهم بهذا الاسم. وإن هذه التسمية كما سلطتهم أصبحت شكلية واسمية وتاريخية ولا وجود فعلي لها في الوقت الحاضر.

ويقول حسن شمساني حول ذلك: «ولقد استتب الملك لعمزة بك وسلس البلاد الجزيرية طويلاً وعرضاً بعد أن لقب فيها العمل والأعوان»^(١) وبالاستناد إلى ما ذكرناه أعلاه لقد أصبحت مرجعية الناس في هذه المنطقة (البكوات) أو (البكوية) بدلاً من شيوخ العشائر ولقد دخلت كل عشيرة من عشائر المنطقة تحت نفوذ واحد أو أكثر من هؤلاء (البكوية) لأن

(١) انظر كتاب «ملونة ماردين» لحسن شمساني - بيروت - مطبعة دار الكتب ١٩٨٧ - صفحة ٣٠١.

ديار المحلّمة وقراهم قد وقعت تحت نفوذ اثنين من هؤلاء (البكوية).
فأصبحت القرى المحلّمة الواقعة تحت نفوذ (عيسى بيك) تسمى (قرى عيسى
بيك)، وقرى محلّمة أخرى تحت نفوذ (خليل بيك) فسميت (خليل بيك)، وإن
الانتماء (لعيسى بيك) أو (خليل بيك) كان انتماء (إدارياً وسلطوياً) ولم يكن
الانتماء (عرقياً أو قسماً أو عشائرياً)..
ومع مرور الزمن ساهم هذا الوضع في زوال سلطة العشوخ، وبالتالي
القضاء على (الهيكلة العشائرية) باسماتها ومسمياتها، كما زال التقاليد
العشائري بين تلك المجموعات العشائرية، ولم يعد الفرد يُعرف إلى أي
عشيرة ينتمي، ولا تعرف العشيرة إلى أي قبيلة تنتمي أو كُثت تنتمي.
وأصبح الجميع يعرفون شيئاً واحداً فقط أنهم (محلّمة) ولهم (عرب)
ليس أكثر من ذلك.

وهذا الحال ينطبق على المجموعات العشائرية العربية الأخرى المستقرة
والمتمحضرة كالرندية، لكن لا ينطبق على مجموعات البدو وغيرها.
ثانياً: بعد قيام الدولة التركية الحديثة على يد (أتاتورك) في الثلاثينات
من القرن العشرين والتي رافقتها سياسة منظمة تدعى سياسة التتريك اتسعت
طلات كل العناصر القومية غير التركية ومنها المجموعات العربية، وقد
عمدت هذه السياسة إلى طمس الهوية القومية غير التركية، ومنع التدريس
باللغة العربية ومنع تدريس التاريخ العربي، وفرض اللغة التركية، وتغيير
أسماء القرى والبلدات العربية إلى أسماء ومسميات تركية، ومنع ارتداء
الزي العربي وتغيير الألقاب العربية، وفرض الزي التركي بدلاً عنه إلى
غير ذلك من أمور.

وكان من نتائج هذه السياسة أن حافظت الحكومة التركية على الأوضاع السائدة في تلك المناطق، من حيث الإبقاء على (تشكل شيكوي) لحكم المنطقة ولو شكلياً، وكرسته هناك، لأنها وجدت في هذه الحالة خير وسيلة لنزع (اللبس العشائري) عن المجموعات العربية، والذي يحافظ على هويتها وتفرعها، لتتركها مجرد مجموعات عربية متجانسة تعيش في مناطقها دون أي رابط يربط بينها، وإن كانت هذه السياسات يجعلها لم تستطع أن تسفر عن أصالة الهوية العربية من هذه المجموعات التي ظلت محافظة عليها مع لغتها الأصلية.

ثالثاً: إن فقدان (الهوية العشائرية) للمُطَمِّنة نتيجة تلك الظروف المعقدة وفقدان النمط العشائري والقبلي في تلك المنطقة برمتها، أدى إلى عدم قدرة أبناء المُطَمِّنة في الجزيرة على بلورة (هوية عشائرية) لها مرجعيتها التاريخية، بالإضافة إلى توالد القاتمين على رأس العشيرة في المنطقة الذين اكتفوا بما قيل عن انتماء عشيرتهم إلى قبيلة بني هلال، ووجدوا في ذلك حجة كافية، الأمر الذي جعلهم يفتخرون عند هذا الحد عنود كاملة ولو كانوا معهم كل الجهود التي كان من شأنها أن تصل للحصول على الحقيقة المطلوبة.

أما السواد الأعظم من أبناء هذه العشيرة فأصبح نساء منهم لا حول له ولا قوة، وللقسم الآخر وكان الأمر لا يحويه ولا ناقة له فيه ولا جمل حتى يجعل الله لهذا الأمر مخرجاً؟!

وعليه فإن هذه الأسباب التي ذكرناها مجتمعة قد وقعت حائلاً ما بين المُطَمِّنة وما بين إثبات مرجعيتهم لقبالية، كما إنها ساهمت في تكريس هذه المعادلة التاريخية والتي أصبحت مع مرور الزمن عرفاً خاطئاً يتداوله الناس على أساس أنه الحقيقة والصواب.

ب - أسباب عدم إلحاق المُحَاطِية ببني هلال

ذكرنا في الفصل المتقدم أن إلحاق المُحَاطِية بقبيلة بني هلال سببه غلط لفظي وقع فيه الكثيرون منا حينما سموا (المُحَاطِية) بـ (المُحَاطِية) بفتح الميم، وما أدى إليه هذا اللفظ المظبوط إلى تصورات ونتائج أوصفت نسب العشيرة إلى بني هلال، ولقد بينا أن (المُحَاطِية) إنما هي نسبة إلى (مُحَاطِ بن ذهل الشيباني) وأثبتنا ذلك بكوفاتع والأدلة التاريخية.

إلا أننا لرتبنا أن نبين بشكل مفصل أسباب عدم نسب المُحَاطِية لبني هلال، وذلك لأننا إنما نخطب القواد الأعظم من الناس وليسنا نخطب المتقنين منهم فقط، ولأن غايتنا هي توضيح الأمر وإيصال الحقيقة بشكل مقنع لكل فرد يهمه هذا الموضوع.

وربما قد يصادف أن لحداً ما قد نقالجه الحقيقة، وبقى مصراً على ما تعمق في ذهنه من مطومة خاطئة، ولو كانت هذه المطومة الخاطئة لا أساس لها من الصحة.

وإن الذين كفوا قد أطلقوا وروجوا مسألة نسب المُحَاطِية لبني هلال كانوا مخطئين في ذلك خطأ فادحاً، ولا بهم هنا أن يكون هذا الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، يعلم منهم لم بجهل، ومع ذلك فليتنا سنثبت بأن هذا (النسب) هو غير صحيح وليس له أي دليل يثبت على الرغم من أننا قد أثبتنا النسب الصحيح، ونحس في هذه المسألة، لكن علينا أن نرد على هذه الشكوك والشاؤلات حتى نبين نعتاً تماماً تجاهها ونضعها على (الرف) ونتركها في ذمة التاريخ.

وإن أهم الدلائل التي تؤكد نفي نسب المُنْطَمِيَّة لبني هلال هي:

— أولاً: لم نثر في أي مصدر تاريخي قديم أو حديث ما يؤكد أن عشيرة المُنْطَمِيَّة تنتهي إلى قبيلة بني هلال العربية، على الرغم من أن هذه القبيلة العربية قد مرت بأسكن مختلفة، وهناك عشرات العشائر العربية التي تنسب إليها في عدد من الدول العربية مثل: بنو شداد، وبنو جميلة في (صعيد مصر)، وبنو عزيز، وبنو قارح، وبنو عتبة في تونس، وبنو سحيد في الجزائر، وهؤلاء مذكورون جميعاً في كتب المؤرخين.

ولم نثر في أي مستند تاريخي ما يشير إلى وجود عشيرة هلالية في بلاد الجزيرة الفراتية فاطمية، وإثنا نؤيد هذا القول بما جاء في كتاب «عشائر الشام» للباحث أحمد وصفي زكريا حيث يقول: «يرجع حي قبس بن عيلان إلى هولزن وبني سليم، وكانوا يقيمون في غربي ديار نجد في شرقي مكة والمدينة، وفي أوائل القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي) اشتد الأمر على بني سليم ومجاوريهم بني هلال الذين يرجعون إلى هولزن، وضاعت قبائل بعضهم، فهاجروا إلى ديار مصر فهبطوا أولاً نلتا النيل ثم اضطروا إلى مغادرتها قسراً، فذهبوا إلى الصعيد، وفي سنة ٤٤٤ هجرية رضوا بالذهاب إلى إفريقية الشمالية فأغلب بنو إفريقية الشمالية يهودون في أصولهم إلى بني سليم وبني هلال، وشهرة بني هلال معروفة في هذا العهد في شعر العامة في قلب بلاد العرب. وعلى وقائعهم نظمت القصة المعروفة باسمهم المنتشرة في أيدي العامة كثيراً»^(١)

(١) انظر كتاب «عشائر الشام» لأحمد وصفي زكريا — طبع الفكر — دمشق ١٩٩٧ — صفحة ٧٠/.

تتلخص من هذه المقولة الحقائق والأمور التالية المبينة على المصادر
العبكرة في التاريخ وعلم الأساطير:

١ - إن مسيرة بني هلال لم تشمل مطلق الجزيرة القروانية المعروفة
باسم ديار بكر وديار ربيعة، بينما اتجهت من نجد إلى الشمال، ومن هناك
نحو مصر وتونس والجزائر، ولهذا السبب نجد أن هناك عشائر عدة باسمهم
منتشرة في مصر والصعيد وتونس والجزائر وغيرها، بينما خلت هذه
المناطق كلها من ذكر أي عشيرة لهم.

٢ - إن التفرقة التي نتجت عنهم هي (قد نظمت) تنظيمياً أي ترتيباً،
ولا تحتوي إلا على جزء يسير من الحقائق والوقائع التاريخية، وإنما لا تعد
مرجعاً تاريخياً بالمفهوم العلمي والتاريخي لهذه الكلمة مطلقاً، بل هي أقرب
ما تكون إلى الملاحم العامة، أو الحكايات أحياناً، حيث إنها قد ذكرت أسماء
وشخصيات ومدن ليس لها وجود مطلقاً في العصر الذي ذكرت فيه، ومن
نلك مثلاً (الملك بدروس ملك حلب) ومن المعلوم أنه في القرن الخامس
للهجرة كانت حلب تخضع للدولة المرداسية العربية الكلاية، وكذلك ذكر اسم
تهمورلنك في هذا التاريخ ومن المعروف أن تيمورلنك قد جاء بعد ذلك
لتاريخ عدة قرون.

كما ذكرت التفرقة محاربة بني هلال للروم والفرس في مناطق بلاد
الشام والعراق وتركيا في حقبة تاريخية كانت فيها الإمبراطوريتان الفارسية
والرومانية قد اندثرتا.

كما إن (المسيرة الهلالية أو التفرقة) لا يمكن عدّها مرجعاً تاريخياً لذلك
لم يتم ذكرها في أي مصدر تاريخي قديم أو حديث كما لم يعتمدوا أي كاتب
أو مؤرخ مرجعاً تاريخياً له.

٣ - إن الكتب والمصادر التاريخية كلها لم تؤكد وجود عشيرة من بني هلال في الجزيرة الفراتية لكنها أكدت وجود عشقر لبني هلال في مناطق مصر والسعيد وتونس والجزائر.

- ثانياً: إن كلمة (المُحَلَمِيَّة) نشأت بشكل خاطئ في منطقة الجزيرة السورية يختلف عنه في مناطقهم الأصلية حيث يلقونها أبناء العشيرة هناك بضم الميم وتشديد اللام (المُحَلَمِيَّة) كما إن هذه الكلمة ليست مركبة كما ظن البعض أي تتألف من مقطعين بل هي كلمة واحدة وهي (صفة).

- ثالثاً: لقد استطلعنا آراء عدد كبير من كبار السن والشيوخ وقوجهاء من أبناء المُحَلَمِيَّة وخاصة الذين عاش منهم في ديار المُحَلَمِيَّة بتركيا حالياً ولكننا جميعاً إن أبناء المُحَلَمِيَّة في ديارهم الأصلية لم يسمعوا أو يعرفوا بأنهم ينتمون إلى بني هلال وأنهم هلالية إلا في الجزيرة السورية، وإن عشيرة المُحَلَمِيَّة في تركيا كلها لا تعرف هناك إلا (بعراب المُحَلَمِيَّة).

ومهما يكن من أمر فإن القضية قد حسمت نهائياً وذلك بمعرفة النسب الصحيح (للمُحَلَمِيَّة) وهي نسبتهم إلى مُحَلَم بن ذهل الشيباني، وهو نسب متوافق مع التسمية والوقائع والمحقق التاريخي، وبذلك نكون قد أسهنا في شرح أسباب هذا الخلط التاريخي، ولم يبق حجة لأحد علينا.

ج - المصاوي للنجاسة عن هذا اللفظ:

لقد مضى أكثر من ستة عقود منذ أن لحق (منطوية) الجزيرة أنفسهم بالنسب الهالكي وعلى الرغم من أن هذا النسب مطعون فيه، ولقد تمت (فهرسته)، إلا أنه قد حقق لهم غايات نبيلة وضرورية حيث إنهم وفي غمرة البحث عن مرجعية قبلية لهم، فلم يكن بالإمكان الفصل مما كان. وإذا كان المهم والأهم من كل هذا وذلك بأن (المنطوية) أولاً وأخيراً ينتمون إلى للعروبة، وهذا أمر لا شك فيه ولا غموض على الإطلاق، ذلك بغض النظر عن الانتماءات القبلية والعشائرية وإن تمسكهم بهويتهم العربية - والتي ما زالوا متمسكين بها - وخاصة في مناطق ديارهم الأصلية (في تركيا) اليوم هي قتي حمتهم وصلاتهم من كل أشكال التتريك أو التكريد أو غيرها.

وعلى الرغم من ذلك فإننا لا ننكر أن هذا اللفظ قد (عرف وشاع) في منطقة الجزيرة السورية ولقد ترسب عليه جملة من الآثار السلبية ومنها:

١ - اعتراف القبائل والعشائر العربية بهذا الأمر بالاستناد إلى ما أعلنته عشيرة (المنطوية) ذاتها بالحقاق نسبها ببني هلال، الأمر الذي سترك واقعاً كبيراً عند هذه القبائل والعشائر العربية حينما تعرف بالنسب الصحيح لهذه العشيرة وهو نسبهم إلى (منحتم) بن ذهل بن شيبان.. من بكر وإلى بني شيبان وليس بني هلال.

وخاصة أن البعض منهم قد قام بمحاولات لإثبات نسبهم، معتقدين أنه نسبهم الصحيح إلى بني هلال وقاموا بتعصيم هذا النسب إلى بعض العشائر العربية (بمبادرة شخصية ذاتية) عنهم.

وإن كانت القضية من وراء هذا العمل هي محاولة تقديم شيء ما، يُعتقد أنه للصالح العام لهذه العشيرة.

٢ - قيام بعض أبناء هذه العشيرة بتغيير نسبهم وكنيتهم إلى نسبة (الهالي) استناداً إلى هذا الأمر المغلوط واعتماداً عليه.

٣ - إسهام البعض من القلمين على رأس هذه العشيرة بتكريس هذا الغلط والترويج له، ونقاصهم بالقوت نفسه عن تقديم الأدلة المؤكدة علوه، واعتمادهم على (مقولة) غير ثابتة وغير مؤكدة.

٤ - إن عدم وجود المستند والدليل التاريخي على نسب (المعلمية) لبني هلال ترك آثاره الملمية على الوضع العام للعشيرة، حيث لم يفتح الآخر بما دعت (المعلمية)، الأمر الذي ترك المجال مفتوحاً لكثير من الأكاذيب وتلفيق التهم، والتي كانت تشك كلها في مرجعية هذه العشيرة وأصلاتها.

٥ - أثناء إعدادنا لهذه الدراسة قمنا بإجراء الحفريات العديدة مع بعض وجهاء العشيرة، وخاصة كبار السن منهم، ولقد شعرنا بأن نسباً منهم لم يكن مرتاحاً لنفي نسبهم عن بني هلال، وذلك لأسباب معنوية ليس أكثر، وإن هذا الأمر بالنسبة لهم يعد كثرة لا يحد عنها، ولقد علمنا بأن الأمر بالنسبة إليهم لا يعني (التاريخي والواقعي والموضوعي) بقدر ما يكون (المضوي) و(العرفي)، لأنهم طوي نصف قرن من الزمن عرفوا بأنهم هاليين، وعرفهم الناس بأنهم من بني هلال، وإن هذا (النسب الهالي) ليس كمثله نسباً أكبر منه وأعز جاهاً، كيف لا وإنه نسب إلى (أبي زيد الهالي) وطبعاً من لا يعرف أبا زيد الهالي وهو بطل لا يشق له غبار، وإن لتنازل عن النسب الهالي هو الجنون بعينه، ومهما كانت الأسباب والمقتضيات والأدلة.

وهم لا يعرفون بأن النسب كقولاة كلاهما ليس من صنع أنفسنا، وكما أننا لا نستطيع أن نخلق كما نشاء، كذلك لا يمكن أن ننسب أنفسنا لمن نريد ونختار ونهوى.

وإذا كان من العيب في حقنا - وليس الآن وقته - بأن نجري مقارنة بين بني هلال أو بني شيبان اليوم، وذلك لأن كلنا القبائلتين عربيتين أصيلتين، لكننا لابد أن نضع النقاط على الحروف، وأن نصحح التاريخ القلبي في مخطتنا، والذي ظل راسخاً وما زال عند البعض منذ عشرات السنين، ولابد قبل ذلك كله من أن نحدد قراءة التاريخ بلحسن عظمية وموضوعية، ولن نبرز المساوي والإيجابيات فيه، ومهما كانت وسواء أردنا ذلك أم لم نرد.

وأذكر هنا قصة حدثت معي بالذات تتعلق بهذه المسألة، إذ إنه وبعد عرض مسلسل (الزير سالم) في التلفزيون العربي السوري أثار ضجة إعلامية وشعبية كبيرة حينما عرض المسلسل مشهداً (للزير سالم) وهو مربوط بحبل إلى حصان بهرجاء.. كل الذين شاهدوا هذا المسلسل ندنوا بذلك المشهد والجميع كذبوه وأدانوه لا بل إنهم قد شككوا في نوايا الكاتب والمخرج.

كل ذلك بسبب أن هذا المشهد قد لُقط ليطل القابع في مخطتنا وذاكرتنا، والذي لا يستطيع أحد أن يسطه من على ظهر جواده فكيف به يُجرّ ويُهان.

ومن خلال عملي الصحفي التقيت بكاتب العمل معدوح عدوان الذي كان يكتب معي بذات الجريدة وتحاورنا حول هذه النقطة بالذات فكان جوابه: «لن التاريخ لا يرحم أحداً، فكيف بالزير أو غير الزير، هذه الحقيقة، حقيقة نهاية

الوزير التي أخذناها من عدة مصادر تاريخية موثقة ومؤكدة. وحينها سألته عن سبب عدم اعتماده على قصة الشعبية «الوزير سلم» لأجنب: «إن تلك القصة تقوم على خيالات عدة تصل إلى حد الأسطورة.. وكان علينا أن نعطي للناس الوجه الحقيقي للتاريخ ولو كان صعباً أو مرأماً».

لذلك استعير مما قلته عدوان بأن علينا أن نعطي لأنفسنا نسبنا الصحيح ووجهنا المشئوي الحقيقي.

ولنعود ولنقرأ تاريخ بني هلال المذكور في (المسيرة الهلالية أو التفرية) وقتي لم يتم إسنادها إلى أي مرجع تاريخي إطلاقاً، ولم نعدنا واحد من المؤرخين أو طرهم مرجعاً تاريخياً. لنعود ونقرأها من جديد قراءة موضوعية علمية لنجد كم تحتوي من مغالطات وخيالات ووقائع قد تكون شبه خرافية.. فهل يحق أن نترك المصادر التاريخية الموثقة ونستبدلها هذه التفرية لنعدنا دون سواها هي مرجعنا التاريخي الوحيد.

والتاريخ الحقيقي والصحيح يتحدث عن بني هلال أولاد عامر بن صعصعة، وهم عرب من ذوي الأصول العريقة، وإن هجرتهم نحو بلاد المغرب لم تكن سوى رحلة البحث عن العيش استغلها الوزير اليازوري، وزير الخلافة الفاطمية، لإلحاق الدمار بالمعز بن باديس لأسباب مذهبية، وأحدث الهلاليون في المغرب العربي تغييرات واسعة وعميقة، على الرغم من موقف ابن خلدون منها.

وليس من شأننا الآن التاريخ للهلالين والمسلمين، بل الذي نود تأكيداً أن ما من عشيرة من هلال دخلت الجزيرة واستقرت بها، لا قبل القرن الخامس للهجرة ولا بعده.

وتغريبة بني هلال عند قصص روائي خيالي جميل، جاء من منتجات العصر المملوكي ففي هذا العصر كتبت معظم الملاحم الشعبية مثل: الزير سالم، وعقرة، وحمزة البهلوان، والملك الظاهر. بالإضافة إلى تطور قصة ذات الهمزة، وورود اسم تيمور في هذه الحكايات دليل على التاريخ لها في العصر المملوكي الثاني.

ونذكر هنا مما تقدم عن وجود قبائل شهبان في ريف العراق، ودخولها المبكر في الإسلام، ومباشرتها بقرعة المقتي بن حفرية الشهباني إلى القيام بحركة الفتوحات منذ أيام الخليفة الصديق رضي الله عنه، وبناء عليه: إن شخصية العراق العربية الإسلامية قد أوجدتها المقتي، وإنه نتيجة للفتوحات ولعوامل أخرى استقرت شهبان منذ صدر الإسلام في الجزيرة الفراتية وإن كان لها وجود قبله في تلك المنطقة قبل الإسلام مع وجود قبيلتها الأم بكر في ديار بكر، وهو الاسم الذي منحه لتلك القبائل.

ومهما يكن من أمر فإن القضية قد حسنت اليوم، وإن هذه المنطقة التاريخية التي استمرت عدة عقود قد تبين (زيفها) وليس المهم هنا البحث عن مصدر هذه (المغالطة) أو ذلك (الخطأ) بقدر ما يكون مهماً هو عدم الاستمرار في الاعتقاد بها والترويج لها.

ولاشك في أن معرفة الحقيقة يكون في أكثر الأحيان (مفاجأة) قد لا يقبلها أحد، أو قد يلقى صراحة في تقبلها، لأنها تهدم ما ترسخ في ذهنيته من أمور خاطئة تشكلت على مدى زمن طويل، وباتت (عرفاً) ما لبث أن انقلب إلى واقعاً (تاريخياً) قد يكون من الصعب لفظه في لحظة واحدة، ومن الصعوبة تقبل خبره.

ولكن لابد من مواجهة الحقائق، والمأساة هنا لا تتعلق بقضية ذاتية وإنما تتعلق بمجموعات كبيرة من الناس شكلت على مدى قرون طويلة عشيرة كبيرة مترامية الأطراف لها جذورها العربية الأصيلة، وعليه فإن قضية نسب (المُعلمية) إلى بني هلال أصبحت (مسألة منتهية) في نظر الواقع الموثق والتاريخ، وهي غلط تاريخي تم كشفه ولو بعد حين، ويجب بالتالي إلغاء كل ما ترتب عليه من أثر إيجابية كانت لم سلبية.

وإننا نود أن نفتتح هذه الفرصة لنؤكد من أن هناك ضرورات عندنا تكفينا اليوم إلى إعادة قراءة التاريخ وكتلته من جديد بهدف غرضه لتقديمه للأجيال القادمة متفتحاً، حتى تتمكن تلك الأجيال أن تقرأ قراءة صحيحة، لأننا نحن أبناء هذا الجيل من (المُعلمية) عاقبنا كثيراً، وكانت بداية هذه المعاناة فقدان (الموطن الأصلي) ومن ثم فقدان الانتماء، وبعدها المغالطات التاريخية والهجمات المفروضة، التي كانت لن تذهب بهذه العشيرة.

لعلنا لن نتحمل هذه الحقيقة، ولعلنا نكون قد قرأنا تاريخ هذه العشيرة قراءة موضوعية علمية صحيحة، وكتبناه بصورة موضوعية صحيحة، لنسلمه لمن يخلفنا وثيقة تاريخية صحيحة، عليم لا يعاقبون مثلما عاقبنا وعلنا نكون قد اختصرنا لهم الطريق الطويل والشاق الذي سرنّا عليه طوال عدة عقود مؤلمة.

الفصل السادس

في الرد

على مسألة انتماء المنظمة للصريان

— أولاً —

المحاولات السريانية

لقد ذكرنا فيما تقدم أن عشيرة المُنطَمية قد تعرضت لمحاولات جذب من قبل مجموعات عرقية غير عربية لو دينية بهدف ضم هذه العشيرة إلى تلك المجموعات ومصادرتها تاريخياً. وبقلي فإن هذه المحاولات هي أشبه ما تكون (بعملية قرصنة تاريخية) بحقها والغلبة الحقيقية منها الانقراض على تاريخ العشيرة وضمها، ومن هذه المجموعات الجانية والتي حاولت جذب (المُنطَمية) لها هم سريان الجزيرة الذين كانوا يعيشون بالجزر من أمكنة وجود قرى وبلدات المُنطَمية في ديلر بكر وديلر ربيعة.

ولقد كانت أعنى هذه المحاولات هي تلك التي قام بها الأب مار أهداطيوس الأول حينما ذكر أن المُنطَمية كثروا سريانياً وأسلموا منذ حوالي ثلاثمئة سنة، وجاء ذلك في كتاب «طور عابدين» والذي ألفه باللغة السريانية عام ١٩٢٤ وترجم إلى اللغة العربية عام ١٩٦٣.

وخصص فيه فصلاً كاملاً عن عشيرة المُنطَمية، وذكر أسماء قراها ومراكز تجمعها، ومع إقرئنا بحضور السريان وأصلقتهم في سورية حضارياً ولغوياً، لكن لا بد من التمسك بالحقائق الموثقة، ومن هذا المنطلق يأتي ردنا على ما جاء في ادعاءات المؤلف المذكور في محطه، لأنه أمر لا مفر منه طالما نحن نتحدث في هذا المؤلف عن عشيرة المُنطَمية وما يتطرق بها. ولكون هذا الادعاء قد ساهم بشكل أو بآخر وبطريقة مباشرة أو غير

مباشرة، ومقصودة أو غير مقصودة، ساهم في خلق نيلز عريض يؤيد هذه النظرية ويدعمها، ويروج لها، وساهم في خلق الكثير من المفاهيم والإشكالات التاريخية حول انتهاء (المعلمية).

وسنقوم بالرد منطقياً على هذا المؤلف وأقواله حول هذه المسألة، ولكن لا بد قبل ذلك من إعطاء فكرة ملخصة عما جاء في هذا الكتاب بخصوص (المعلمية) ليستنى للقارئ الاطلاع عليه.

يتحدث المؤلف في كتابه «تاريخ طور عابدين» معرّفاً بالمكان وهو جبل طور عابدين أنه: «منطقة جبلية تقع ما بين نهريين إلى الشمال الشرقي لمدينة ساردين»^(١).

وقد قال: «إن الجانب المطل على المنطقة المعروفة قديماً بـ (باعرانيا) — أو المنطقة العربية — يعرف باسم جبل قرلا»^(٢).

وفي الفصل الثالث من كتابه تحدث عن تنصر سكان طور عابدين وأكد أن منطقة بازدي (أزخ) قد نالت البشارة الانجيلية مع مطلع القرن الثاني أي حوالي ١٢٠ م.^(٣)

والمعروف أن أزخ (بازدي) هي معروفة تاريخياً بأنها أول ما تبدأ به المنطقة العربية، أو كما سماها (باعرانيا).

وأضاف: «إن المسيحية انتشرت انتشاراً كاملاً في كل هذه المنطقة اعتباراً من القرن الرابع الميلادي»^(٤).

(١) و (٢) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» — لمؤلفه مار اغناطيوس الأول — صفحة ١٩٧.

(٣) المرجع نفسه صفحة ٢٠١.

(٤) المرجع نفسه صفحة ٢٠١.

وأكد على ذلك بقوله: «جاء في منتصف القرن الرابع الميلادي هبط
الجنل القديس لوجين القبطي.. وعاش فيه.. وبعد بضع سنوات.. نشروا..
بشارة الخلاص بين الأرمن والمجوس والوثنيين القاطنين في هذا الجبل
طور عابدين وباعربايا (فيار العرب) حتى جزيرة ابن عمر.. وهوا خلقاً
كثيراً وشيدوا الكنتمس».^(١)

ثم ذكر عشائر المُنْطَمِيَّة بقوله: «في سنة ١٦٤٢م استولى الأمير التركي
الأعور بن خليل الطويل على قلعة هوشم، وطرد منها الأمير أحمد بن نطفه،
وجمع إليه (الأعور) عصابات كثيرة من الأكراد اليازيدية والجلودية،
والمُنْطَمِيَّة».^(٢)

وتحدث عن قلعة (المُنْطَمِيَّة) بقوله: «هناك قلعة أخرى في بامبرينا
ذكرها القس لوي في سنة ١٤٥٢م وتدعى قلعة المُنْطَمِيَّة وكانت قلعة
صغيرة».^(٣)

ثم تابع قوله: «في عام ١٤٦٠ استولى الأتراك آل حسن بك الطويل،
على قلعة الجديدة وطردوا منها (المُنْطَمِيَّة)».^(٤)
وتحدث عن مدن طور عابدين وقراء وديكره، وذكر أسماء المدن
والقرى المُنْطَمِيَّة أيضاً، وأشار إلى هذه القرى باسمها مثلاً: «ومنها كفر
جوشن.. كفر عرب.. (وكلاهما للمُنْطَمِيَّة)»..^(٥)

(١) انظر كتاب [تاريخ طور عابدين لمنز المخطوطات قديم الأول] — صفحة ٢٠٢.

(٢) انظر المرجع نفسه — صفحة ٢٠٨.

(٣) انظر المرجع نفسه — صفحة ٢١٠.

(٤) انظر المرجع نفسه — صفحة ٢١٠.

(٥) انظر المرجع نفسه — صفحة ٢١٢.

ثم ذكر أسماء سلسلة المساقفة طُور عابدين بصورة متتالية منذ العاشر
 ١٤٥٠ حتى العام ١٩١٥ ومنهم: المنديلي، النحلي، الجسماني، الزلزلي،
 الكروبيسي، النصيبوني وهذا نموذج من الأسماء وليست كلها.
 ثم ذكر أسماء القرى التي ينتسب إليها القسوس والأساقفة وهي مثلاً:
 قرتمين (قرية ثمانين)، عرنس، كفر رزي، انحل، آل ريشا، زركل، بيت
 ليل، حصن كيفا، سعرت، منيات.

وخصص الكاتب الفصل الثالث والعشرين من الكتاب للمُعلمية وقال:
 «إن المُعلمية منطقة واسعة إلى الجهة الجنوبية من طُور عابدين، وكان فيها
 أكثر من خمسمئة قرية، والقرى المعروفة فيها إلى يومنا هذا هي (السل) كفر
 حور — لبشة، كفر شمع، شور أصبح...»^(١)
 ثم أضاف: «إن معظم سكاتها كانوا سرياناً».

ثم زاد: «إنه بحوالي عام ١٥٨٢ كثرت المظالم والضيق على
 المسيحيين من قبل الحكام الأتراك الظالمين لعمى اضطرت قبائل المُعلمية
 ومنها السل.. فاعتنقت الإسلام تخلصاً من الظلم».

ثم تحدث عن هذا الحدث الهام (كما سميته) الذي اضطُر فيه (المُعلمية)
 لاعتناق الإسلام فقال: «حدث هذا الحدث الهام في عهد سهر بطريرك طُور
 عابدين، وفي رغبة أخرى إن ذلك جرى في عهد عبدو قهوزي الذي تجهل
 حتى رئاسته، أما التقليد الشعبي الذي يتناقله الناس في طُور عابدين، والذي
 مؤداه أن هذا الحدث كان في عهد بطريرك سملن بطريرك ماردين، فلا
 صحة له مطلقاً وليس إلا رغبة خيالية»^(٢).

(١) انظر كتاب (تاريخ طُور عابدين) لمؤلفه من المخطوطات الأولى — الفصل الثالث
 والعشرين.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة ٣٥٣.

لكن ما هي هذه الرواية الخيالية؟!

يتحدث مؤلف الكتاب عنها مثبعا: هو سييه أن اسم إسماعيل أصبح غير ذا قيمة في طور عابدين للشقاق الذي أثاره في الكنيسة لسوء إدارته، فتمسب إليه اعداؤه هذا الحدث لفضاء، وادعوا أن ذلك إنما حدث عندما منع البطريرك لبناء هذا الشعب (أي المَطحمة) من تناول الطعام المحرم في الصوم، فحرمهم البطريرك أو رفض قبولهم... فطمعوا»^(١).

وهذا يدل على أن ما كان يشاع عند المروان من أن سبب إسلام (المَطحمة) هو الصوم يحضها مؤلف الكتاب ويعدها رواية خيالية لا أساس لها من الصحة.

ثم تحدث في الصفحة ٣٥٤: وأنه أخبرنا شيوخ قضاة بأن إسلام المَطحمة لا يرتقي إلى أكثر من ٣٠٠ سنة»^(٢).

وتحدث أخيراً في الفصل الرابع والعشرين من الكتاب المذكور عن الفتوحات الإسلامية لتلك المناطق: «إنه في سنة ٦٤٠م استولى عياض بن ريم على طور عابدين صلحاً، ومنذ ذلك حكم المنطقة حكم أمم المسلمين»^(٣).

تلك كانت أهم الأحداث التي ذكرها المؤلف في كتابه والمتعلقة بالمَطحمة، ولارتأينا أن ننقلها بشكل كامل وحسب تولد ذكرها في الكتاب ليشتمل لنا الرد على كل ما ذكره مفصلاً.

(١) انظر كتاب طور عابدين لمؤلفه مار نضالطوس الأول — صفحة ٣٥٣.

(٢) انظر المرجع نفسه — صفحة ٣٥٤.

(٣) انظر المرجع نفسه — الفصل الرابع والعشرين.

— ثانياً —

الرد على ما جاء في كتاب طور عابدين

إن الرد على ما جاء في كتاب (طور عابدين) يمكن إجماله في أربعة
مواضيع ومعالور رئيسية وهي:

المحور الأول: الخلط بين مفهوم القومية والدين.

المحور الثاني: إغفال عامل اللغة.

المحور الثالث: المغالطات التاريخية والاعتماد على المصادر الكنسية
واللاهوتية دون سواها.

المحور الرابع: إعطاء مثال واقعي (الأرمنية).

المحور الأول:

الخط بين مفهوم القومية والدين

السريان هم المعروفون تاريخياً (بالجرانقة)، وقد تهللت آراء المؤرخين القدماء في توضيح أصولهم، فمال بعضهم إلى القول بأنهم من الفرس أو العجم.^(١)

لكن المؤرخين المعاصرين نجحوا في أن يتقوا بأن الجرانقة هم الآراميون الغربيون، وأنهم عُرفوا بالسريان نسبة إلى سورية، ومن بين هؤلاء الباحثة القس سليمان الصلح إذ قال: «لما بشل تسميتهم بالسريان عند ألمح إليها المسعودي بقوله: الجرانقة هم طائفة من الكلدانية أي السريان...».^(٢)

وهذا ما أكدته القس سليمان الصلح في حديثه عن اللغة الآرامية عندما لفت: «وكانت لغة الآرامية منتشرة قبل ظهور الإسلام شرقاً إلى إمارة حدياب (ولن) إلى سورية غرباً وشمالاً إلى لرمينية.. حيث كان يقطن الآراميون، وهؤلاء تركوا بعد تنصرهم اسمهم القديم وتسموا بالسريان المشاركة والمغاربة ليميزوا عن الآراميين الوثنيين».^(٣)

(١) انظر كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير - الجزء ٥ - صفحة ٧٥.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الموصل» لسليمان الصلح - بيروت - مطبعة كاتوليكية ١٩٢٨ - صفحة ١٤٥.

انظر أيضاً - كتاب «التبعية والإتلاف» - طبع القاهرة دار المصري (بدون تاريخ) ج ١ - صفحة ١٤٥.

(٣) انظر المرجع نفسه صفحة ١٣.

ومما يوضح هذه المعاني والحقق المذكورة أعلاه ما جاء في كتاب «تاريخ كلدو وآشور» لمؤلفه لادي شير — ونظراً لأهميته فإننا نورد المقاطع التالية:

قال (لادي شير) مؤلف كتاب «كلدو وآشور»: «إن اسم الكلدان أو الآشوريين يطلق على شعب واحد دون تمييز، لأن لسانهم واحد وديانتهم، وتقدمهم وعقائدهم واحدة لا تختلف، غير أنه لما انتشرت الديانة المسيحية بينهم أهمل (المتنصرون) الاسم الكلداني الآشوري لفقرهم من كل ما يدل على الوثنية، لأن اسم الكلدان في تلك الأقطاب سار مرادفاً للتجهيم والظلم، وسماوا أنفسهم مشرقة، وكنيستهم الكنيسة الشرقية، ولكنه اسم غريب خارجي، أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل (سورية)، ومن ثيونان استعاره الأراميون الفرييون، ومنهم سرى إلى المتنصرين من الكلدان الآشوريين الوثنيين، فلم يكن الاسم سرياني يومئذ يشير إلى أمة، بل إلى الديانة المسيحية لا غير، ومما ثبت قولنا ما أتى في كتاب تاريخ يلهيا مطران نصيبين (٩٧٥ — ١٠٤٦م) فإنه سر لفظة سرياني بلفظة نصراني. وإلى يومنا هذا ترى الكلدانيين الآشوريين لا يتخذون لفظة سرياني للدلالة على الجنسية، بل على الديانة، فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحي من أي أمة وكنس كان^(١).

وأضاف: «إن لغتهم كلدانية، ويقال أيضاً: أرامية، وعطفاً سميت سريانية كما إنه عطفاً سمي أجدادنا النصاري سرياناً...»^(٢).

(١) انظر كتاب «تاريخ كلدو وآشور» لادي شير — بيروت — الطبعة الكاثوليكية — ١٩١٢ — صفحة ٩٩٦ — وانظر أيضاً كتاب «الكنيسة القبطية في نحو اللغة السريانية»..

ليوسف دبور — طباعة الموصى ١٨٩٦ ج ٢١.

(٢) المرجع نفسه — صفحة ٩٩٦ — لادي شير.

وإن هذه الحقائق المذكورة أعلاه فكذلك مؤلف (كتاب طسور عابدين) بطريقة غير مباشرة ودون أن يقصد عندما تحدث في كتابه عن نشر بشارة الخلاص في جبل طور عابدين قتلًا: «بين الأرمن والمجوس وقوشيين القاطنين في الجبل».^(١)

ولا ندري من المقصود (بالأرمن) كما أنه لم يذكر عبارة (بين السريانيين) وهذا يؤكد من أن الأرمن هم الذين تنصروا وسماوا بعد ذلك (سريانيًا).

وهذا يعني بأن السريان لم يكونوا في وقت من الأوقات أمة، وإن كلمة سرياني مرادفة لكلمة نصراني، وهذا ما جاء تلميحاً في كتاب تاريخ إيليا مطران نصيبين عندما قرر نقطة سرياني بلغة نصراني وليس هذا السبب لا يطلق للكلمات الأتوريين لفظة سرياني للدلالة على الجنسية بل على الديانة.

من كل ذلك نستخلص من هذه الأقوال والمراجع التاريخية بأن السريان هم: طائفة دينية ذات أصول كلدانية أو آشورية، ولا تكل كلمة (سرياني)، على إغناء أمة سريانية بالمعنى الأبتولوجي لهذه الكلمة، إنما هي مرادفة للنصرانية، وهم قد تنصروا منذ أوائل القرن الثاني الميلادي على ما نكره أكثر المؤرخين، وأصبح مثلهم مثل أي طائفة أو قبيلة تنصرت، مثل قبائل تغلب وبكر وطى العربية والجورجان الكردية.

والجماعات الأتورية الكلدانية التي ينتمي إليها (السريان) موجودة قبل النصرانية وقبل الإسلام، وكذلك هي حال الأمة العربية، ذلك أن الشعوب في تاريخ حياتها قد تنتقل من دين إلى دين دون أن يغير ذلك أو يؤثر في المقومات الأساسية للأمة.

(١) انظر كتاب «تاريخ طور عابدين» لمؤلفه مار اغناطيوس - صفحة ٢٠٢.

فهناك قبائل عربية كما أسلفنا من قبل قد تنصرت كطى وتغلب، فهل نستطيع أن نقول بأن تلك القبائل التي تنصرت قد أصبحت غير عربية؟! ثم إن الصلات بينها وبين الآرامية (السريانية) وشيجة وأصلية.

وكذلك الحال فإن هناك قبائل كردية قد تنصرت مثل القوقوبية والهورجان، وهي تعيش في منطقة مجاورة لطور عيليين أيضاً، فهل نستطيع أن نقول إن هذه القبائل قد (صار) سريانية أو أرامية؟! ذلك أن نصرانيتهما لم تلغ لو تبدل من قوميتها شيئاً حيث ظلت تلك القبائل كردية.

وتحدث ابن خلدون في «تاريخه» عن بني تغلب قائلاً: «وكانت ديارهم في الجزيرة لجهات سنجار ونصيبين، وتعرف بديار ربوعة، وكانت لهم شهرة واسعة، والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم»^(١).

كما تحدث الأخطل عن بني قومه التغلبين العرب وقال:

وبحاً بني تغلب ضرباً ناقماً

أعر يأساً ولقدبوا مجاشعاً^(٢)

وقال إسحاق لرملة: «واسم ربوعة لهذه البلاد قديم كانت للعرب تحله في بوائيه قبل الإسلام، ويتصل نسب ربوعة بن نزلر بإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام»^(٣).

(١) — انظر — ابن خلدون، تاريخه، جزء ٢، ٣ صفحة ٦٢١، ٦٢٢.

(٢) — انظر — الأخطل — النور — صفحة ٧٤٤.

(٣) — انظر كتاب «القصارى في نكبات القسارى» لاسحاق لرملة — طبعة بالأوغست — ١٩٧١ — ج ١ صفحة ٦.

ونلاحظ في هذه المقاطع التاريخية أن المؤرخ ابن خلدون، والأخطل، وإسحاق لرملة عدوا - وهذا صحيح - أن بني تغلب هم عرب نصارى، وأن ربيعة التي ينتسبون إليها هي عربية، والأخطل نفسه عربي تغلبي نصراني.

لكن مؤلف كتاب «طور عشرين» الأب مار اغناطيوس هو الوحيد الذي رأى أن بني تغلب هؤلاء كانوا «سرياناً» حيث ذكر في كتابه «اللولو المنثور»: «كانت منازل التغلبة لو بني تغلب إحدى قبائل العرب الكبرى كانت مسيحية سريانية أرثوذكسية ظلت على نصرانيتها حتى المئة العاشرة، ومن أشهر رجالها عيالت بن عوث المعروف بالأخطل»^(١).

قال: إن تغلب من قبائل العرب الكبرى، أي إن انتسبها عربي، ثم قال بأنها كانت (مسيحية، سريانية أرثوذكسية) أي إن ديانة تغلب كانت (مسيحية)، وهذا يفيد بأن تغلب عربية القومية، و(مسيحية) الديانة، أو بهارة أدق (نصرانية) وهذا دليل قوي منه واعتراف خطير على أن النصرانية (المسيحية) هي الديانة، وأن القومية صير الدين، إذ إنه قال: إن انتسب تغلب القومي هو عربي، وبأنها (مسيحية سريانية)، أي: نصرانية. فالسريانية هي النصرانية، وهي ديانة وليس قومية وهو المطلوب.

وهذا ينطبق تماماً على قبيلتي بكر وطى، وكذلك على بطون بكر ومنهم بنو شيبان، ومنهم بنو ضحلم، ومع ذلك يمكن القول بأن بنى ضحلم عرب شيبانيون كانوا (نصارى) ثم أسلموا، كما قال بأن (بنو تغلب) عرب كانوا نصارى ثم أسلموا، ولا يمكن القول برولية أن المظمية كانوا نصارى ثم

(١) انظر كتاب «اللولو المنثور» - مار اغناطيوس الأول - صفحة ٥٠٦.

أسلموا قبل حوالي ثلاثمئة عام، لأن قبائل بني شيبان هي التي تولت أعباء مرحلة الأيلام في فتوح العراق، ولم يرد في المصادر وجود نصارى بين شيبان بعد ذلك التاريخ، هذا ولا يمكن القول بالتعميم الذي ذكره إسحاق لرملة في كتاب «النصارى في تكبات النصارى» حيث قال: «وشدد الحكم بعده على النصارى، وأُخذوا بهم التكبات والعقوبات، فاضطر نصارى الصور والأحمدي واسن ورسمل وعشقر المضلمية والرقندية والمخاضونية أن يهجروا النصرانية ودينوا بالإسلام»^(١) فهذا اسم المضلمية مقوم لسبب ما. ١٢.

وإن جملة (كانوا سريانيًا ثم أسلموا) هي عبارة ملفقة تاريخياً إذ أنه قد أن كل نصراني في المنطقة هو سرياني الأصل، وهذا خطأ فلاح قد دل عليه أدبي شور حينما قال: «لم يكن الاسم السرياني يومئذ يشير إلى أمة بل إلى ديانة»^(٢).

والملاحظ هنا أن هناك ازدواجية في استعمال المصطلحات، وإطلاق الأحكام، وذلك دون الاستناد إلى معيار تاريخي علمي ثابت وواحد للتوثيق، فالكتاب يتحدث عن الفصل بين (السريانية) كدين وبين القومية حينما قال بأن تغلب عرب، وأن ديانتهم نصرانية (سريانية)، بينما لم يأخذ بهذه النتيجة عندما تحدث عن المضلمية وهم من بكر، فقال إنهم كانوا (سريانيًا) ثم أسلموا.

(١) فنظر كتاب «النصارى في تكبات النصارى» لاسحق لرملة — طبعه بالأوفست — ١٩٧١.

(٢) فنظر كتاب حنكلو وقور» لأدي شور — بيروت — الطبعة الكاثوليكية — ١٩٦٦ — صفحة ٩٩٦.

ولم يشر هنا إلى عروبتهم من أنهم كانوا من بني بكر، وتجاهل تاريخ الثورات الشيبانية الخارجة في الجزيرة طوال العصر الأموي ولوقت العصر العباسي، والمؤلف نفسه عاد واعترف بهذه الاستقلالية (المطمية) كمجموعة عربية غير دينية في الصفحة ٢٠٨/ من كتابه حيث قال: «في عام ١٤٦٢ استولى الأمير وجمع إليه عصابات كثيرة من الأكراد، واليازدية والجارودية والمطمية» فهو صنف المطمية كثيرة مستقلة مثلها مثل العشائر الأخرى كالأكراد، والجارودية، أي إنه لم يقل (المطمية - السريان) في ذلك التاريخ علما أنه في ذلك العام لم يزل حوالي سبعة سنة لم يكن قد أسلموا لأن إسلامهم كان - حسب زعمه - قبل حوالي ثلاثين عام والحادثة المذكورة أعلاه يرجع تاريخها إلى حوالي سبعة عام.

وهذا تناقض واضح في أقواله ويدل على أن (المطمية) هم مجموعة عربية مسلمة، ولم تكن (مجموعة دينية سريانية) كما أراد أن يوهنا. وهذا يبدو الأمر واضحا وجليا أكثر عندما نشر المؤلف في قرى المطمية إشارة واضحة، وفصلها عن باقي القرى (السريانية) بإضافة جملة أو عبارة (وكلاهما للمطمية)، وبذلك أعطى لهذه القرى التي سكنها المطمية طابعا مستقلا بذاته تميزا لها عن باقي القرى السريانية، وهذا التمايز يدل دلالة واضحة على تمايز الانتماءات النسبية بين (السريان) و(المطمية العرب). كما إنه قد ذكر قلعة المطمية، وحدد منطقة وجود المطمية في الجهة الجنوبية من طور عابدين، وهي ذاتها المعروفة تاريخيا، باسم (المنطقة العربية)، أو بأعربيا (دار العرب)، ولقد أطلق (السريان) أنفسهم هذه التسمية.

ومن المعروف إلى يومنا هذا بأن المقصود بالعرب التي سكنوها هم (عرب بكر)، والمُحلّمة هم من بني شيبان بن بكر، فالمُحلّمة إذن هم المجموعة العربية التي سكنت تلك المنطقة (طور عابدين) ومنذ زمن طويل مثلما تم إثبات ذلك في الفصول الماضية من هذا الكتاب، ولهذا السبب سماها المؤرخون بديار بني شيبان.

وعلى الرغم من ذلك فإن لدينا أدلة تاريخية قوية تؤكد أن بني شيبان ومنهم (المُحلّمة) — كانوا قد أسلموا مبكراً، نذكر من هذه الأدلة ما يلي:

— ما ذكره ابن الفقيه الهمداني بقوله: حقل الزهرلوي.. ثم يرقى موضع قدم بالجزيرة إلا وفتح على عهد عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم، ففتح حران والفرقة.. ونصيبين وكفر ثوثا.. وطور عابدين، وحصن عاردين، ودارا وبلاردي...^(١)

— ولقد أكد حسن شمساني ذلك بقوله: هوّلد جهود عياض بن غنم في تلك الفتوحات، كل من ابن الأثير، وابن العبري، وابن شداد، وابن كثير وابن خلدون وأمثالهم، ويستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون أنه لما تولى عمر بن الخطاب أمر الخلافة عام ٦٣٤ - ٦٤٤م والمصالح ١٢ - ٢٤ هجرية أوفد إلى أبي عبيدة بن جراح أن يعقد لعياض بن غنم ويجهز معه الجيوش إلى ديار ربيعة وديار بكر، فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل، ومبار عياض يريد الجزيرة، ففتح قسن والفرقة ورأس العين وماردين، ثم أرسل الوليد بن عتبة فجمع بني تغلب النصاري في تلك الديار، فطلبهم بالإسلام، فأسلموا، ثم حمل المسلمون على قرقمسا، وملكوها، وكذلك استولى على

(١) انظر كتاب مختصر كتاب البلدان — لابن الفقيه الهمداني صفحة ١٣٢.

ماكسين، والشعاسيون، وعربان، والمجذل، وتبعهم في المذهب معظم نصارى بلاد ربيعة، وديار بكر، وديار مصر»^(١).

ولقد قال سعيد القديوه جي: «إن بني شيبان بطن من بكر بن وائل، القبيلة التي انتشرت إلى ديار بكر التي عرفت بها، وسكن بنو شيبان الجزيرة والموصل، وكثرت لهم كثرة شرقي دجلة في جهات الموصل في صدر الإسلام، وأكثر قبة الخوارج منهم...»^(٢).

وقال في مكان آخر: «ومن القبائل التي تقطن بلاد الجزيرة والموصل، هم بنو شيبان، واستمرت ثورتهم حتى القرن الثالث للهجرة، ومن بني شيبان شبيب بن يزيد الخارجي»^(٣).

وقال: «في سنة ٢٧٩ هجرية.. زحفت بنو شيبان على نينوى والموصل، فتصدى لهم هارون الشاري، وحمدان بن حمدون التغلبي، وانقروا مع بني شيبان في بحسيفة، ومع بني شيبان هارون بن سليمان مولى أحمد ابن عيسى بن الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر»^(٤).

وأخيراً، ذكر حسن شمرساني نزعم بني شيبان لحركة الخوارج بقوله: «كما إنه كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثورتهم وغارتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض

(١) انظر كتاب «مدينة ماردين» لحنن شمسانى — طباعة علم الكتب — بيروت ١٩٨٧ ص ٤٧.

(٢) انظر كتاب «تاريخ الموصل لسعد القديوه جي» — صفحة ١٩.

(٣) انظر المرجع نفسه — صفحة ٤٦.

(٤) انظر المرجع نفسه — صفحة ٧٤.

الجزيرة لثمة قسيء على تلك الجهات... والواقع إن مسألة الشيبانيين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حيناً والانتفاضة عليهم لحياناً...^(١)

من كل هذه الأدلة التاريخية التي أبرزناها تبين لنا أن الشيبانيين ومنهم (المُحمّمية) هم قد أسلموا مع قبيلتهم قبيل العلم ٢٢ هجرية مع غيرهم من قبائل بكر وتغلب، وهم أيضاً قد تزعّموا بعض حركات الخوارج، وكما هو معروف هي حركة دينية إسلامية، وليس كما يدعي المؤلف أن إسلامهم كان قبل حوالي ٣٠٠ عام، دون أن يستند إلى أي مصدر تاريخي موثق، ولهذا السبب نرى أن المؤلف نفسه قد وقع في تناقضات تاريخية تتعلق بمسألة إسلام المُحمّمية ومنها:

١ - عدم صحة الروايات التي استند إليها وذكرها عن تاريخ (إسلام المُحمّمية)، أو العصر الذي جرى فيه هذا الحدث.

فلقد عُدّ الرواية التي تتحدث عن (إسلام) المُحمّمية في عهد عبدو الهوزي لا أساس لها من الصحة، وذلك لأن المؤلف نفسه ينفي حتى وجود (الهوزي) برمته، لأنه يجهل حتى تاريخ رئاسته.

٢ - وكذلك نحض للكاتب (التقليد الشعبي) الذي نقله الناس في طور عابدين، والذي مؤداه بأن هذا الحدث (أي إسلام المُحمّمية) كان في عهد البطريق (إسماعيل)، فلقد عُدّ للكاتب هذه الرواية خرافية.^(٢)

(١) انظر كتاب مدينة مؤيد بن الحسن شمساني - طباعة عالم الكتب - بيروت - عام ١٩٨٧ ص ٨١.

(٢) انظر كتاب تاريخ طور عابدين - لمؤلف المخطوط الأول - صفحة ٣٥٢.

والجدير بالذكر أن هذه الرواية الخيالية التي تحدث عنها ما زالت عند البعض في منطقة الجزيرة صحيحة، حيث يؤكدون أن (إسلام المُطَمِّية) كان سببه عدم قدرتهم على تحمل الصوم وذلك على الرغم من أن الكلب نفسه — كما ذكرنا — قد عد هذه القصة خيالية أي خيال في خيال.

٣ — ثم يعود المؤلف ليروي وفق ما يعتقد أنه الصحيح من هذه الروايات الكثيرة والغريبة، ويدعي أن المُطَمِّية قد أسلموا بسبب ما لقوه من اضطهاد على يد (العثمانيين)، وهذا أيضاً يفكر إلى التابل التاريخي، لأن اضطهاد الأتراك — على فرض وقوعه — لم يقع على المُطَمِّية وحدهم، وإبه لابد وأن شمل جميع المسيحيين في المنطقة، ولا ندري لماذا لم يجبر هذا الاضطهاد الجماعات النصرانية والسريانية الأخرى على الدخول في الإسلام كما أجبر (المُطَمِّية) على الدخول فيه؟! ولماذا لم تجبر المجموعة الأرخية المسيحية على دخول الإسلام على الرغم من أن هذه المجموعة مجاورة للمشارق المُطَمِّية، وظل أهل أرخ على نصرانيتهم؟!

وحيثما كُتِبَ فكلت الروايات الأخرى التي تتحدث عن إسلام المُطَمِّية، فإلنا لا ندري إلى ماذا نستند في هذه الرواية الأخيرة، ودون أن ينكر المستند التاريخي الذي يدعم رأيه وقوله؟ وهذا يحى بالمفهوم العلمي التاريخي أن روايته هذه هي أيضاً رواية خيالية مثلها مثل جميع الروايات الخيالية الأخرى التي ذكرها وأكدها بنفسه إنها خيالية.

والزائر اليوم لدير المُطَمِّية قد يتبرق انتباهه مقابر المسلمين هناك، فسجد أن بعض القبور والتي يرجع تاريخها إلى زمن بعيد هي قبور لموتى مسلمين، وما يدل على ذلك وضعية (الشاهدة) على القبر، وكتابة اسم

المتوفى، وبعض الألفب القرآنية، وهذا دليل واقعي آخر على أن المخطوطة قد أسلموا قبل غيرهم من القبائل البكرية والتنطبية في تلك المناطق.

٤ - لقد ذكر المؤلف لمساء لسافة طور عابدين وفق تسلسل عهودهم التاريخية حتى تاريخ ١٩٢٥، وذكر من هؤلاء: (السيريني، الكرزي، العينوردي، القرميني، المذيتي، النصيري). ثم ذكر القرى التي أنجبت هؤلاء القساوسة، ونذكر من هذه البلدات (قرمتين «قرية ثنتين»، كفر رزق، عين ورد، زلز، باري، كلبين، الأمدي، عرنس، آل ريشاء، حصن كيفا، سعرت). ومن هنا نلاحظ أن هؤلاء القساوسة الكرام جميعاً كانوا ينتمون إلى قرى سريانية معروفة، وما يزال بعضها قائماً إلى اليوم، ولأن منبتهم كان من هذه القرى السريانية.

لوليس من الغريب أن لا ينتمي أي واحد من هؤلاء القساوسة إلى بلدة أو قرية (محلّية) في منطقة أدعي بأن سكانها كانوا سرياناً؟ وهذا دليل قاطع وقوي على أن القرى والبلدات المخطوطة هي قرى (عربية مسلمة)، وأنها لم تنجب أحداً من هؤلاء القساوسة منذ أكثر من ألفي سنة.

■ - ولقد قال الكاتب بأن شيوخاً نقلت أخبارهم بأن (إسلام) المخطوطة (لا يرتقي إلى أكثر من ٣٠٠ عام) وهذا يعني أن روايته هي عبارة عن حديث وكلام ولا ترتقي إلى مستوى السند التاريخي الموثق والمعتمد.

ولقد يُخيل من حديثه للوهلة الأولى أن كلمة (شيوخ) قد يقصد بها شيوخ القبائل والعشائر العربية تلك، لكن في الحقيقة فإن تعبير كلمة (شيوخ) قد قصد به للكاتب (القساوسة والبطريركة)، وهذا أمر طبيعي لأنهم من كبار السن الأقباء، ونرى ذلك واضحاً في الصفحة /٢٢٠/ من كتابه لدى حديثه عن أحد المطارنة ولحمه (ثامسيوس - النعلبي) واصفاً بإياه بأنه (شيخ فاضل نقي).

المحور الثاني

(اللغة)

من المسلم به أن اللغة هي السمة الرئيسية والأساسية التي تعبر عن هوية شعب، أو جماعة، والمُحَلِّمُونَ — كما سبق ولتبتنا أنهم من بني مُحَلِّمِ الشيباني أي أنهم من بكر — قد حافظوا على لغتهم باعتبارها خيط دفاعي حصين، صلتهم وحماتهم من كل محاولات الهيمنة، والتي أريد منها طمس هويتهم العربية، واللغة التي يتكلم بها المُحَلِّمُونَ هي اللغة العربية، لغة آبائهم وأجدادهم العرب، وقد حافظوا عليها إلى يومنا هذا في جميع مناطق وجودهم في تركيا، حتى إنهم استطاعوا أن يفرضوها على بعض العشائر الكردية، والسريالية المجاورة كلفة ثالثة بحكم الجوار، في حين لم تستطع تلك الطوائف الأخرى فرض لغتها عليهم.

وعليه (فالمُحَلِّمَةُ) لم يكونوا سريلاً في يوم من الأيام، كما لم يكن السريان مُحَلِّمِينَ أبداً.

ولو افترضنا جدلاً أنهم كانوا سريلاً — كما زعم مؤلف كتاب طبرستانيين — فإين ذهبت لغتهم السريانية والتي ما زال السريان هناك يتكلمون بها؟ ومن أين أتت للمُحَلِّمَةِ لغتهم العربية، وإذا كانوا قد أخذوها باعتبارها لغة القرآن الكريم بعد (إسلامهم) فلماذا لم يأخذ الأكراد والأكسرة الذين أسلموا بلغة القرآن الكريم العربية؟

وإذا افترضنا جدلاً أن المُطَمِّنة تخطوا عن /لغتهم العربية/ حينما
أسلموا فلماذا لم (يأخذ الأُرخية) اللغة العربية على الرغم من أنهم ظلوا
متعصبين؟ ولماذا حافظ هؤلاء الأُرخية على لغتهم العربية أيضاً وهم ما
يزالون نصلي.

إن هذه الأسئلة وغيرها تثير الجدل حول مسألة رئيسية لا يمكن طمسها
أو تجلوؤها، أو نغمض أعيننا عنها، وهي أن اللغة والأمة شيء واحد.
وإن الإسلام قد نشر دين، ولم ينشر لغة، ولم يفرض الإسلام لغته
العربية، على كل الذين اعتقدوا به واعتقوه، ولهذا السبب ظلت كل الشعوب
غير العربية محافظة على هويتها ولغتها الأصلية على الرغم من أنها قد
دخلت الإسلام، ولهذا (فالمُطَمِّنة) لم يأخذوا لغتهم العربية كونها لغة الدين
الجديد الذي اعتقوه وفق ما زعم بل لكون اللغة العربية هي لغتهم الأصلية
والأصلية لأنهم عرب ليس إلا.

المحور الثالث

الاعتماد على المصادر الكنسية اللاهوتية

مما لا شك فيه أن مؤلف كتاب «تاريخ طور عابدين» هو رجل دين جليل، ونحن نحترمه ونقدره، وحينما نتحدث عن أهم إنجازات الكنيسة في عهودها المختلفة، فليس لأحد الحق في أن يذمه أو ينتقده، وله الحق في ذلك. لكنه عندما نتحدث عن أمور تاريخية في كتابه، جاء حديثه مسترسلاً وشكلياً دون الاستناد إلى وثائق وكتب تاريخية موثقة، فهذا أراء قد وقع في مغالطات تاريخية وتناقضات. كما أنه قد اعتمد في بحثه على المصادر السريانية اللاهوتية الكنسية وعهودها، لكنها لم تقدم حينما أراد التحدث عن وقائع تاريخية، وأحدث تتعلق بحياة الشعوب والأمم.

وقد أقر بذلك شخصياً حينما ذكر في الصفحة ٢٠٧ من كتابه: «وخلاصة القول ليس لدينا مصادر تاريخية هامة في هذه المنطقة غير الذي سجلت بالسريانية ويبد أنها».

وهنا لابد أن نؤكد ونقول بأن المصادر التاريخية التي نتحدث عن المنطقة كثيرة وكثيرة جداً، ومن خلال إلقاء نظرة واحدة على كتاب «مدينة ماردين» لمؤلفه حسن شمساني نجد أنه قد ذكر في قائمة المراجع أسماء مثل الكتب باللغة العربية والأجنبية والتي نتحدث عن تاريخ المنطقة مع أنها وإن لم تكن تختص بالحديث عن تاريخها فهي تحثري على مواضيع ونصوص طويلة عن هذا التاريخ.

المحور الرابع

آزخ.. الأرخية أو (الأرخينية)

الموقع

(١)

تقع مدينة أزخ بالقرب من جزيرة ابن عمر وفي منطقة (بازبدي) أو (بيت زبداي) المعروفة تاريخياً، حتى إن بعض المؤرخين أكدوا على أن أزخ الحالية ليست إلا بازبدي نفسها، وهذه المنطقة هي ضمن حدود المنطقة العربية المسماة (باعراليا) والتي ذكرها المؤرخون مراراً وتكراراً وتمتد حدودها من (آزخ) وحتى (نصيبين)، وكما سلف وذكرنا من قبل فإن عشيرة المظلمية وفراها وبلداتها تتمركز على طول الخط المذكور.

والأرخية قوم يدينون بالنصرانية ويتكلمون اللغة العربية ويتحدثون بلهجة قريبة جداً من اللهجة المظلمية ولهجة أهل الموصل (بمشيقة) خاصة، وهذا ما أثار عقولنا وجعلنا نرى فيهم خير مثال للرد على ما جاء في كتب «طور عابدين» في الخلط بين النسب والدين.

والغالبية من الأرخية تدرك أنها عرب، وإن كانوا نصارى - ولا عراة في ذلك - ويدركون أيضاً أنهم من بقايا القبائل العربية وإن كان لبعض يجزمون بأنهم من قبيلة بني تغلب العربية، وبني تغلب كما هو معروف قبيلة عربية كانت نصرانية حتى دخول الإسلام إلى المنطقة فأسلم من أسلم، وبقي منهم من بقي على نصرانيته.

وقد ذكر ابن حوقل أن قبائل بني حبيب التتظية دخلت إلى بلاد الروم
أيام سيف الدولة الحمداني لأسباب ضرائبية، وتنتمي قبيلة تغلب إلى وائل بن
ربيعة مثلما تنتمي المظمية إلى بني شيبان بن بكر بن وائل ابن ربيعة.

آراء في أصول الأرخية

(٢)

لقد وجدنا من المناسب هنا أن نخوض في هذا الموضوع، ونبحث في أصول الأرخية نظراً لما تشكله هذه المسألة من أهمية بالغة في حياة هذه العشيرة، لأن معاناة أبنائها تكاد أن تكون صورة طبق الأصل عن معاناة أبناء عشيرة المحلمية، وخاصة أن العشيرتين قد عاشتا في منطقة واحدة وتعرضتا لظروف متشابهة واحدة، وإن أوجه التشابه بينهما لتقبلور في النقاط التالية:

- ١ - إن العشيرتين تسكنان متجاورتين في المنطقة ذاتها المعروفة باسم المنطقة العربية (باهرليا).
- ٢ - إنهما يتحدثان بلهجة واحدة عربية الأصل، وعاداتهما وتقاليدهما تكاد تكون واحدة.
- ٣ - إن أصولهم العربية واحدة، وكلاهما يرجع إلى قبيلة ربيعة، فالمحلمية ترجع إلى بكر بن وائل - وهذا ما تم إثباته - والأرخية ترجع إلى تغلب بن وائل، وهذا أمر معروف ولكن علينا محاولة إثباته أيضاً.
- ٤ - ضياع الانتماء القبلي لكلاهما، بسبب الوضع السياسي والظروف الصعبة ذاتها، ولقد ذكرنا أن السبب الرئيسي في فقدان الانتماء القبلي كان استمرار (الحكم البيكوي) للمنطقة قرناً طويلاً.
- ٥ - إن الإشكال التاريخي المنطوق بأصول الأرخية مازال قائماً بسبب بروز العامل الديني في هذه القضية، بينما الإشكال المنطوق بأصول المحلمية قد حل، كما شاهدنا في فصول هذا الكتاب.

كتاب أزخ

لقد صدر بخصوص المسألة الأرخية كتاب (أزخ) للسويدي يوسف جبرائيل القس، وليس هداية، وقم للكتاب المطران حنا إبراهيم من حلب، ولقد طرح المطران حنا في مقدمته لهذا الكتاب سؤالاً تاريخياً صعباً حول هذا الموضوع، حينما تسأل عن مرجعية العائلات الأرخية، وهل ترتبط بأصول ثورية أم أرمنية، أم عربية، أم غيرها من الأصول؟ ثم أعلن صراحة عن وجود إشكال تاريخي متعلق بالأرخية وذلك بقوله: «إننا نعلن وبصراحة وصدق أن الخوض في إثنية الشعب السرياني في أزخ يجرنا إلى مناهات نحن بغنى عنها، وذلك لأن مصادرنا قليلة جداً»^(١)

ثم أضاف: «إن بلاد ما بين النهرين خاصة ومنطقة طور عابدين هي على أرجح الأراء أرمنية اللغة، مما يشير إلى أرمنية الجنس، مع وجود الاختلاط والتداخل الكبير بين الأقوام والشعوب الأخرى، والتي عرفت تاريخياً في هذه الأرض الفضية بالتمدن الآثني»^(٢)

ثم عاود يقول: «أسأ عن الوجود العربي في هذه المنطقة، فيبدو أنه قد بدأ قبل قرنين من الفتح الإسلامي، وفي رأينا يمكن للباحث أن يتتبع مراحل هجرة القبائل العربية — خاصة الغناتية منها — من شبه الجزيرة العربية مروراً بحضرموت فالبحرين فالمدائن فالموصل، ثم بلاد ما بين النهرين،

(١) انظر كتاب «أزخ» — يوسف جبرائيل القس — صفحة ١٢.

(٢) انظر المرجع نفسه — صفحة ١٣.

وخاصة جزيرة ابن عمر ولطرافها، والتلال على الوجود العربي هو بعض الأسماء مثل (باعريليا) الإقليم والقرية، وهذه القفلة أطلقها السريين على المنطقة الممتدة من بازدي (أزخ) وإلى بلد ونصيبين ومعناها ديار العرب» وأيضاً قرية عربان.. إضافة إلى ورود قبائل عربية رحل في هذه المنطقة — كما جاء — في كثير من المصادر السريانية قبل الإسلام.. ففي سيرة الشهيد مار أجودلما وكان أحد كبار رجال الكنيسة السريانية في القرن السادس نقرأ بأن هذا المجاهد اهتم في ٥٧٥م بدعوة القبائل العربية للانضمام إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، ومن هنا نشأت كنيسة عربية مسيحية على مذهب السريان الأرثوذكس في بلاد ما بين النهرين.. فالكراسة التي تمت في هذا الإقليم نصرت جماهير من ربيعة وغيرها من القبائل العربية».

ثم نستطرد بقول: «ولا ننسى بأن القبائل العربية التي انتقلت من بلاد النهرين بسبب ظروفها الخاصة قد دخلت كلها في الإسلام، ولابد أن يكون من بين الشعوب التي استمرت في مسيحيتها من كانوا عرباً جنساً.. ولكننا لا نقول بأن سكان أزخ ولطرافها من بقايا القبائل العربية حتى ولو امتزجوا بلغتهم العربية عن بقية البلدان والقرى التي استخدمت اللغة السريانية الآرامية كلغة محكية في حياتها، ولا نزيد النظرية القائلة بأن للأرخبين علاقة بالقبائل العربية المنحدرة من نكريت بسبب لهجتها القريبة من لهجة أبناء القرى المجاورة غرب الموصل مثل (بعضقة وبحزاني) ودلونا الأول هو وجود السريان المسيحيين في بازدي والمنطقة قبل ورود أي ذكر للعرب في بلاد ما بين النهرين بثلاثة قرون، ودلونا الآخر على هذا الكلام هو أن عدداً من العشائر الأرخية تنحدر أصلاً من بعض القرى في طور علبدين، ولغتهم الأم كانت السريانية الآرامية وإن تخلبت عليهم اللغة العربية بسبب الأصل القوي السلمي المشترك، ولمرور زمن طويل على وجودهم في أزخ».

ثم تابع يقول: هو مهما يكن من أمر فما قلناه أعلاه يؤكد على أن الصبغة الأساسية التي سيطرت على أهل أزخ هي السريانية، وربما كان الدور الحاسم في هذا الموضوع للانتماء الديني وتحديداً للانتماء إلى الكنيسة السريانية — ويبقى كما قلنا وكررنا — كلمة الفصل في المسائل المتعلقة بأزخ والجزيرة جغرافياً وتاريخياً وثقافياً بصورة خاصة على عتق التحقيق العلمي، وإلنا ندعو الباحثين إلى خوض مجابهة وغسله بقراءة وجراءة عالية ويتجرد ودون تعصب إلى هذا الطرف أو ذلك»^(١)

ونستطيع أن نستخلص مما جاء في هذا القول ما يلي:

- ١ — إن هناك إشكالاً ومسئلة تتعلق بأصول الأرخية.
- ٢ — إن الخوض في هذا الموضوع سيجر إلى متاهات كثيرة، وهو بغنى عنها علماً أنه لم يحدد نوع هذه المتاهات.
- ٣ — الشكوى من قلة المصادر التاريخية، والاعتماد على المصادر الكنسية وخاصة كتاب «طور عابدين» وكتب المستشرقين فقط.
- ٤ — أكد على الوجود العربي في منطقة أزخ وحدودها أيضاً.
- ٥ — أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دُعيت للمسيحية ولم يسمها.
- ٦ — أقر أيضاً بوجود قبائل عربية قد ظلت على نصرانييتها بعد مجيء الإسلام لتلك المناطق، ولم يسم تلك القبائل أيضاً.
- ٧ — ازدواجية في التعامل مع عامل اللغة، مع إقراره بأن أهل أزخ لغتهم عربية.
- ٨ — يقر بأن العامل الحاسم في هذه المسئلة هو للانتماء الديني.
- ٩ — طالب بتحقيق علمي يقوم على الحيد والنزاهة والجرأة، والخوض في هذا الإشكال الذي عدّه قائماً وخطيراً.

(١) انظر كتاب «أزخ» ليوسف القس — صفحة ١٣ — ١٤.

الرد على ما جاء في كتاب أزخ

نلخص ردنا على النقاط التي أثارها كتاب أزخ بما يلي:

ولاً: لقد ذكر الكتاب بأن هناك إشكال يتعلق بالأرخبية، ولقد نوّهنا نحن بدورنا في بداية الحديث بأن هناك إشكال يتعلق بها، وإنا نؤيد الكتاب في تصورنا واعتقاده بوجود هذه المشكلة.

ثانياً: لم يذكر الكتاب ولم يحدد نوع المتاهات التي يمكن أن تنتج من جراء الخوض في هذا الموضوع، وإن هذه المتاهات في رأينا تعود إلى اختلاف وجهات النظر حول هذه المسألة، حيث رأى البعض أنها متعلقة بقضية عرقية قومية، بينما يراها البعض الأخر مسألة تتعلق بالانتماء الديني، وقد تم حلها على هذا الأساس.

ثالثاً: لقد شكك الكتاب من قلة المصادر التاريخية وهذا غير وارد أيضاً، وإنا نرد عليه كما جاء في ردنا على مؤلف كتاب طسور عابدين من أن المكتبة غنية بالمصادر والكتب التاريخية المتوفرة بتاريخ المنطقة.

كما إنه قد اعتمد على المصادر والمراجع المكتسبة وكتب ومراجع المستشرقين ولم يذكر اسم أي مرجع لمؤرخ عربي قديم أو حديث، حتى أسماء المؤرخين النصارى الحديثين منهم من أمثال: الصالح، ولدي شير، ولحقاق لرملة، وغيرهم.

رابعاً: أكد على أن الوجود العربي في المنطقة هو وجود فعلي قد أكدناه في الفصل المتعلق بالوجود المظني في المنطقة، والسبب تسمية المنطقة بديل بكر، وربيعة، ومضر، ولنا إن أسماء هذه المناطق قد أخذت من

أسماء القبائل التي سكنتها منذ زمن بعيد.

خامساً: لقد أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دعيت للمسيحية ولم يسمها ولا ندري لماذا؟ وخاصة أنه بات من المعروف تاريخياً أن من سكن تلك المناطق هم قبائل بكر وتغلب وغيرها، ونعتقد أن عدم ذكر هذه القبائل كان بشكل مقصود، وذلك تماشياً مع اعترافه الضمني بأعقاد بعض أبناء الأرخية الذين بقرون بالانتماءهم لقبيلة بني تغلب العربية.

وإن لدينا كثيراً من الأدلة التاريخية التي تثبت وجود بني تغلب في تلك المنطقة ومنها:

١ - أشار السامر في كتابه «الدولة الحمدانية» إلى ذلك بقوله: «إن منازل تغلب كانت فيها من الخابور والفرات ودجلة وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين فرقيسيا وسنجار والموصل وماردين وحتى جزيرة ابن عمر شمالاً وعانة وتكريت جنوباً»^(١).

ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: «وكانت بلادهم (أي تغلب) في الجزيرة بجهات منجار ونصيبين.. وتعرف بديار ربيعة، وكانت لهم شهرة كثيرة والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم»^(٢).

ولقد ذكر ابن حوقل أيضاً: «وبين بلد ونصيبين برقعيد وأنقرة، فأما برقعيد فمدينة كثيرة الزرع من الحنطة والشعير، ويسكنها بنو حبيب.. قوم من تغلب»^(٣).

(١) انظر كتاب «الدولة الحمدانية» - فصل السامر - جزء ١ - صفحة ٤٨.

(٢) انظر ابن خلدون - تاريخه جزء ٢ - ٣ صفحة ٦٢١ - ٦٢٣.

(٣) انظر كتاب «سورة الأرض» لابن حوقل النصيبى. طبع دار مكتبة الحياة - بيروت - صفحة ١٩٩.

أسماء القبائل التي سكنتها منذ زمن بعيد.

خامساً: لقد أقر بوجود قبائل عربية من بني ربيعة دعوت للمسيحية ولم يسمها ولا ندري لماذا؟ وخاصة أنه بات من المعروف تاريخياً أن من سكن تلك المناطق هم قبائل بكر وتغلب وغيرها، ونعتقد أن عدم ذكر هذه القبائل كان بشكل مقصود، وذلك تماثياً مع اعترافه الضمني باعتقاد بعض أبناء الأكرخية الذين يقرون بانتمائهم لقبيلة بني تغلب العربية.

ولن لدينا كثيراً من الأدلة التاريخية التي تثبت وجود بني تغلب في تلك المنطقة ومنها:

١ - أشار المسمر في كتابه «الدولة الحمدانية» إلى ذلك بقوله: «إن منازل تغلب كانت فيها من الخابور والفرات ودجلة وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين قرقيسيا وسنجار والموصل وماردين وحتى جزيرة ابن عمر شمالاً وعانة وتكريت جنوباً»^(١).

ومن ذلك أيضاً ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: «وكانت بلادهم (أي تغلب) في الجزيرة بجهات سنجار ونصيبين... وتعرف بديار ربيعة، وكانت لهم شهرة كثيرة والنصرانية هي الغالبة عليهم لمجاورتهم الروم»^(٢).
ولقد ذكر ابن حوقل أيضاً: «وبين بلد ونصيبين برقعده وأذمة، فلما برقعده فمدينة كثيرة لزراع من الحطة والشعير، ويسكنها بنو حبيب... قوم من تغلب»^(٣).

(١) انظر كتاب «الدولة الحمدانية» - فصل المسمر - الجزء ١ - صفحة ٤٨.

(٢) انظر ابن خلدون - تاريخه جزء ٢ - ٣ صفحة ٦٦١ - ٦٦٢.

(٣) انظر كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل النصفي. طبع دار مكتبة الحياة - بيروت - صفحة ١٩٩.

زيد الله: قبيلة بني تغلب، وزيد الله هو زيد ثلاث بن عمرو بن غنم بن تغلب.

— ووصف التغلبيين بقوله:

إن بني زيد مليحوا الشكل^(١)

كم منهم من فطة وفعل

— ثم نراه وقد تحدث عن علاقة حميمة بينهم وبين بني شيبان وخاصة بنو مَحْمُومَهم:

لجيم بن صعب لم تلتها عدوتني

وما نبت آل الخصوب كلابي

لأنك قوم يرتعون محاسنهم

إلى نجدات لفرغان وروابي^(٢)

وفي الشرح: الخصوب هو عامر لعد بني مَحْمُومَ شيباني، ومُحَمَّى بالخصوب لكرمه.

— ومدح بني شيبان بقوله:

ألا أبلغ بني شيبان عني

لما بيني وبينكم ذبول^(٣)

وأيضاً:

لما أبني شيبان عدي ظلامه

ولا يدم سعي طوبه الحنائم^(٤)

(١) انظر الأخطل — قديون — صفحة ٧٠٥.

(٢) انظر المرجع نفسه — صفحة ٧١٠.

(٣) انظر المرجع نفسه — صفحة ٣٧٢.

(٤) انظر المرجع نفسه — صفحة ٥٢٦.

ومن هذه الأدبكات نستطيع أن نستنتج عدة أمور منها:

١ - إن الأخطل عثل في منطقة قريبة جداً بل في المنطقة ذاتها، التي عاش فيها أهله بني تغلب، وكان يتجول في تلك المناطق، ومنها (الجودي، ميقلقين، سعرت، نصيبين، ماردين وغيرها). وهذا دليل على الوجود التغلبي هناك.

٢ - إن تلك المناطق ديار مشتركة لبني تغلب وبني شيبان خاصة فلقد ذكر شخصيات من بني ملحم كانت تعيش في تلك المنطقة، ومن المعروف تاريخياً أن منطقة طور عابدين هي لبني شيبان.

كما أننا نورد بعض المقاطع التاريخية المأخوذة من كتاب حديثين ومنهم إسحاق لرملة حيث ذكر: «ثم أرسل الوليد بن عقبة.. فجمع بني تغلب النصاري في تلك الديار وطلبهم بالإسلام»^(١)

- ولقد ذكر الأب اغناطيوس الأول في كتابه «اللولو المنتور» منازل التغلبين بقوله: «أما ديار ربيعة.. بين الغابور ودجلة وكانت منزل التغلبة أو بني تغلب إحدى قبائل العرب الكبرى.. وإن الشاعر الأخطل للذئع الصيت منهم»^(٢).

وهناك نص عثرنا عليه لخليفة بن خياط منقول في «تاريخه» تحدث فيه عن ثورة الخارجى الوليد بن طريف الشاري بأرض الجزيرة، وإن هذا النص لمعطينا صورة واضحة عن سكان تلك المناطق، وخاصة طور عابدين وبعربايا، وإننا نثبت هذا النص كما جاء حرفياً حيث قل: «وكان خروج الوليد بن طريف أحد بني حبي بن عمرو ويقل لهم نصراى الكتاب من بني تغلب،

(١) انظر كتاب «النصارى في تكيف النصارى» لاسحاق لرملة - ج ١ - طبعة أولى ١٩١٩ صفحة ٨٧.

(٢) انظر كتاب «اللولو المنتور» لمار اغناطيوس الأول صفحة ٥٠٦.

فخرج في شاطئ القرى في ثلاثين، وأقبل إلى رأس العين، فلقى رجلاً من أهل البصرة يقال له عمرو بن منصور بن النجار ومعه رجل نصرقي، ثم أتى رأس العين، ولم يدخل الحقل ثم أتى بأعرباً، ثم نصيبين، فلقى بزرراً رجلاً من بني تغلب عند تل أبي الجوزاء^(١)، فقتلهم بزرر وقتل رجلاً من أصحابه، وأتى بزرر نصيبين ثم أتى الوليد داراً فباعها بعشرين ألف، ثم أتى ميقاتين، فقتلها بعشرين ألفاً، ثم عبر شريط مغرة إلى لوزن، فقتل بها فقتلها بعشرين ألف، وقتل رجلاً من وجوه أهلها من بني شيبان، يقال له: مرة، ثم أتى جولابا، ثم أتى نصيبين وبها إبراهيم بن حازم وبزرر في بني تغلب، وأباح الوليد نصيبين خمسة أيام، وخرج الفضل بن أبي سعيد من رذان، وكان يتولى بني شيبان، ثم أتى بالعمان دون نصيبين بخمسة فراسخ فقتل بها قتي عشر رجلاً من تغلب^(٢).

نستطيع أن نستخلص من النص المذكور بعض الحقائق التاريخية ومنها:

١ — كان هناك وجود تغلبي في منطقة بأعربا، ونصيبين، وجوزة، وبالعمان.

٢ — هناك وجود شيباني في تلك المناطق أيضاً.

من خلال المعطيات والنصوص التاريخية والأدبية المتوفرة لدينا فإننا نستطيع أن نؤكد أنه كان هناك وجود تغلبي في مناطق بعربا، والجودي وأزخ، ونصيبين، وجوزة، وغيرها من المناطق، مثلما كان للمطمية وجود هناك، وأنه وفقاً لهذه المعطيات نستطيع أن نقول بأن سكان (أزخ) وغيرها من القرى المجاورة هم من بقايا القبائل القتبوية التي سكنت تلك المنطقة، وهناك لغة أخرى ومن أهمها اللغة.

(١) تل أبي الجوزاء — اليوم اسمه قرية جوزة في منطقة (بأعربا).

(٢) انظر تاريخ خليفة بن خياط — قسم الثاني — صفحة ٢٢٠.

اللهجة الآزخية

نقد أقر الكاتب بأن سكان أزخ يتحدثون باللغة العربية، وإنها لهجة قريبة من لهجة بعض سكان الموصل وقراها، مثل قرية (بعشيقه)، وهي قريبة جداً من اللهجة الموصلية، ولا عجب في أن تكون هذه اللهجات متشابهة مع بعضها، وتكاد تكون متطابقة، وإن السبب في ذلك يعود لكون مصدر هذه اللهجات واحد، وهي (لهجة مشتركة) لمنطقة سكنية مترامية الأطراف ذات أصول عربية واحدة.

قال أزهري العبيدي في كتابه (الموصل) متحدثاً عن اللهجة الموصلية: «إن اللهجة الموصلية تعتبر أقرب اللهجات العلمية إلى الفصحى، لما بينهما من التوافق في كثير من الأمور، مما لا نجد له نظيراً في اللهجات الأخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود القبال العربية التي نقلت لهجاتها وتقاليدها ثم حافظت عليها».

وأضاف: «إن هذه اللهجة تأثرت باللغة التركية أثناء الحكم العثماني نتيجة مجاورتها للبلاد التركية».^(١)

إن هذه اللهجة المشتركة إن هي لهجة أهل المنطقة الممتدة من المنطقة العربية (باعتبارها) وطور عابدين، وإلى بعشيقه و الموصل، وبالتحديد

(١) انظر كتاب - (الموصل) - أزهري العبيدي - طبع دار الكتب - الموصل ١٩٩٠ -

الجغرافي القديم تعود لأهل ديار بكر وديار ربيعة، وهي المنطقة التي كانت
تمكثها العشائر العربية من بكر وتغلب، ومن هؤلاء الأثرخية، والمُحطمية
والمخاشنية، والرائندية، وأهل بعشيفه وغيرهم.

وهي لهجة أصيلة وأصلية، ولحست لهجة نخيلة أو مستعارة، لأنها لغة
قوم الذين استقروا في تلك المناطق.

إن هذه النتيجة المنطقية والتاريخية لا يريد الكاتب الوصول إليها، لأنه
ولاهواء معينة لا يريد أن يقر بأن اللغة العربية هي اللغة الأصلية والأساسية
(الأثرخية)، وإن كان لم يستطع إثبات عكس ذلك.

وإن قول الكاتب بأن لغة أهل أزخ الأساسية هي اللغة السريانية
(الأرامية) قول لا أساس له من الصحة، وخاصة أنه لم يثبت، فكيف فقد أهل
أزخ (المسيحيين) لغتهم الأساسية (السريانية)؟ ولماذا وكيف اتخذوا من اللغة
العربية لغة أساسية لهم؟ وما هي الأسباب التي دعته لفعل ذلك؟

كما إن الأساس الواحد للفتن العربية والأرامية لم يمنع بأن تكون لكل
لغة سماتها، وفرواعدها، وأدبها، وبجارية أخرى لكل لغة صبغة معينة خاصة
بها.

— كما إن الكاتب استعمل عامل اللغة بازدواجية ظاهرة لما أراد أن
يثبت أن هذه اللغة هي دليل على الانتماء القومي، ثم رفض قبول هذه
للنتيجة.

فهو حينما تحدث عن منطقة طور عابدين بأنها أرامية اللغة عد هذا
دليلاً يؤكد على أنها «أرامية الجنس» على الرغم من أنه ليس هناك أي دليل
أو إثبات على أن منطقة طور عابدين هي (أرامية اللغة)، علماً أن غالبية
مكثتها هم من العرب المُحطمية، والرائندية، والمخاشنية، وهم يتحدثون باللغة
العربية وهذه القبائل قد مكثتها منذ عشرات قرون وما زالت.

ثم قال في مكان آخر: «لكننا لا نقول إن سكان أريخ ولطرافها هم من بقايا القبائل العربية حتى وإن استلزموا بلغتهم العربية عن بقية البلدات التي استخدمت اللغة السريانية».

وهذا يعني أن الكاتب يريد أن يقول شيئاً واحداً فقط وهو أن: الأريحية هم آراميون وسريان حتى ولو لم يتكلموا السريانية أو الآرامية، وهم ليسوا من نطلب وإن تكلموا اللغة العربية، وهذا أمر مخالف لكل الوقائع والحقائق التاريخية التي تؤكد على دور اللغة كحدٍ مقومات الأمة أو الشعب.

ولقد وجد الكاتب نفسه في وضع حرج من جراء ذلك، وخاصة أنه لم يستطع إثبات أرامية (الأريحية) لأن لغتهم عربية، لذلك نراه قد استبعد عامل اللغة وكل العوامل الأخرى بشكل نهائي، وكفر فوقها ليصل إلى النتيجة التي استهواها ودون أي إثبات تاريخي، وحل محل كل هذه العوامل العامل الديني وهو عامل ثانوي ومتغير، ولقد قرر النتيجة التالية: «إنه مهما كان من أمر فإن الصيغة الأساسية التي سيطرت على أهل أريخ هي السريانية وإن هذا الأمر هو الحاسم في هذا الموضوع».

وهكذا نجد مرة أخرى ما وجدناه عند مؤلف كتاب «جبل طور عابدين» من مسألة الخلط بين مفهومي النصب والقومية، وليعود ويكرر مسألة (مسوينة الأصول)، كما سبق ونحفظها في الفصل المنطوق بالرد على مؤلف كتاب «مصور عابدين».

وإذا كنا مدعين كما طلب مؤلف الكتاب للحوار والمنقشة وطرح قضية بجرأة وصديق ومهما كانت النتيجة فنقول ويكل جرأة وصراحة:

إن السريين لم يكونوا يوماً من الأيام أمة كما قال أدبي شير في كتابه «تاريخ كندو وأثور» وإن السريانية تعني (المسيحية أو النصرانية) أي هي دين ولا يمكن للدين أن يطمس الهوية القومية ويكون العامل الحاسم في مرجعية أي شعب أو أمة.

ويبقى العامل الأساسي في تكوين الأمة هو عامل اللغة والاندماج للأرض والعادات والتقاليد، والتاريخ المشترك.

ونؤكد بعد ذلك كله وعلى ضوء هذه العوامل الأساسية أن (الأرمنية) هم عرب تغلبون نصارى، سكنوا في مناطق كانت تبني تغلب، وحافظوا على لغتهم وعاداتهم الأصيلة طيلة عدة قرون، وما زالوا محافظين عليها، كما إنهم يجاورون المَحَلِّية ومناطقهم وهي واقعة ضمن نطاق (باعرانيا) أي المنطقة العربية، وهي مناطق بعيدة عن مناطق وعري السرين، ولغتهم غير سريانية، لأنهم يتحدثون بلهجة محلية عربية هم والمَحَلِّية وأهل بعشينة والموصل، وهي لهجة منطقة متزايدة الأطراف سكنها أول من سكنها قبلال بكر وتغلب العربية.

— خلاصة —

من كل هذه المعطيات التاريخية، والمراجع الحديثة وما ذكرناه في هذا الموضوع نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

١ — إن منطقة أرخ تقع ضمن المنطقة العربية (باعتبارها)، وكذلك (بيت مَحَلَم) وإن كل من سكن في هذه المنطقة هم من العرب وما زالوا.

٢ — إن بني تغلب قد سكنوا في تلك الديار، ولقد أكدنا على ذلك بمصادر تاريخية عدة، وآخرها ما جاء في قول مكر أخطاطيوس: «إن البشارة التي تمت في هذا الإقليم (أرخ) نُصرت جماعة من بني ربيعة وغيرها من القبائل العربية».

٣ — إن منطقة الوجود (المحلمي) و(الأرخي) هي بعيدة جغرافياً عن منطقة وجود السريان في بيت ريشا، وحسن كفاء، وغيرها من المناطق.

٤ — هناك صفات مشتركة ما بين المحلمية والأرخية وهي:

أ — وحدة اللغة: فاللهجة المحلمية والأرخية متطابقتين.

ب — وحدة الانتماء العربي: فالمحلمية تنتمي إلى بني شيبان من بكر، والأرخية إلى تغلب، ويرجع أنهم من التغلبية الذين لم يسلّموا لابل يرجسح أكثر أنهم من قبائل بني حبيب.

ج — وحدة الأرض والجوار: إن منطقة وجود الأرخية والمحلمية متجاورة وفي المنطقة ذاتها.

د — العلاقات الطيبة والتاريخ المشترك: ظلت العلاقات الأرخية والمحلمية علاقات قوية وجيدة، على الرغم من الاختلاف في الدين، وفي كلا الظروف والأوقات التي مرت بها المنطقة.

وبينما نحن ننهي هذا الفصل فإنه لا بد من الإشارة إلى أن الرد على مقولة الانتماء للمنظمة للسريين، وما تفرع عنه من الحديث عن الأهمية، ربما يكون هذا الموضوع قد أعطيهنا حيزاً كبيراً في هذا المؤلف، وشغل صفحات كثيرة، لأنه في اعتقادنا واعتقاد الكثيرين يستحق ذلك لكونه بشكل (معضلة تاريخية معقدة).

ربما نكون قد استطعنا فك رموزها، وتطوّل اسمها ومكوناتها بدقة وموضوعية وأمانة علمية، وإن ما توصّلنا إليه من نتائج بهذا الخصوص ربما يساعد الآخرين على إعادة التفكير بهذه القضية بشكل جدي وموضوعي.

ولم تكن غايتنا من الرد على الذين قالوا (بسرية المنظمة) إلا لتوضيح الحقائق والدفاع عن انتمائنا الصحيح الذي وجدناه، وبالتالي في سبيل إغلاق كل المنافذ التي كانت تثير الشك من حوله، ونهقي الفاية الأسلمية والوحيدة من كل هذا وذلك هي الوصول إلى الانتماء والنسب الصحيح والحقيقي للمنظمة الذين عانوا الكثير الكثير من جراء فقدانهم لهذا الانتماء.

الفصل السابع

أسس العلاقة بين المُحَلِّمَةِ والأَكْرَادِ

— أولاً —

جنود العلاقة بين المُحتمية والأكراد

لقد سكن الأكراد مع العرب والتركمان والسريان والأتراك وغيرهم في منطقة ماردين وما حولها، أو ما كان يعرف بمناطق ديار بكسر، وإن هذا الوجود للمتعدد الأنواع والأصناف كان له أسبابه (الديمغرافية)، حيث إن الجغرافية البشرية في تلك المنطقة كانت متنوعة نتيجة الموقع الهام لتلك المناطق، حيث كانت مجاورة لأهم وحضارات عدة، ساهمت كلها في إيجاد هذا الخلط السكاني المتنوع.

وكما إن هناك قبائل وعشائر عربية سكنت تلك المنطقة ككرد وتغلب وطى والتمرايين وغيرهم، فلقد كان هناك العديد من العشائر الكردية، ذكرهم ابن شداد في كتابه «الأعلاق الخطيرة» ومن تلك العشائر: (الرززارية المسلمة، والجورجان واليعقوبية النصارية.. وكذلك هناك الحميدية والمروانية والهندبانية وكلها مسلمة..)^(١)

وفي هذا الصدد يقول حسن شميمياني: «إنه مهما تعددت الآراء واختلفت فإن العنصر المتكلم باللغة الكردية قد حل بأرض ماردين، كما حل بغيرها من أراضى الجزيرة.. واختلط بالسكان الأصليين من نصاري ومسلمين، وامتزج معهم، ومع مرور الزمن استطاع أن يفرض ما هو عليه

(١) انظر كتاب «الأعلاق الخطيرة» لابن شداد — جزء ٣: ٢ صفحة ٨٤٩.

من معتقدات وتقاليده، وينجح بالتالي في إضفاء الصبغة الكردية على بعض المجموعات السكانية، في حين استطاعت المجموعات الباقية ومنها المجموعة العربية، أن تحافظ وسط هذا الاختلاط على عنصريتها، ولم تختلط بهم أو بغيرهم^(١). وللحقيقة والواقع نقول إن مسا ذكره شمساني يصور ويبرز بدقة وموضوعية عن واقع حال العلاقات بين المجموعة العربية (كالمُحتلّمة) والكردية في تلك المنطقة، ذلك أن المجموعة العربية — كما سبق وذكرنا في أصول متقدمة — استطاعت أن تحافظ على هويتها وعروبتها على الرغم من كل المحاولات، وذلك من خلال المحافظة على لغتها العربية وبغرض طوق من العزلة الاجتماعية حولها، حيث رفضت هناك إقامة أي علاقات اجتماعية أو علاقات زواج ومصاهرة مع أي مجموعة غير عربية.

والدليل على ذلك أن المناطق التي تسكنها (المطربة) في منطقة (باعربايا) والتي سماها المؤرخين بديار شيان وببيت محم ما تزال أراها موجودة وعامرة إلى يومنا هذا، وتتميز هذه القرى عن سواها من القرى الكردية وغيرها، بأن مساكنها عربية وسكانها عرب ولا يعرفون إلا التحدث باللغة العربية، وإن العنصر العربي قد حافظ على هويته وعروبته كما جاء على لسان حسن شمساني.

بينما مناطق وجود الأكراد إما هو حول دائرة الانتشار العربي هناك، ولقد كان الوجود العربي عاملاً، والوجود المطمي الشيعي وجوداً واسعاً

(١) انظر كتاب مدينة ملردين لحسن شمساني — مطبعة دار الكتب بيروت — ١٩٨٧ —

وقريباً استطاع أن يحافظ على استمراريته وهويته، كما سبق وأشرنا لذلك في فصول عدة من هذا الكتاب.

والزائر اليوم لتلك المنطقة يستطيع أن يحدد وبسهولة مراكز تجمع القرى المُحَلِّية، ويميزها من القرى الكرديّة، ومسجد أن لكل مجموعة طابعها الخاص والمستقل في لغتها وانتماءاتها. وليس هناك أي مجال للخلط أو للمزج بين المجموعتين العربيّة المُحَلِّية والكرديّة، حتى إن الحكومة التركيّة التي تعمل هناك على تترك المنطقة كلها ومنذ عدة عقود، تعترف للمُحَلِّية بكونهم مجموعة عربيّة لها خصوصيّة عرقية معينة مستقلة عن سواها من المجموعات الأخرى، ولقد جسدت الحكومة لتركيا هناك هذه المقولة من خلال أحداث ومشاعبات كتبت تحدث بينها وبين العديد من المجموعات الأخرى ما عدا المجموعة العربيّة.

كما إن المُحَلِّية في تلك المنطقة وقفوا على الحياد في كل النزاعات والصراعات التي كانت تحصل في المنطقة ما بين المجموعات الأخرى، واستطاعوا بسياسة الحياد هذه أن يحموا أنفسهم ويحافظوا على مدنهم وقراهم وعاداتهم في منطقة كانت من أكثر المناطق سخونة في تلك الفولجي.

وخلاصة القول: إن جذور العلاقة بين (المُحَلِّية) والأكراد في تلك المنطقة تقوم على أساس التقابل، والاستقلالية، والتمايز بين المجموعتين، كان موجوداً ولا يزال، وبموجبه عرفت كل مجموعة بطابعها وصيغتها، وانتمائها الخاص بها، وهكذا ظلت المجموعة العربيّة المُحَلِّية محافظة على كيانتها ووحدةها ولغتها ككيان جغرافي تاريخي عرقي مستقل ومتميز عن غيره.

— ثانياً —

أُسُس العلاقة الحالية في الجزيرة السورية

من المعروف أن منطقة الجزيرة السورية تشكل محيطاً اجتماعياً متنوعاً، حيث يعيش هناك عشرات القبائل والعشائر العربية والكردية والسريانية وغيرها، وهذا التنوع مستمر منذ أكثر من قرن كامل، ولقد خلق نوعاً من الوحدة الاجتماعية والثقافية بين هذه المجموعات، ألقت بأثارها على المكان التي تتعايش فيه بمحبة وسلام فيما بينها، فواسمه قريش المشرك والحياة الكريمة.

وفي هذه المنطقة اختلطت الأسب و تنوعت اللهجات واللغات وتطورت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وأصبح بإمكان أي فرد من أفراد هذه المنطقة أن يتحدث بلغات ولهجات عدة بعدد لغات الأقوام التي تعيش فيها، ولم يكن هناك أي مانع أو حائل عدا مانع الدين يمنع وجود علاقة مصاهرة وزواج بين هذه المجموعات.

وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت (عشيرة المظمية) أن تحافظ على لغتها وصيغتها العربية، كما أنها قضت إلى مجموعة القبائل والعشائر العربية وأصبحت جزءاً من الوجود العربي في هذه المنطقة.

إن هذا الانفتاح الاجتماعي والعشائري كان له ناحية سلبية واحدة ألقت بظلالها على العنصر المظتمي العربي في هذه المنطقة الذي دخل عملية الانفتاح هذه (بقية وروحه) دون عقله، وكان ذلك على حساب هويته

وصبغته الخاصة به، مما تسبب في (تلون الهوية المُطَمِّنة) أحياناً، الأمر الذي جعل بعض أفرادها يتصورون أنفسهم أحياناً بأنهم ينتمون إلى عشيرة ذات وجه عربي خالص، وكان عليهم أن يحفظوا عليه قولاً وفعللاً، وخاصةً بوجود المحافظة على اللغة العربية كلغة أصلية لهم، مطمناً حافظاً لبناء هويتهم في تركية على هذه اللغة على الرغم من كل الظروف الصعبة التي مرت بهم، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ المُطَمِّنة (كعشيرة) قد حافظت على هذه الهوية العربية، وظلت متمسكة بالتراث الأساسية لمقومات انتماءها العربي ومنها:

١ - المحافظة على لغتها وعروبته وصبغتها الأصلية.

٢ - الانضمام إلى الصف العشائري العربي، والاندخاط مع المجموعة العربية في هذه المنطقة.

٣ - الاعتزاز بالانتماء العربي والدفاع عنه بالقول والفعل.

إلا أن ذلك كله لم يكن كافياً في اعتقادنا وكان لابد من أن يعمل القائلون على رمل هذه العشيرة، أو الوجهاء فيها على إعادة ترتيب أوضاع هويتهم بشكل يحقق لهم مناعة وصلابة أكثر تجاه بعض (جماعات الجذب)^(١) وخاصة الكردية منها، والتي أخذت تروج زوراً على لسان بعض الشخصيات الكردية من أن المُطَمِّنة ليست إلا عشيرة كردية، وليس لهم دليل على ذلك سوى ادعائها بأن هناك جماعات أو أفراد من هذه (المُطَمِّنة) تتحدث باللغة الكردية حتى في بيوتاتها.

(١) المقصود (بجماعات الجذب) هنا: الجماعات والأفراد الذين ينتمون إلى مجموعات عرقية ومناطقية - كالسريان والأكراد - ولذين حاولوا إفساق المُطَمِّنة بهم زوراً وبهتاناً.

وإن هذا الادعاء (فارغ) ولا أسس له مطلقاً ولا يرقى حتى إلى مرتبة الادعاء التاريخي، وإنما اعتمد على حالة ظاهرية محدودة ليقوم بتعميمها وتحويلها إلى ظاهرة عامة أصلية وأساسية.

ولقد نسي لو تناسى أصحاب هذه القنم أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الجزيرة قد فرض مثل هذا النمط الاجتماعي والثقافي، حيث نجد أن الكثير من الأكراد يتحدثون بالعربية أو بالسريانية أو الأرمنية، كما أن هناك لكثير من العرب والسريان والأرمن يتحدثون باللغة الكردية.

ولكن في الحقيقة، إن هناك لائمة على بعض أبناء (المُطَمِّية) الذين اتخذوا من اللغة الكردية لغة أساسية لهم، وهؤلاء عليهم أن يدركوا تماماً أن مثل هذه التصرفات وإن عتوها (شكلية) هي ليست كذلك، فاللغة هي من أساسيات الوجود القومي لأي شعب ويجب المحافظة عليها كلفة أساسية في المنزل والبيوتات، ونعود للنقول: إن ادعاء بعض الشخصيات الكردية في الجزيرة أن المُطَمِّية هم من الأكراد ادعاء غير تاريخي وباطل، وإننا نتساءل على ماذا استند هؤلاء في ادعاءاتهم هذه وهم تركيب هذا الأمر وتروجه، علماً أن هذه المسألة لا وجود لها إطلاقاً في (منطقة المُطَمِّية) في تركيا حيث ظلت هذه المنطقة عربية اللغة والأصل، وظلت كذلك إلى يومنا هذا تتمتع بهذه الخصوصية وعُرفت بها في محيط متنوع من القوميات، وإن هذا التمايز العرقي بين المجموعتين حالة واقعية وتاريخية يعرفها القاصي والداني، وليس ثمة من يدعي أن المُطَمِّية هم من الأكراد أو من غيرهم.

لكن — ولأقصى الشد — نقول إن هذه الادعاءات معروفة بعدم صحتها ومصداقيتها حتى من قبل الذين يروجون لها وإنها (مختلفة) بدوافع

وأهداف اجتماعية أو حتى سياسية، للغاية مدّها تكريد الأرض والإنسان في هذه المنطقة.

وإن هذه الشخصيات الكردية وغيرها لو أنها قرأت التاريخ جيداً وبصدق وموضوعية — وخاصة تاريخ الوجود العربي في هذه المنطقة والذي وصلت حدوده إلى ما وراء جبال طوروس حيث فرض العرب وجوداً واقعياً وجغرافياً كمستوطنين أوليين لهذه الديار، والشاهد على ذلك أن الوجود العربي المُحتمّي الشبهاني في تلك المنطقة كان وجوداً أساسياً، ومتميزاً، وفعالاً، وفعالاً، ولقد قدمنا الأدلة التاريخية الموثقة والمؤكدة على ذلك في المصوّل متقدمة.

كما إن عشيرة المُحتمية في منطقة وجودها حالياً (في تركيا) ما زالت متمتعة بطابعها العربي الخالص والمميز، وليس هناك أي إشكال من هذا النوع، إنما كثرت هذه المشاكل والادعاءات هنا من هذا الطرف أو ذاك لأسباب عدة فصلناها تفصيلاً في هذا الكتاب، ولم تكن الغاية منها (لتاريخ) أو (قراءة التاريخ)، وإنما كانت محاولات مشبوهة ويقتضى للانتفاض على عشيرة المُحتمية وكان من الواجب على القارئ على رأس هذه العشيرة — كما سلف وذكرنا — كان عليهم (بلورة) قناعاتهم وأصولهم وجذورهم بشكل ظاهر ومدّهم، ولو أنهم فعلوا ذلك منذ البدايات لما كان هناك وجود لمثل هذه الإشاعات والأكاذيب وما كان لها أن تعيش وتتمو وتترعرع ولو لمدة وجيزة من الزمن.

— ثالثاً —

الرد على جماعات الجنب الكردية

نستطيع أن نوجز ردنا على جماعات الجنب الكردية بما يلي:

١ — لقد ثبت أن قوجود المنظمي في مناطقهم الأصلية، كان وجوداً عربياً فاعلاً أثبتناه بالأدلة التاريخية في فصول متقدمة من هذا الكتاب.

٢ — إن منطقة قوجود المنظمي في تلك الدبر معروفة تاريخياً باسم (باعرابا) أي المنطقة العربية، وإن الشيبانيون (بنو مُحَلَم) هم أول من سكن الجانب الجنوبي من جبل طور عابدين والذي يطل على تلك المنطقة والتي هي جزء ما كان يعرف باسم ديار بكر.

لما مناطق القرى الكردية أو التي يتحدث سكانها بالكردية فهي مناطق مغيرة ومعروفة هناك، ولا يوجد أي التباس أو خلط بينهما.

٣ — ليس هناك أي دليل تاريخي ومن أي مصدر تاريخي قديم أو حديث يشير إلى أن المُحَلَمية هي من العشائر الكردية حتى في كتب ومؤلفات الأكراد أنفسهم ولقد عَدَّ شمبساني في كتابه «مدينة ملودين» أكثر من عشرة كردية ولم يفكر أن المُحَلَمية هي من تلك العشائر، كما أننا نجد أن مؤلفات السريان ومؤرخيهم ميزت المُحَلَمية وقراها ومنطقتيها عن غيرها من المناطق، وهذا ما أكده المؤرخون والجغرافيون العرب ومنهم ابن خردادبة حيث عَدَّ منطقة بيت مُحَلَم هي منطقة خاصة بوجود العشائر المُحَلَمية العربية هناك.

٤ - بالإضافة إلى ذلك فإن عشيرة المَظْمِيَّة قد مارعت ومنذ بداية سكناها في منطقة الجزيرة السورية، إلى الإعلان عن انتماءها العربي والتصريح عنه والتمسك به، ولم يكن لها من وراء تلك لجة غالية تذكر سوى تأكيد هويتها، ولقد اعترفت القبائل والعشائر العربية لها بذلك وعدتها جزءاً لا يتجزأ من الوجود العربي في المنطقة.

ولقد دعم ذلك بأن عشيرة المَظْمِيَّة قد مالت (سياسياً واجتماعياً) إلى أبناء عربيتها فكانت مواقفها السياسية تؤكد ذلك وحينما قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ عجزت عن ذلك بفرضتها الفاعلة وقد انضمت كل العشيرة حول الزعيم الراحل عبد الناصر واعتزت به، لأنه بطمس كل قومي، ولقد عرف أبناء هذه العشيرة بالانتماء لهم الأحزاب العربية القومية وخاصة الناصرية منها، كما إنهم قد نالوا مراكز جيدة في المجتمع والدولة، وإن الحكومة السورية ومنذ البداية عنت هذه العشيرة جزءاً من أبناء العربية في المنطقة العربية التي ضمتها تركيا لها، والممثلة من لسكندرون في الغرب حتى نصيبين وشمل عين دوار في الشرق.

لذلك ومنذ قدوم أبناء العشيرة إلى أرض الجزيرة السورية فإن هذه الحكومة قد منحتهم الجنسية العربية السورية وقامت بتوزيع الأراضي على من هم بحاجة. وقامت بتوظيفهم في مؤسسات الدولة وشركاتها وبمعت لهم بتملك الأراضي الزراعية في تلك المناطق الحدودية.

وإننا سنذكر هذه الأمور بشيء من التفصيل في الفصل المخصص لعشيرة المَظْمِيَّة في الجزيرة، ليشفي القارئ أن يأخذ فكرة كافية عن وضع العشيرة في الجزيرة السورية وغيرها من البلدان العربية وسنبين ذلك في حينه.

بقي أن نقول: إن مثل هذه الادعاءات والافتراءات التي نسمعها من هنا أو هناك من قبل مجموعات الجنب لم يكن الغرض منها — كما قلنا مسروراً وتكراراً — إلا تحقيق غايات ومنافع لهذه المجموعة أو تلك، ولم يكن هدفها (سامياً) الغلبة منه توضيح الحقيقة وإظهارها، وإنما كانت جملة من الأقاويل والإشاعات التي لا أساس لها من الصحة، والتي كانت تتحطم دائماً على صخرة الواقع والحقيقة.

وبقي أن نتذكر قرامنا بمنى يقال في الجزيرة السورية ويردده أهلها دائماً وهي أي مناسبة وهو (إن من ينكر أصله لا أصل له)، وهذا العقل يطلق دائماً على الفرد الذي ينسى أصله ويلصق نفسه بأصل آخر، لكن ماذا عن الذي يذكر أصله ويصرّ على الانتماء له ويعترّ به يوماً ولجداً ويدافع عنه قوياً وفعلاً..

هذا هو المنطقي العربي الذي لا ينكر أصله دقماً، وإن هذا التمسك بالأصل والإصرار عليه والافتخار بالانتماء إليه الذي قد يصل في بعض الأحيان — إن لم نقل في أغلبها — إلى درجة التعصب فإن ذلك إنما يدل على وحدة الدم والتاريخ واللغة التي تربطه بأبناء أمته العربية.

الفصل الثامن

الفروق بين المحلّية وغيرها من العشائر

— أولاً —

الفروق بين المَحَلَمِيَّة والمَارِدِينِيَّة

المَارِدِينِيَّة أو كما يسمونها (المَارِدَلِيَّة) هي نسبة إلى مدينة مَارِدِين. والتي كانت من ديار بكر وربيعة، وما زالت مدينة مَارِدِين مزدهرة عامرة بقلعتها العظيمة، وبسكانها — ملحقاً بمق أي مدينة (حديثاً) — كثير من الأعراق والقوميات والأجناس من عرب وأكراد وأتراك وتركمان ومصريان وغير ذلك.

والمَارِدِينِي: هو شخص ينتمى إلى مدينة مَارِدِين كما نقول (حلبى) نسبة إلى مدينة حلب مثلاً.

ويقول ابن حجر: المَارِدِينِي — جماعة نسجوا إلى مَارِدِين، وهي حصن ببلاد الجزيرة مشهور^(١).

وأفاد السمعاني في الأصباع بأن المَارِدِينِي.. هذه النسبة إلى مَارِدِين وهي بلدة من بلاد الجزيرة.

وهكذا ينسب إلى مَارِدِين جميع السكان المقيمين في هذه المدينة بغض النظر عن قومياتهم أو أديانهم أو غير ذلك.

أما (المَحَلَمِي): فهو نسبة إلى (مَحَلَم) بن ذهل بن شيخان وينسب إلى (بنى مَحَلَم) للمَحَلَمِيَّة، وديارهم كما سبق وذكرنا في المنطقة العربية

(١) انظر كتاب (تصوير المقابله) لابن حجر العسقلاني — صفحة ١٣٣٦.

(بأعربيا) إلى الشرق من ملدين بحوالي ٦٠-٧٠ كم تقريبا. إلى الجهة الجنوبية من جبل طور عابدين.

ويختلف (المُطَمية) عن سكان ملدين (المارونية)، أو (المارونية) بأنهم من أصول عربية خالصة ولهجتهم المحكية العربية الخالصة بهم، وكذلك بعاداتهم وثقافتهم، والتي هي أقرب إلى عادات أهل الريف منها إلى عادات أهل المدينة، وما زال الكثير من المُطَمية في تلك المناطق يعملون بالزراعة، وخاصة زراعة القبوب والأشجار المثمرة كالعنب، والذي تقوم عليه عدة صناعات غذائية.

ولقد يختلط الأمر عند البعض من أن اللهجة (المُطَمية) هي مطابقة للهجة (المارونية)، وهذا خطأ من الناحية الظاهرية، ذلك أن للهجة (المُطَمية) مميزات خاصة بها، وفي المنطقة يمكن التمييز بين اللهجتين بعضهما عن بعض بسهولة.

— ثانياً —

الفروق بين المُحَلِّمَةِ وغيرهم من العشائر العربية

سبق وأن ذكرنا أن مناطق تبار بكر وربوعة ومضرا، — ككتتها قبائل وعشائر عربية عديدة منذ زمن بعيد، ومن تلك العشائر بكر، وتغلب، وبنى كلاب، ونمير، وبنى قيس، وغيرهم.

وقال حسن شميماني: «إن القبائل المشهورة التي كانت تسكن في تلك الجهات، والتي وافقنا بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى، وأكثها كتب ومؤلفات الحديثيين منهم، قبائل تغلب، بكر بن وائل، قيس، سليم، ذكوان، قشير، نمر، كلاب، عقيل، شيبان، طي وغيرها»^(١).

وبشير إلى ذلك العزلاوي في كتابه «عشائر العراق القديم» حين قال: «إن من القبائل الأخرى التي استوطنت تلك المناطق ومنها عاردين، قبائل زربع، والتي تداخل أفرادها مع الزمن مع غيرهم، وركنوا إلى الزراعة، وكذلك قبيلة بنى سبعة وهم فرع من طي»^(٢).
وهناك أيضاً قبائل حرب والشرهيين وغيرهم.

(١) انظر كتاب «سيرة عاردين» لحسن شميماني — طبع دار الكتب ببيروت ١٩٨٧ — ص ٣٤٢.

(٢) انظر كتاب «عشائر العراق القديم البدوية» — حسن عزلاوي — صفحة ٢٠٣.

وما يزال بعض هذه القبائل يعيش حياة الرعي، والتنقل، وما زالت تحافظ على عروبته ولغتها العربية الأصيلة، وتنتشر في مناطق حول ماردين، ورواس العين، وديار بكر، لورقه، ونصيبين، وغيرها. ولقد استقر بعض هذه العشائر منذ زمن قديم وعملوا بالزراعة والحراثة، وأسوا البلدات والقرى، وأقاموا بها ومنهم — كما سبق وذكرنا — (عشيرة المظمية).

ونمتاز (المظمية) عن هذه العشائر بميزة الاستقرار في منطقة جغرافية واحدة على طول خط واحد معروف منذ زمن بعيد وهي تسمى (بأربابا) أو المنطقة العربية، وهي جنوب جبل طور عابدين والتي سميت (بديار معلّم) أو ديار الشيبانيين.

لما بقية العشائر العربية فهي تستقر في أماكن متفرقة ومناطق عدة، ومهما يكن من أمر فإن لكل عشيرة عربية عادات خاصة بها، حيث تتدرج جميع هذه العادات ضمن نطاق العادات العربية الأصيلة ولهجة عربية مميزة بها.

ومن هذه العشائر الرائدة، والمعلانية، والجلودية وغيرها من العشائر، وإنما لا نستطيع أن نتحدث بالتفصيل عن تلك العشائر، لأن المصطلحات التاريخية والمعلوماتية التي بين أيدينا ليست كافية لفتح ملفات هذه العشائر، وتبيان جذورها وأصولها ونسبها، لكن كل الذي نعرفه هو أن هذه العشائر العربية تتجاوز بالسكن مع عشائر المظمية، وتشكل معها وحدة عشائرية عربية في تلك المنطقة، كما إن بعض المصطلحات التاريخية الأولية التي بين أيدينا تشير إلى أن هذه العشائر هي بقايا من بعض القبائل العربية، وإن كنا نرجح بأنها من بقايا قبائل عبد القيس البكرية، وبشكل عام فإننا نمتطيح القول أنها من القبائل البكرية والفتلبية التي سكنت تلك المناطق منذ زمن طويل.

الفصل التاسع

عشيرة المحلّمية في الجزيرة السورية

— ويتضمن هذا الفصل المحاور التالية —

الأول: لمحة عن التنوع الثقافي والقبلي في الجزيرة (دراسة اجتماعية).

الثاني: بدايات الوجود المحلي المتجدد في الجزيرة.

الثالث: الانتشار المحلي في الجزيرة (القرى، التجمعات، العائلات).

الرابع: البروز المحلي في الجزيرة.

الخامس: علاقة المحلية مع غيرها من المناطق.

السادس: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري للجزيرة.

السابع: الوضع التنظيمي للجزيرة.

الثامن: الدور المنشود للمحلية في الوقت الراهن.

— أولاً —

لمحة عن التنوع القبلي والعشائري

(١)

الجزيرة السورية (الموقع العام)

الجزيرة السورية هي جزء من منطقة الجزيرة الفراتية، والتي كانت تطلق على الأراضي الواقعة شمال العراق ما بين نهري دجلة والفرات، والتي تمتد من تكريت على دجلة إلى الحديثة وعانة على الفرات جنوباً، ثم تتجه شمالاً إلى منابع النهرين التي يقرب بعضهما من بعض كثيراً.

ومع أن هذا الإقليم المتسع هو منطقة متشابهة من حيث أوصافه الطبيعية، إلا أن العرب قد قسموها — لاعتبارات عدة — إلى ديار عدة، عُرفت باسم القبائل التي نزلتها قبل الإسلام، وهي ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مصر، ولكل منها مدنها وقراها التابعة لها.

ومن ذلك ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي حيث قال: «واديار بكر من حيث موقعها في الإقليم هي وحدها ما غرب دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه إلى حصن كيفا وأمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحنين، وما تظل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل»^(١).

(١) انظر كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي جزء ٢ صفحة ٤٩٤.

وقال ابن شداد: هو الصقع الأول؛ فهو ديار ربوعة وفيها من البلاد معاً
 يلي بلاد الموصل: باد، أنرمه، نصيبين، دلاء، الخابور، رأس العين،
 سنجل، جزيرة ابن عمر.. والصقع الثاني هو ديار مصر وفيها.. حران..
 الرقة.. لرها.. مروج»^(١).

أما مفهوم الجزيرة السورية في الوقت الحاضر فيطلق عليه أحياناً اسم
 (الجزيرة العليا) فهي تلك المنطقة التي تشكل حالياً الحدود الإدارية لمحافظة
 الحسكة ضمن أراضي الجمهورية العربية السورية، والتي تمتد من ناحية
 الشدادة وإلى عين ديار بالملكية، ومن البحرية إلى رأس العين، ومركز
 المحافظة كما هو معروف هو مدينة الحسكة، ومن أهم مناطقها القامشلي،
 رأس العين، الملكية، ومن أهم مدنها القريباتية وعامودا، والقحطانية،
 والبحرية، وتل حميس وغيرها من عسرات البلدات والقرى الصغيرة،
 والجزيرة ذات سهول شاسعة مستوية، وذات تربة ذكية صالحة للزراعة
 وفيها أشجار ومراعٍ وأسطار غزيرة نسبياً، وفيها عدد من الأنهار والجداول
 الصغيرة.

وكانت الجزيرة في العصور القديمة والمتوسطة حتى أواخر العصر
 العباسي وخلال غارات المصليبين والمغول عامرة بالسكان، زاهرة بالحقول
 والسود، والزرع والتي تدل عليها الأطلال المنتشرة، وقلاع الصناديق،
 والأطلال الأثرية المنتشرة بكثرة، وهي من بقايا الشعوب العربية القديمة،
 وبعد الإسلام مسرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعانت من الفتن

(١) انظر كتاب «الاعلاق الخطيرة» لابن شداد - جزء ٣: ١ صفحة ٤ وصفحة ٥ -

الدخيلة والمخاطر البيزنطية، وقامت فيها لأول دولة عربية مستقلة حتى تعرضت للاجتياح التتركماني ثم الفلبي وغلوات التتار والتتركماني وفوضى العصر العثماني، وقد بدأ النزوح إلى منطقة الجزيرة منذ عصور قديمة رويداً رويداً، وهؤلاء النازحون جاؤوا من عدة أماكن، وهم من مختلف الطوائف والأديان واللغات كالعشائر العربية من العراق، وآسيا الصغرى، والأكرد، والأرمن، والسريان عدا ما كان فيها من عشائر وقبائل عربية سكنتها منذ أزمان بعيدة.

وخلاصة القول: إن منطقة الجزيرة السورية تعد من المناطق النشطة حضارياً، حيث شهدت قيام دول كبرى وحضارات رائعة يشهد عليها آثارها، وهي حالياً من المناطق الزراعية الأولى في القطر العربي السوري، وفيها عدة زراعات إستراتيجية مثل: الحبوب، والفطن، كما إنها منطقة غنية جداً بالثروات الطبيعية، وخاصة البترول، والفاز الطبيعي.

وتعد الجزيرة السورية صلة وصل ما بين تركيا وليرة من جهة، والعراق والخليج العربي وإيران من جهة أخرى، وبشكل عام فإن الجزيرة السورية تعد من أهم المناطق في سورية اليوم.

التنوع القبائلي والعشائري

بإتنا لا نورد هنا لمحة موجزة عن التنوع العشائري في الجزيرة نود أن نشير إلى أنه يحش في الجزيرة السورية عدد من العشائر العربية وغير العربية كالكردية، كما أنها تضم مجموعات دينية كبيرة كالسريان والأرمن، وإنه يجب أخذ العلم بأنه لا مجال في هذا الكتاب لإعطاء فكرة ولو موجزة عن لوضائع هذه العشائر والأشقيت وغيرها.

ومن القبائل والعشائر العربية:

- ١ - قبيلة علي: وهي قبيلة كبيرة في الجزيرة السورية، لها مكانتها ونفوذها وهي ذات نسب عريق، وعلي الحاضرة هي متحدرة أصلاً من قبيلة علي العربية الكبرى، ولقد خرج أسلافهم من جبلي أجا وسلمى والمعروفين باسم جبل علي وجاءت للجزيرة السورية منذ زمن بعيد وعلي العربية هذه مؤلفة من عدة عشائر وأقسام وأهمها: الصافي وفيهم (الريادة والرياسة)، والراشد، والحريث، وبني سبعة، وحريب، والجولة والظلمة وغيرهم.
- ولهذه القبيلة عشائر كثيرة منتشرة في سورية والعراق وتركيا وغيرها، ومساكنهم حالياً في مدينة القامشلي وأطرافها وإلى الجنوب والشرق منها وعدد من المناطق الأخرى في الجزيرة.
- ٢ - الجبور: عشيرة عربية كبيرة تقطن في مناطق الخابور على ضفته، وتمتد ديارهم إلى ناحية الصور.

- ٣ - شمر: عشيرة عربية تقطن في مناطق اليعربية والمالكية، وهي عشيرة كبيرة لها امتدادها في العراق، وهي بالأصل من قبائل طيء.
- ٤ - الشرايين: وهي عشيرة عربية تقتصر على ضفاف الخابور وحتى رأس العين، وفي بعض المناطق الأخرى وتنتشر في القامشلي واليعربية وغيرها.
- ٥ - البقرة أو (البكرة): ويدعون بكثرة الجبل وهو جبل عبد العزيز، وهم من بكارة نهر الزور، وهي عشيرة عربية تقطن في أطراف مدينة الحسكة وغيرها من المناطق، كما أن هناك العديد من العشائر العربية التي لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

(٣)

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

(١)

الحياة الاقتصادية

تشكل الزراعة النمط الاقتصادي الأساسي لاقتصاديات منطقة الجزيرة السورية، حيث تشكل الأراضي الزراعية نسبة عالية من مساحتها، ومعظم هذه الأراضي هي أراضي سهلية صالحة للزراعة، وتتميز بتربتها الغنية والمناسبة لزراعة الحبوب والقطن والأشجار المثمرة وغيرها.

وبذلك يكون العمل الزراعي هو المحور الأساسي الذي يعمل به حوالي سبعين بالمئة من سكان الجزيرة، وهناك نسباً لا بأس به من السكان يعملون في مجالات الصناعة، والتجارة، والمهن الحرة، والعمل لدى جهات الدولة ومؤسساتها وشركاتها، أو في مجالات البناء، وخاصة أن هناك تجمعات صناعية سكنية كبيرة مثل مدينة (الرميلان).

ونتيجة للموقع الجغرافي الهام للجزيرة فإنها تحتوي على منفذين رئيسيين لسورية على الخارج، وهما منفذ القامشلي مع الحدود التركية، ومنفذ اليمربية مع الحدود العراقية، الأمر الذي يعطي للجزيرة مكانة تجارية اقتصادية مهمة.

كما إن الأهمية الاقتصادية للجزيرة تكمن في إنتاج ثمانون بالمئة من الحبوب في سورية، وهي غنية كما ذكرنا بالموارد الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعي.

وعليه فإن الجزيرة تشكل منطقة اقتصادية جيدة ومتكاملة من حيث الإمكانيات المادية والبشرية، الأمر الذي يطلي لهذه المحافظة أهمية زائدة على غيرها من المحافظات السورية.

وعلى الرغم من كل هذا الثراء، فإن الاعتماد الفرنسي على الزراعة وإنتاج الأرض وإن حقق انتعاشاً اقتصادياً للمنطقة وسكانها خلال عقود طويلة إلا أنه قد تقلص خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، ولذلك أسبابه ومنها الظروف المناخية وقلة المياه، وتقلص الملكية الزراعية وتفتتها بسبب الإرث وغير ذلك من العوامل. كما أن السكان لم يستفيدوا من سنوات الانتعاش تلك لخلق استثمارات جديدة في مجالات الصناعة، أو حتى مجالات الصناعة الزراعية، وبشكل عام فإن السكان في الجزيرة ما يزالون إلى اليوم في مستوى معيشي جيد ومقبول، إلا أن ذلك أمر نسبي، وخاصة أن كثيراً من أبناء المحافظة ليس لهم أراضي زراعية يمكنونها أو ينفعون منها، وإن القسم الكبير منهم يوزق من كد يديه في مجالات عمل أخرى، كالأعمال المهدية واليدوية والعمل في قطاعات الدولة.

ومهما يكن من أمر فإن نمط الاقتصاد الزراعي في هذه المنطقة كان له تأثير كبير على نمط العلاقات الاجتماعية فيها والتي ستكون موضوع حديثنا في المحور التالي.

(ب)

الحياة الاجتماعية

ذكرنا أن النمط الاقتصادي يؤثر بشكل مباشر على الحياة الاجتماعية وهذه مقولة اقتصادية - اجتماعية تنطبق على فوضع الاجتماعي العام في الجزيرة، ذلك أن نمط الإنتاج الزراعي كان له أثره في تكوين الحياة الاجتماعية وتمتاز الحياة الاجتماعية في الجزيرة بالميزات التالية:

١ - أن مجتمع الجزيرة ما يزال مجتمعاً ريفياً.

٢ - العلاقات الاجتماعية فيه بسيطة غير معقدة.

٣ - التنوع والتناغم في الحياة الاجتماعية.

٤ - الأصالة والبساطة.

٥ - الانتماء للعشيرة.

٦ - فالمجتمع الجزري ما يزال مجتمعاً ريفياً أي إنه يعيش فـالنمط الريفي في العمل والسكن والعلاقات الاجتماعية، ذلك أن من متطلبات الإنتاج الزراعي هي الإقامة بالأرض والعمل فيها، وهذا الأمر أدى إلى وجود آلاف القرى الممتشرة في سائر أرجاء المحافظة وما زالت هذه القرى صغيرة وبسيطة، وربما تشكلت القرية من بضعة بيوت، وما يزال السكن في هذه القرى مبني من طين والخشب المسقوف، وإن كنا نشاهد منذاً كبيرة نسبياً وبلدات قد ازدهرت وأخذت الطابع الحديث في البناء والعمران والتنظيم. لكن الطابع العام لغالب الجزيرة ما يزال ريفياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

٢ - علاقات اجتماعية بسيطة غير معقدة: ومثل أي مجتمع ريفي بسيط فإن العلاقات الاجتماعية في الجزيرة ما زالت علاقات بسيطة، لا يشوبها التعقيد، وهي تنصف بالعفوية والتسامح والمحبة بين أفراد المجتمع، لأن عمليات الإنتاج الزراعي ذاتها غير معقدة، فعلاقة الإنسان الجزري مع الأرض والمناخ الجيد يعني عليه نوعاً من الصفاء، لذا نسرى أن الغالبية العظمى من السكان يتميزون بالعفوية والتواضع.

٣ - التنوع والتناغم: لقد ذكرنا أن منطقة الجزيرة تعد من المناطق العريقة حضارياً، وهذا قوضع ترك أثروه على التركيبة السكانية في المنطقة فترى أن هناك تنوعاً عجبياً من الأثنيات وقوميات والأديان والمذاهب والأعراق، وعلى الرغم من هذا التنوع إلا أننا نجد تناغماً عجبياً بين هذه الثقافات كلها. فترى العلاقات الاجتماعية فيها تسير في محاور عدة ومختلفة ولا تتبع سياسة المحور الواحد المتعصب، وبذلك فإن السيرة الرئيسية في الجزيرة هي هذا التعايش الطيب بين سكانها والقائم على المحبة والاحترام والعيش المشترك.

٤ - الأصالة: ما تزال القيم ومكارم الأخلاق كالصدق والأمانة وغيرها موجودة في المجتمع الجزري على الرغم من أن هذه الفضائل قد فقدت بعضاً من صمودها في وجه طفيلان المادي الاستهلاكي الحديث. إلا أننا نشاهد وبوضوح صورا من الإيثار والمعنونة، ومساعدة الغير وإغاثة الملهوف، والصدق، والأمانة، في التعامل والمعاملة، وهي صفات أصيلة لا تخلو منها فئة من الفئات التي تعيش في هذا المجتمع الجزري الكبير.

٥ - الانتماء القبلي والعشائري: كأني مجتمع ريفي زراعي محافظ على
 أصالته فإن للمجتمع الجزري ما يزال يعطي للعشائرية أهمية بالغة في حياته
 وما يزال ابن الجزيرة يعتز ويفتخر بنسبه وبشهرته، ويكاد يكون الانتماء
 للعشائري أحياناً أقوى من أي انتماء آخر، وما يزال هناك دورٌ ما لهذه
 العشائر ولمشيخاتها في هذه المنطقة، وهو دور فعال في خلق جو من التفاهم
 والمحبة والتعاون بين السكان، وحل مشاكلهم، ولهذا السبب نجد أن هناك
 العشرات من العشائر العربية والتي ما زالت هيكلتها العشائرية قوية وذات
 نفوذ محلي.

— ثانياً —

بدايات الوجود المَحَلِّي المتجدد في الجزيرة

لقد ذكرنا أن الموطن الرئيسي لعشيرة المَحَلْمِيَّة هو في (بيت مُحَلَم) أو ديار المَحَلْمِيَّة الواقعة في الجهة الجنوبية من طور عابدين من المنطقة العربية ضمن ما كان يُعرف بديار بكر، وما زالت هذه القرى المَحَلْمِيَّة منتشرة على طول الخط من أرخ شرقاً حتى حدود ماردين غرباً، وهي عامرة بسكانها.

ونذكرنا أيضاً في فصول سابقة أن عشيرة المَحَلْمِيَّة لموجودة حالياً في الجزيرة السورية هي من تلك المنطقة، ولقد نزحت إلى سورية مع بدايات القرن العشرين، وإن هذا النزوح لم يتم دفعة واحدة بل بشكل دفعات متتالية حيث استقرت شيئاً فشيئاً في منطقة القامشلي أولاً، وهي منطقة التجمع الرئيسي للمَحَلْمِيَّة، ثم انتشرت منها إلى سائر أرجاء المحافظة وغيرها من المدن السورية، كما إن هناك نزوحاً إلى حلب ولبنان والعراق، وقد خصصنا عدة فصول نتحدث عن أوضاع المَحَلْمِيَّة في هذه الدول.

وفي الحقيقة إن هذا النزوح لم يكن في البداية سوى هجرة داخلية من مكان إلى مكان ضمن حدود الدولة الواحدة، ذلك أن مناطق جبل طور عابدين كانت إلى زمن ليس ببعيد تكفل ضمن حدود بلاد الشام التي كانت تمتد حتى حدود جبال طوروس شمالاً.

ولقد كانت هناك أسباب عدة لهذه الهجرة (المحلمية) ومن هذه الأسباب:

١ - عدم وجود حدود دولية بين منطقة ديسار المُعَلِّمة ومنطقة

الجزيرة السورية، ولذلك فإن هذه الهجرة داخلية من مناطق قريب إلى المدينة، وكان في هذا الوقت تحديداً قد بدأ تكون المدن في الجزيرة ومنها مدينة القامشلي.

٢ - الظروف الاقتصادية والمعيشية: إن المُعَلِّمة في مناطق وجودهم

الأصلية كانوا وما يزالون يعملون بالزراعة لكنهم يعيشون في مناطق ريفية، تعتمد اعتماداً كلياً على العمل الزراعي، علماً أن المصاحات الزراعية قليلة وتكون الملكية الزراعية لا تتجاوز الهكتار الواحد، الأمر الذي لم يعد يحقق لهم المورد الكافي لمعيشتهم، نتيجة لزيادة عدد السكان، لذلك فإنهم توجهوا جنوباً نحو الجزيرة السورية، حيث بدأت تشهد هذه المنطقة ازدهاراً، وكان هذا هو العامل الأساسي في نزوح أبناء المُعَلِّمة إلى منطقة الجزيرة وهجرها من المناطق والدول.

٣ - السبب الاجتماعي: إن ديار المُعَلِّمة في تركيا حالياً هي التجمع

السكاني العربي الوحيد في تلك المناطق والتي تحيط بها قنصيات وأعراق وقوميات مختلفة، كالتركمان، والأكراد، والأتراك، وغيرهم، وكان هذا المحيط الاجتماعي يضيق بمختلفه على قنرى العربية، ولقد زاد هذا الخناق بعد ثورة أتاتورك، وما تبعها من سياسات تنريك منظمة طلائع العناصر غير التركية ومنها العناصر العربية المُعَلِّمة، ولقد أدت هذه السياسة إلى فرض اللغة التركية ومنع التدريس باللغة العربية وتغيير أسماء القنرى والبلديات العربية وفرض اللباس التركي وتغيير الألقاب وغير ذلك.

وجعلت هذه الأوضاع المُطمية يشعرون بأنهم غرباء في ذلك المحيط، وخاصة أن أوضاعهم الاقتصادية كانت صعبة في ذلك الوقت. ولقد أدت هذه الأمور كلها إلى أن يفكروا بالترحال نحو منطقة الجزيرة حيث يوجد العنصر العربي بكثرة وغلبة، وحيث الأرض العربية، ولعلهم يعيشون بين بني قومهم برفاه وأمن وأطمئنان.

٤ - العامل الأمني: لقد مرت على المُطمية خلال عقود طويلة ظروفًا صعبة، حيث كانت المنازعات والحروب هي حالة شبه دائمة في تلك المنطقة، ولقد توجت تلك المعاناة بتسيط النظام البكري على رقاب أبناء المُطمية العرب، حيث كان يحكم (البك) عدة قرى من المُطمية، ويترك قسمًا من هذه الغنيمة لغيره من البكية، ولقد أدت السياسة هذه إلى قيام نزاعات وقتال فيما بينهم نتيجة لطماع ومصالح، هذه النزاعات التي كان يدفع ثمنها وضربيتها دومًا السكان الذين ليس لهم ناقة أو جمل في تلك المنازعات. ولقد فرض هؤلاء (البكات) أنفسهم بدلًا من شيوخ ورؤساء العشائر، الأمر الذي جعل (المُطمية) يشعرون عليهم تحديًا، مما دفع بالعديد من السكان إلى الهجرة نحو مناطقهم العربية في سورية خوفًا من بطش هؤلاء الحكام وفسادتهم، واتجهوا نحو منطقة لكثرة استقرارهم وأمنًا.

٥ - لقد كان تسهيلات الانتقال السهلة التي كانت تجري بين مناطق المُطمية الأصلية في (تركيا) حاليًا ومدينة القامشلي تحديدًا الأثر في قيام علاقات تجارية بين المنطقتين، مما دفع بالعديد من أبناء المُطمية للعمل بالتجارة بين هاتين المنطقتين، ولقد شكل هؤلاء التجار النواة الأولى للسكان المُطمين في مدينة القامشلي.

٦ - كما كان لإنشاء الخط الحديدي بين استنبول - بغداد والذي يمر

داخل الحدود السورية أثرٌ في عملية الهجرة، حيث صار عدد كبير من المُحْطَمِيَّة يعملون في الشركات الألمانية والفرنسية أو الانكليزية التي قامت بإنشائه، لأن هذا المشروع الضخم قد تطلب بدأ عمالة كبيرة جداً، فكان المُحْطَمِيَّون من أوائل العمال والموظفين في هذه الشركات، وإن العمل في هذا المشروع كان يتطلب السكن والإقامة بجوار مناطق العمل على طول هذا الخط الذي يبدأ من نصيبين حتى بلدة الحربية على الحدود السورية - العراقية، حيث انتشرت عدة محطات للسكك الحديدية على طول هذا الخط، ولقد استقطبت هذه الشركات عدداً كبيراً من أصحاب اليد العاملة (المُحْطَمِيَّة)، ولقد استقرت هذه اليد العاملة في مناطق وجودها بعد انتهاء العمل بالمشروع، وظلت مستقرة في سورية تعمل لدى جهات الدولة بعد الاستقلال. أدت هذه العوامل كلها إلى هجرة عشرات الآلاف من العائلات المِطِمْية خلال عقدين من الزمن، وما لبثت أن أصبحت الركيزة الأساسية لهجرة أعداد كبيرة من (المِطِمْية)، حيث ازداد عدد المهاجرين إلى ثلاثة أضعاف خلال عدة عقود، ولقد ساهم هؤلاء المِطِمْيون - كما سلف القول - إلى إعمار المنطقة باعتبارهم من السكان الأوائل فيها، وذلك مع عسيريهم من المهاجرين السريان والمارونية والأكراد. حيث كن للعلاقات الودية بين فئات المهاجرين - وخاصة السريان والمارونية والمِطِمْية في مدينة القامشلي أثر بالغ في تأسيس هذه المدينة، وخاصة أن هذه العلاقة كن لها جذورها الطيبة في منطقة وجود هذه المجموعات في تركيا، حيث أن منطقة ماردين قريبة من مناطق قري المِطِمْية هناك.

وعليه فإننا نستطيع القول: إن بدايات الوجود المنحتمي في الجزيرة يعود إلى ما يقرب قرن كامل ونيف ولم يقتصر هذا الوجود على مدينة القامشلي وحسب بل وإنما كثرت هناك هجرات إلى عدد من المدن والبلدات في المحافظة كالحسكة ورأس العين وعلامودا والبحرية وغيرها من المدن، كما أن هناك عائلات كبيرة جداً قد استقرت في مناطق الريف وعملت بالزراعة وقامت بإنشاء قرى في ريف الجزيرة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أننا قد تعمدنا عدم ذكر الشخصيات والعائلات الأولى المهاجرة، لأن لهذا الكتاب هدف واحد وأساسي وهو إبراز الهوية العربية لعشيرة المنحتمية أولاً ولخيراً، وتبيان جذورها وأصلاتها وانتماءها تاريخياً، وليس الغرض منه تمليط الضوء على الأسماء والمسميات والأشخاص والعائلات وغير ذلك.

ولمهم في الأمر أن الوجود المنحتمي في المنطقة كان له آثاره الواضحة وبصماته في هذا المكان وخاصة في مدينة القامشلي وضواحيها.

— ثالثاً —

الانتشار المُحَلِّي في الجزيرة وغيرها

ما إن حل العام ١٩٥٠ حتى كانت أعداد المُحَلِّيَّة قد ازدادت في منطقة الجزيرة حتى بلغت أعدادهم في ذلك الوقت أكثر من خمسة عشر ألف نسمة في مدينة القامشلي وقراها وبلدات المحافظة.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الوجود المُحَلِّي في المنطقة يؤدي ثماره ولكّنه حيث بدأت العشيرة مرحلة التكوّن والتشكّل والظهور، وأصبحت المجموعات المهاجرة عشيرة ماهمت في بنسباء مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية في هذه المنطقة.

وهو الأمر الذي جعل هذه العشيرة — كما سلف ونكرنا — محط أنظار العشائر العربية الأخرى، ولقيت كانت تسكنها في مناطق لريف الممك من القامشلي إلى للعربية شرقاً وإلى تل حميس إلى حدود العراق.

ونتيجة لتحسن ظروف المعيشة في المنطقة في تلك الأونة بسبب امتحان العمل الزراعي وإدخال وسائل الإنتاج الزراعي الحديثة من آلات وجرارات زراعية وحصادات وغير ذلك، فإن هذا التحسن المعيشي قد فتح مجالات عديدة للعاطلين عن العمل، من ذلك الاستقرار في لريف، كما بدأت نواة للقرى المُحَلِّيَّة والتجمعات السكانية المُحَلِّيَّة في التشكّل، وإن كانت هذه القرى (حالياً) لم تصبغ (بالبطابع المُحَلِّي) الخالص، بل هي ككل قرى الجزيرة التي تعيش فيها عشائر وطوائف مختلفة ومتنوعة.

ولقد ازداد الوجود المَحْطَى في الأرياف والقرى، وخاصة بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي في سورية عام ١٩٥٨ - ١٩٦١، وما تبعه من عمليات استملاك وتحديد الملكية الزراعية وبالتالي عمليات توزيع الأراضي على (المنفقين) الفلاحين، ولقد استفاد عدد من أبناء المَحْطَمَةِ منهم مثل غيرهم من المواطنين، وحصلوا على أراضي انتفاع في عدة قرى من المحافظة وخاصة القامشلي والدرباسية ورأس العين واليعربية والقحطانية وغيرها.

وبالمقابل فإن أبناء المَحْطَمَةِ في المدن (خاصة القامشلي) قد ازدادت أعدادهم بشكل طبعي، لأن قسماً منهم قد توجه نحو العمل في وظائف وشركات الدولة بينما بقيت الأقسام الأخرى تعمل في شتى مجالات العمل من بناء وتجارة وصناعة وفي بعض المهن اليدوية وغير ذلك.

ولقد أدى المناخ الاجتماعي الموائم في هذه المنطقة إلى خلق علاقات اجتماعية جديدة ومتفرعة ومتشعبة، ومنها علاقات الجوار والمصاهرة والتزاوج وغير ذلك، وأدت هذه العلاقات إلى نتائج إيجابية جيدة للعشيرة ككل، وإن كانت هذه العلاقات قد أدت في بعض الأحيان إلى إشكالات، وخاصة أن بعض هذه العلاقات الاجتماعية قد وصلت إلى حد الانصهار الاجتماعي أو العائلي مع مجموعات أخرى وخاصة الكردية منها، ولقد انعكس ذلك كله - كما سلف وذكرنا في هذا الكتاب - على الوضع العام للعشيرة من حيث فقدان الملامح العربية الأسلمية للفرد المَحْطَمَى، والتي وصلت أحياناً إلى درجة التخلي عن لغته الأسلمية في الحديث والمخاطبة والتعامل.

وإننا نستطيع القول بأن الوجود المَحَلِّي في الجزيرة أصبح اليوم وجوداً كبيراً حيث انتشر أفراد العشيرة في كل مكان في هذه المنطقة بحيث لا تخلو مدينة أو بلدة في الجزيرة من العنصر المَحَلِّي.

وإننا لسنا في صدد إعطاء إحصائية تقديرية لأعداد (المَحَلِّيَّة) في الجزيرة أو أماكن وجودهم وعدد قراهم وغير ذلك من الأمور. ذلك أن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة سكانية كاملة ومتكاملة وخاصة أنه لم يكن في حسابنا أثناء التفكير في عمل هذا البحث الحديث عن هذه النواحي، ذلك أن الغاية من هذا المؤلف كانت كما أسلفنا التأكيد على الهوية العربية للمَحَلِّيَّة، وإبراز جذورها وانتماءها العربي الأصيل.

وإننا نذكر في إصدار ملحق خاص بهذا الكتاب يتضمن دراسة سكانية لاثربولوجية عن الوضع السكاني للمَحَلِّي من حيث أعدادهم وتوزعهم الجغرافي بشكل علمي ومدروس.

— رابعاً —

البروز للمُحَلِّمِي في الجزيرة

لقد ذكرنا في الفصل الماضي أنه اعتباراً من العلم ١٩٥٠ تقريباً بدأت عشيرة المُحَلِّمِي بالتكوّن والتشكّل كهيكلية عشائرية، ولُحِثَتْ تَحْتِ عَنْ وجودها ودورها العشائري ضمن مجموعة العشائر العربية. وإن عشيرة المُحَلِّمِي لم تظهر بقوة كعشيرة عربية في المنطقة إلا في عهد الوحدة ما بين مصر وسورية بالأعوام ١٩٥٨ — ١٩٦١ ولذلك سبب جوهري.

إذ إنه في هذه الحقبة التاريخية كان لمجيء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر إلى مدينة القامشلي ذكرى ومناسبة عند هذه العشيرة لا يمكن نسبائها بأي شكل من الأشكال وما زالت ليومنا هذا في ذاكرة الذين عاشوها وعاصروها وما يزالون يتحدثون عنها ويعدونها من الأيام الخالدة.

لقد استقبل الرئيس الراحل عبد الناصر شيوخ القبائل والعشائر ووجهاء الجزيرة، وحينما التقى مع (وجهاء المُحَلِّمِي) آنذاك، بدأ الوفد المُحَلِّمِي التعريف بالعشيرة ولقائمتها ومحبتها لعروبتها حتى وصل بأحد هؤلاء الوجهاء بأن يخرج عن طوره وعن بروتوكولات اللقاء ليتحدث بصق وجراءة عن عروبة هذه العشيرة حديثاً ذا شجون، ترك أثره عند الرئيس الراحل والذي بدأ متأثراً بالحديث، وخاصة أن المتحدث شرح قصة معاناة هذه العشيرة بشيء من اللوعة والحزن، ومن وقتها تبلور الوجه العربي للمُحَلِّمِي

بصورة جلية واضحة، وضحت العشيرة إحدى الخصائر العربية الأصيلة وكانت بذلك اعتراف المجموعة العربية بأمرها.

وتبعاً لذلك فقد ظهرت عشيرة المُنظمة كقوة سياسية في المنطقة حينما أعلنت صراحة وعفاً عن محبتها وعشقتها لعبد الناصر، لكونه زعيماً عربياً أصيلاً، ولقد جذب المُنظمة لعروبتهم في محبتهم لعبد الناصر وكلني بهم يقولون: «إننا عرب، وعبرنا عن ذلك بصورة واضحة، وهي حينما لعبد الناصر بطل هذه العروبة آنذاك».

حتى إن بعضاً من المُنظمة البسطاء أراد أن يعبر عن هذه الحقيقة فقال بشكل معكوس: «إن عبد الناصر مُنظمي» وهو أراد أن يقول: «إن المُنظمة كلهم ناصريون».

ولقد ترك ذلك اللقاء نتائج طيبة نحتت بالعشيرة كلها، فقد اتجه الشباب والرجال للمنظمين إلى الانضمام إلى صفوف الأحزاب الناصرية فيما بعد، وما زالت صفة (المنظمي) هي (الناصري) في هذه المنطقة، وهذا دليل قوي على وحدة الترابط بين المُنظمة كعشيرة عربية و(الناصرية) التي كانت مجسدة في شخصية عبد الناصر العربي القومي.

وكان لهذا الحدث اهتمام فنتج عديده من أهمها:

- ١ - بروز المُنظمة كعشيرة عربية أصبح لها وجود اجتماعي وسياسي في المنطقة، مما جعلها محط أنظار العشائر العربية والمجموعات الأخرى.
- ٢ - بروز الوجه السياسي للعشيرة والمتمثل في توجه الناصري.
- ٣ - جعلت العشيرة محل استقطاب لعديد كبير من أفراد العشائر الأخرى والمجموعات، ولقد تقوى فيها عدد كبير من العناصر الكردية التي

أعلنت انتماءها لهذه العشيرة، وإن كان قد ظهر فيما بعد أن هذه العناصر كانت تبحث عن مكاسب خاصة بها ليس إلا، كالحصول على الهوية السورية أو الانتفاع بلواحق.

٤ - بروز الوجه المدني الحضري (المحتمية) من خلال مشاركة العشيرة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية (البرلمان، الأحزاب).

— خامساً —

علاقة المُحْطَمِيَّة مع غيرهم من العشائر

(١)

علاقة المُحْطَمِيَّة مع العشائر العربية

لقد ذكرنا في فصول متقدمة أن عشيرة المُحْطَمِيَّة الواقعة إلى المنطقة قد انضمت إلى المجموعة العشائرية العربية، ومُنْذُ ذلك الحين توثقت العلاقة ما بين المُحْطَمِيَّة وهذه العشائر، وتطورت فيما بعد واتخذت طابعاً مميزاً في عهد الوحدة ما بين مصر وسورية.

وتتسم العلاقة ما بين المُحْطَمِيَّة وغيرها من العشائر العربية في الجزيرة بالسمات التالية:

١ — اعتراف العشائر العربية بالمُحْطَمِيَّة كعشيرة عربية وضمها إليها، ودعمها قولاً وفعلًا في مختلف المناسبات والوقوف معها في كل الأوقات ونورد مثالين عن ذلك يجران عن مدى قوى الارتباط بين المُحْطَمِيَّة وبقرعة العشائر العربية:

المثال الأول:

في الخمسينيات من القرن الماضي حدثت مشاجرة كبيرة بين بعض العائلات المُحْطَمِيَّة وبعض العائلات الكردية في مدينة لفامشلي، ولقد ذهب على إثرها عدد من القتلى والجرحى من المُحْطَمِيَّين، ولقد حركه هذا الحادث

شعور للمجموعات العربية التي عملت على إظهار مساندتها ودعمها للمُطَمِّية باعتبارهم من أبناء جلدتهم.

وحدث أنه التقى في مقهى (كريبس) بالمدينة والذي كان في ذلك الوقت وربما ما يزال مكاناً ومُنْقَى لكثير من زعماء العشائر ووجهاء المدينة وغيرهم، حدث أنه التقى وقتها الشيخ دھام قھادي شيخ عشيرة شمر العربية مع حسن حاجو زعيم العشائر الكردية في المنطقة آنذاك، وقد أعلن الشيخ دھام قھادي استنكاره وإدانتته لما حصل وقال موجهاً كلامه لصنن حاجو: «إن العربان في المنطقة لن يتفوا مكتوفي الأيدي جراء ما حصل للمُطَمِّية العرب لو ما لا يحصل لهم» مؤكداً على أن المُطَمِّية (عرب.. منا وفينا.. والى بصيرهم بصيرنا)، وطالبه بالإعاز لجماعته بالكف عن إيذاء أي فرد مُطَمِّي أو التعرض له أو الإساءة إليه.

المثال الثاني:

كما إن العلاقة كانت جيدة ومتينة ما بين قبيلة طي العربية ذات النفوذ الكبير والواسع في المنطقة وما بين المُطَمِّية، حيث كان وجهاء المُطَمِّية على علاقة متينة مع شيوخ قبيلة وعشائرها، حيث إن هؤلاء الشيوخ كانوا يحبرون دائماً عن إعجابهم بغيرة المُطَمِّي وتمسكه بعروبته واعتزله بقوميته.

٢ - إن أصالة العنصر المُطَمِّي وحفاظه على لغته العربية وعاداته وتقاليده الأصيلة، قد جعله محط أنظار العشائر العربية الأخرى، الأمر الذي حدا إلى إقامة علاقات اجتماعية ومصاهرة وزواج وعلاقات عمل ومزارعة وتجارة فيما بين أبناء المُطَمِّية وغيرهم من أبناء العشائر العربية الأخرى.

٢ - اتخاذ المُحَلِّمِية موقف الحيف في حل حصول أي نزاع ما بين العشائر العربية فيما بينها والعمل بعد ذلك على التوسط لدى العشائر المتنازعة لحل خلافاتها ودياً، وتقديم الدعم الكامل لتلك الحلول التي من شأنها إصلاح ذات البين بغية المحافظة على قوة ومتانة ووحدة هذه العشائر العربية.

٤ - نظراً لأهمية (المُحَلِّمِية) فقد عنتها السلطات جزءاً من الهيكلية القبلية والعشائرية في المنطقة، حيث كانت تدعو العشيرة إلى مسائل الاجتماعات المهمة في المحافظة المنطقة بشؤون المنطقة ومنقشة الأوضاع الاجتماعية والعشائرية فيها.

٥ - دفاع العشائر العربية عن عشيرة المُحَلِّمِية والوقوف معها في كل ما تتعرض له من هجمات من قبل مجموعات الجذب والتي تحاول النيل من قوة الانتماء العربي للمُحَلِّمِية.

بقي أن نذكر بأن المنتسب لتاريخ هذه العشيرة منذ وجودها في الجزيرة السورية سيلاحظ بأن السلوك الاجتماعي لهذه العشيرة هو مهلن وحيدادي، ولم يحصل أي نزاع عشائري ما بين هذه العشيرة ومع غيرها من العشائر العربية، أو مع أي مجموعة صرقية، أو دينية أخرى تعيش في المنطقة.

(٢)

علاقة المُطَمَّة مع الطوائف الأخرى

إن المحيط الجزيري متنوع وتعيش فيه عدة اثنيات مع العرب، فهناك الأرمن، والمسلمين وغيرهم من الطوائف المسيحية، وهناك الأكراد، والمارونيون، وهم الوالدون من منطقة مارونين وما حولها.

وأغلب هذه الاثنيات - إن لم نقل جميعها - قد وُجِدت إلى الجزيرة مع بدايات القرن العشرين أو أقل من ذلك بقليل، حيث لم تكن الحدود السياسية قد رُسمت بعد بين الدول، حيث كانت المنطقة بأسرها واقعة تحت السيطرة العثمانية ومنذ ذلك الحين كانت العلاقات ما بين المُطَمَّة وبين هذه الطوائف متبلورة تماماً، وذلك حتى قبل ولود هذه المجموعات واستقرارها في الجزيرة السورية، فقد كانت تتجاور في محل سكناها الأسلمية، إذ إن مناطق وجودها في تركيا كانت تحيط بديار المُطَمَّة من الشمال والغرب.

أولاً: العلاقة بين المُطَمَّة والأكراد

لقد ذكرنا في فصل متقدم جذور العلاقة ما بين المُطَمَّة والأكراد نفسي منطقة وجودهم في تركيا، ولقنا إن منطقة ديار المُطَمَّة فرضت حولها حصاراً اجتماعياً، وأصبحت تعيش حياة شبه مستقلة دلتل كيوتهها، وإن لذلك أسبابه، منها حرص المُطَمَّة على المحافظة على صيغتهم، ولغتهم، وأصولهم، ودينامهم العربية، بغية عدم الذوبان والاتصهار في مجموعات عرقية أخرى.

وإن هذا الحرص الذي وصل في كثير من الأحيان إلى حد (التعصب) و(العصبية) جعلهم ينعزلون عن بقية المجموعات العرقية الأخرى ومنها الكردية، ونستطيع أن نقول إن العلاقات الاجتماعية كانت مقطوعة بين المحلّمة وهذه المجموعات العرقية ومنها الكردية، وذلك لحرص المحلّمة على المحافظة على نسلهم ودماءهم العربية وسط ذلك المحيط ولقد وصل بهم الحال إلى عدم إقامة أي علاقات مصاهرة أو زواج مع تلك المجموعات العرقية.

ومن خلال قراءتنا التاريخية للعديد من الكتب والمراجع التي نتحدث عن تاريخ تلك المنطقة ومنها مؤلفات السريان مثل كتاب طُور عابدين، وكتاب اللؤلؤ المنثور، لمار أغناطيوس الأول وكتاب «النصارى في نكبات النصارى» لاسحاق أرملة، ومؤلفات الأكراد ومنهم (مذكرات جكر حورين).

فإننا نستطيع أن نحدد بعض ملامح العلاقة ما بين المجموعات العرقية في تلك المنطقة ونخص هنا العلاقة ما بين العرب (المطمّنة) وما بين المجموعة الكردية بما هو أت:

١ - إن هذه العلاقة كانت مرتبطة، بعلاقة الحكومة العثمانية، وبعدها الحكومة التركية مع هاتين المجموعتين، ذلك لأن الحكومة العثمانية وبعدها الحكومة التركية اتبعت سياسة (إذواجية التعامل أو المعاملة) أو ما يسمى بسياسة الإذواجية للمعايير في معاملتها مع المجموعات العرقية التي كانت تحكمها، وذلك وفق ما كانت تتطلبه مصلحتها القومية.

فهي كانت تدعم المجموعة الكردية على حساب المجموعات الأخرى، حينما تتطلب مصلحتها دعمهم، ولقد شغل الأكراد دورا كبيرا في الحقب

الأخيرة من الحكم العثماني، حيث ساهموا في الدفاع عن الحكم العثمانيين مقابل الحصول على نفوذ كبير ومكاسب على الأرض لهم.

إلا أنه في المدة التي تلت سقوط السلطة العثمانية، ومع بدايات الحكم للتركي، فإن مصلحة الأتراك كانت تتطلب كسب ود العنصر العربي في المنطقة ودعمه على حساب العناصر الأخرى.

ومنذ ذلك الحين كانت السياسة التركية قد تحازت كلياً لكسب المجموعة العربية (المُحَلِّمِيَّة) إلى جانبها، لأن هذه المجموعة لم يكن لها أية مطالب تاريخية ظاهرة في تلك المنطقة، وإن كانت هذه المجموعة تحتل مناطقها جزء من وطنها العربي الكبير.

ولأن المجموعة الكردية بالذات كان لها مثل هذه المطالب الظاهرة في تلك المناطق وقد تحول الصراع بين المجموعتين الكردية والتركية إلى شكل الصراع القومي بينهما فيما بعد.

كل هذه الظروف والأوضاع السياسية والأمنية المضطربة، كان لها أثرها على العلاقة ما بين المُحَلِّمِيَّة والأكراد.

٢ - التمايز الحضاري ما بين المُحَلِّمِيَّة والأكراد: لقد ذكرنا أن (المُحَلِّمِيَّة) هي من عرب بني شيبان البكرية والتي استوطنت مناطقها منذ زمن طويل، وقامت بتعمير تلك المنطقة وفنقلت بذلك من حياة التتقل إلى حياة الاستقرار، حتى إنها قامت بحركة عمرانية واسعة حيث أنشأت منسبات القرى والبلدات المُحَلِّمِيَّة الممتدة من أرخ إلى حدود ماردين وكانت أكثر من خمسمئة قرية وبلدة.

وبذلك أصبحت عشيرة مستقرة حضرية، فتخلّى أفرادها عن زيجهم وعاداتهم البدوية، وتلقوا بالجواري المحيط بهم من أتراك وعربان وغيرهم.

فتراهم يمتازون عن الأكراد بذلك، حيث ظل الأكراد ولزمن غير بعيد مجموعات رعوية غير مستقرة تعتمد على القتل، والغزو، والكر والفر، في تأمين حياتها.

لذلك فإن هناك تمايزاً حضارياً ظاهراً وواضحاً بين المجموعتين، بالإضافة إلى التمايز القومي والعرقي، فصق ذلك كله لهوة بينهما وكان من شأنه الحد من إمكانية إقامة أي علاقة اجتماعية أو اقتصادية بينهما فامتاز العنصر المَحَلِّي عن الآخر بهويته العربية، ولغته، ونحضره ومدنيته. وعليه فإننا نستطيع القول بأن التمايز القومي والحضاري بين المَحَلِّيَّة والأكراد كان واضحاً في مناطق وجودهم في تركيا، وقد ظل هذا التمايز موجوداً وثباتاً وانتقل معهم إلى الجزيرة السورية، وما يزال قائماً إلى يومنا هذا.

فالمَحَلِّيُّون منذ أن وطئت أقدامهم أرض الجزيرة السورية عرفوا وما يزالون يعرفون بأنهم في جهة، والأكراد في جهة أخرى، ولأنهم غير الأكراد، كما يعرف الأكراد تماماً أن المَحَلِّيَّة ليسوا منهم، بل هم عرب.

إلا أن طبيعة العلاقات الاجتماعية في الجزيرة والقائمة على أساس التعايش والتجوار وهي علاقات اجتماعية ريفية زراعية قد خلقت نوعاً من التماسك الاجتماعي بين المجموعتين المَحَلِّيَّة والكردية، وخلاصة أن المناخ السياسي العام في سوريا - والجزيرة منها - يختلف تماماً عن ذلك المناخ السائد في تركيا من حيث وجود مشكل عرقية هناك، بينما يعيش الجميع هنا في ظل دولة عربية تحترم كل الطوائف التي تعيش تحت ظلها.

فخلاصة القول: إن جذور العلاقة ما بين المَحَلِّيَّة والأكراد تقوم على أساس التمايز العرقي والحضاري بين المجموعتين، وما يزال هذا التمايز

موجوداً في منطقة ديار المَظْمِيَّة في تركيا وهذا أيضاً. وتبقى العلاقة ما بين المجموعتين علاقة طيبة، وهي صفة غالبة على علاقة المجموعات فيما بينها في الجزيرة السورية.

ثانياً: علاقة المَظْمِيَّة مع (المجموعة السريانية والمارونية)

إن جذور العلاقة متينة ما بين المَظْمِيَّة العرب والمجموعة السريانية والمارونية وذلك لأسباب تاريخية.

لمن المعروف أن طور عابدين قسمها لمؤرخون والمريبان إلى منطقتين سكتيتين تبعاً لاسم القوم الذين سكنوا في كل منطقة وهما منطقة (بيت مَحَلَم) وفيها يسكن المَظْمِيَّة ومنطقة (بيت ريشا) وهي منطقة سكن المريبان. وهذا يعني أن ديار المَظْمِيَّة تقع إلى الجهة الجنوبية لطور عابدين والمريبان موجودون في الجهة الشمالية وهي مناطق متجاورة جغرافياً ولكل مجموعة منهما قراها ولغتها وعاداتها، فالتمايز بين المجموعتين تمايز لغوي ولجتماعي وطائفي.

وإن هذا الجوار قد ساهم في خلق علاقات طيبة ما بين المجموعتين، وخاصة إن كلاهما (حضريتين)، وإذا كتفت المجموعة المَظْمِيَّة العربية كما سبق أن ذكرنا قد عزلت نفسها اجتماعياً بسبب عصبيتها القومية الخاصة بها بحية الحفاظ على جذورها وأصولها وصيغتها.

إلا أن هذا القتخوف كان تجاه المجموعات العراقية (القومية) فقط ولم يكن تجاه المجموعات الدينية وخاصة السريانية أو المسيحية، بسبب الفارق الديني بينهما.

فالمُحَمَّية كانت تحافظ على تمايزها العربي تجاه المجموعات الكردية والتركمانية لكنها لم تر في (السريان) مجموعة عرقية بل (مجموعة دينية) ومن هنا كان انفتاح المُحَمَّية على المجموعة السريانية دون تخوف أو وجل.. ولهذا السبب فإن العنصر المُحَمَّي العربي لم يشارك يوماً ما في عمليات التطهير الطائفي التي حدثت في (تركيا) تاريخياً.

ولذلك ترى وجود علاقة جيدة ما بين المُحَمَّية والسريان في تلك المنطقة على الرغم من الاختلاف في الدين.

والشيء الذي جعل المُحَمَّية يمتنعون عن المشاركة في عمليات التطهير الطائفي تلك يرجع إلى أن المُحَمَّية، وعلقة من النصارى (الأرمنية) يرجعون إلى أصول عربية واحدة، وفي هذه الحالة تطلب الانتماء القومي للمُحَمَّية على الانتماء الديني عندهم، ولذلك أسبله التاريخة أيضاً.

لذلك نجد أن بعض القرى المُحَمَّية اليوم ما زالت تعيش فيها العديد من العائلات المسيحية (السريانية وغيرها)، حتى إن بعض المدن والبلدات لا يعيش فيها سواهما (كاستل) مثلاً.

ولذا السبب نجد سكان القرى (الأرمنية) المجاورة لقرى المُحَمَّية كانوا يرون في قرى المُحَمَّية وبلداتهم مكاناً آمناً لهم، حماهم من غارات الأتراك والأكراد في ذلك الحين.

ذلك أن المُحَمَّية كانت تعد أولئك النصارى هم من يقبلوا القبائل والعشائر العربية، لذلك كان الانتماء القومي عندهم في هذه الحالة غلب على انتمائهم الديني في العلاقة فيما بينهم وبين السريان، والعكس ليس صحيحاً كما تصور بعض مؤرخي السريان.

وإن هذا الأمر يبدو أكثر وضوحاً اليوم في العلاقة ما بين المُحَلِّمَةِ والسريان في منطقة الجزيرة، حيث ما تزال هذه العلاقة قوية ومتينة، ليس هناك أي فولق بين المجموعتين من الناحية الحضارية والاجتماعية، وليس هناك أي مانع سوى الدين، لإقامة علاقات المصاهرة والنسب فيما بينهما.

وبشكل عام فإن العلاقة ما بين المُحَلِّمَةِ والسريان وغيرهم من المسيحية والمردلية أساسها المحبة والاحترام المتبادل بين المجموعتين والتي لم يذكر للتاريخ أي نزاعات أو صراعات فيما بينهم.

ومهما يكن من أمر فإن هذه العلاقة الطيبة والجيدة من شأنها أن تدعم أسس الوحدة الاجتماعية، والحضارية، والثقافية في الجزيرة السورية، وتجعلها نموذجاً يُحتذى به للتعايش الأخوي بين المجموعات كلها، في سبيل تحقيق حياة ملؤها السعادة والرغامية والتقدم لأبناء هذه المحافظة والوطن.

وهكذا فقد تحدثنا في المحور المتقدم عن أسس وجذور العلاقة ما بين المُحَلِّمَةِ وغيرها من المجموعات العربية أو غير العربية، وإن هذه العلاقات أولاً وأخيراً هي محكومة بالطابع العام لأسس العلاقات القائمة بين مختلف المجموعات في منطقة الجزيرة، والتي تتصف بكونها جيدة وحسنة، وهي قائمة على التمايز والاحترام، وحسن الجوار، والمعاملة، والأخوة.

— صلاحاً —

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري للمُحْطَمَةِ

أولاً: الحياة الاجتماعية

يعيش أبناء عشيرة المُحْطَمَةِ اليوم في مدن وبلدات المحافظة وخاصة في مدينة القامشلي، حيث يستقر القسم الأكبر من هذه العشيرة، وليس هناك مدينة أو بلدة في المحافظة إلا ويعيش فيها عائلات مُحْطَمَةٍ أو أفراد، كما إن هناك نسبة جيدة من أبناء المُحْطَمَةِ يعيش في القرى المنتشرة في مناطق القامشلي والحسكة والمالكية وغيرها.

ولا يستقر المُحْطَمُونَ في حي أو قسم معين من المدينة، بل هم يتوزعون في مختلف أحياء المدينة مثلهم مثل غيرهم من السكان، وإن كانت بداية سكنهم في المدينة كانت في بعض الأحياء (الحرث) ومنها (قدور بك).

وإن هناك سجلات موروثية للمُحْطَمَةِ قد حافظوا عليها وتوارثوها من جديدهم وأصولهم العربية ومن هذه الصفات:

١ — الشجاعة: فالفرد المُحْطَمِي يشتم بالشجاعة والجرأة، وتراه لا يخاف في الأوقات التي تتطلب شيئاً من العزم والقوة والجرأة، وهو شديد طيب القلب متواضع في الوقت نفسه.

٢ - **لوفاء:** إن الفرد المَحْمَلِي حريص على أداء ما عليه من واجبات تجاه نفسه والآخرين، وهو وفي لجبرته، وليس الغدر من شيمه، ولا يمكن له أن يخون صديقه أو حتى عدواً له، كما إنه حريص على كسب محبة الناس والآخرين.

٣ - **لكرم:** المَحْمَلِي عربي لولاً ولخيراً، وهذه الصفة هي من صفات العرب ومن شيمهم وأخلاقهم، والمَحْمَلِي لا ييخل بأي شيء عنده، وهو دائماً حريص على مساعدة الآخرين وضيافة الغريب أو القريب، كما إنه على الرغم من ظروفه الاقتصادية نراه محباً للضيوف مبادراً إلى مساعدة الآخرين والأهل والجيران والأقرباء وغيرهم.

٤ - **حمية الجار:** لا يوجد فرد مثل الفرد المَحْمَلِي يحرص كحرصه على جيرانه، حيث نراه دائماً محباً لهم ومساعداً، ويحترمهم ويصون حقوقهم، ويقتدر تماماً حق الجار عليه، فهو يزوره إذا مرض ويقوم بمساعدته وإعاقته إذا احتاج الأمر، ويعرض على جاره المساعدة والخدمات، ويبذل دائماً عما يثير غضب جاره لو مضايقته بأي شكل من الأشكال، ولقد عُرف للمَحْمَلِي بذلك، وإن الجميع يحبون جيرة المَحْمَلِي وصداقته.

٥ - **الشفقة:** فالمَحْمَلِي شهم، نبيل، غيور، يحافظ على خلقه وأخلاقه ويرى أن قسوف عنده شيء مقزز، كما إنه حريص على شرف الآخرين ومعتهم، ذو غيرة ولحفة، لا يحب الغرور بل نراه طيب القلب واللسان. وهذه الصفات يعرفها أكثر الذين يخاطبون المَحْمَلِي أو يجاورونهم في السكن أو العمل أو غير ذلك.

كما إن العلاقات الأسرية الاجتماعية وطيدة بين أفراد المَحْمَلِي، فهم يجتمعون في الأفراح والأحزان والمناسبات الأخرى، وهم يشاركون الغير

أفراحهم وأحزانهم، ويقومون بتأدية واجباتهم الاجتماعية تجاه أنفسهم وتجاه غيرهم على أكمل وجه.

وإن أفراح المُطَمِّي وأعراسهم ما زالت فيها بعض العادات والتقاليد الموروثة، على الرغم من عمليتي التثاق والتأثير الاجتماعية المتبادلة، والعرس المُطَمِّي يسمى (دعوة) أو (دعوي)، وهي كلمة مأخوذة من فعل (دعا)، سمي بذلك لأنهم يدعون الناس لمشاركتهم في أفراحهم.

كما إن لهم دبكة خاصة بهم، كما إن أغانيهم متممة، وكلماتها مطبوعة بالطابع العائلي الرقيق، وتكثر فيها الشكوى من هجر الحبيب وقسوته، وتظهر فيها أيضاً لوحة الحب وحرقته، ولقد امتزجت الأغنية المُطَمِّيَّة بالأغنية المارونية وأخذت الطابع نفسه تقريباً.

كما إن الزي النسائي المُطَمِّي ما يزال زياً محافظاً، والمرأة المُطَمِّيَّة نالت نوعاً ما حظها من التعليم والطب، وهي تشارك زوجها وأسرته في أكثر مجالات الحياة، فهي تساعد الأسرة وتعينها في الأرض وفي المنزل، كما إنها عاملة وموظفة وتمتدح الحرف النسائية (كالتسيج، والخياطة، والتريـض، والحلاقة النسائية) وغير ذلك.

والمُطَمِّيون منفتحون على الناس بشكل كبير، حيث تراهم يتنصرون نحو الآخرين بكل جوارحهم ويصدق وإخلاص، فهم يحبون الناس بسرعة ولا مجال عندهم للتذر بالصديق أو النميعة أو غير تلك.. لذلك عُرفوا وامتازوا بهذه الميزات وكفوا مثار إعجاب غيرهم من السكان الذين تسابقوا لإقامة علاقات عمل وتجارة وزراعة ومصاهرة وزواج معهم.

كما إنه ما يزال يظهر فيهم (الطابع البدوي) أحياناً، فزرى فيهم الأنفة، وعزة النفس، وعدم قبول الضيم، والكرامة والإباء، وهذه الصفات عندهم من أساسيات الحياة كالطعم والشراب والهواء.

وبشكل عام فالمجتمع الأسري المنظمي مجتمع عربي محافظ قوامه عادات وتقاليد أصيلة، وفي صفات المنظمي تتلخص في كونه: كريماً، أميناً، ذا لفة وإباء، شجاعاً، بسيطاً، لا يعرف البضاء والخديعة والمكر.

ثانياً: الحياة الاقتصادية

إن أبناء المنظمة — مثلهم مثل غيرهم من سكان الجزيرة السورية — بحكمهم نمط العمل الزراعي، لذلك فإن الأغلبية من أبناء هذه العشيرة يعيشون على الزراعة، سواء كان بشكل مباشر من خلال عملهم في أرضهم الزراعية — ملكاً كانت لم انتفاعاً — أو بشكل غير مباشر في المجالات التي يتطلبها العمل الزراعي وتوابعه.

كما إن هناك أغلبية جيدة منهم — وخاصة سكان المدن — يعملون في مجالات التجارة والصناعة والمهن اليدوية الحرة، ومجالات البناء والأعمال والبيع والشراء، وغير ذلك من الأعمال. وهناك من اتخذ من العمل لدى الدولة ومؤسساتها وشركاتها مصدراً لرفقه ومعيشته، فترى من أبناء المنظمة الموظف والعامل والإداري، وغير ذلك، وهناك من تسنى له الحصول على الشهادة العلمية، فعمل في مجالات التعليم، والمهن الحرة الأخرى، فممنهم الطبيب، والمهندس، والمحامي، والمعلم، وأصحاب المحلات التجارية، وبالمقابل فإننا نجد الكثيرين منهم عاطلين عن العمل، مثلهم مثل

غيرهم من أبناء المحافظة، لكنهم لم يبقوا عند هذا الحد، بل تراءى قد سافروا إلى خارج قطر سواء إلى الأقطار الأوروبية أو العربية، وخاصة لبنان والسعودية والخليج، حيث يعمل هناك عدد لا يُلحس به من أبناء المُطَمية، وخاصة في بيروت، حيث تقوم جماعات كبيرة من المُطَمية هناك. وإنما منفرد فصلاً خاصاً نتحدث فيه عن لوضاع المُطَمية في لبنان.

والملاحظ — وبشكل علم — أن المُطَميين قدرون على تأمين دخلهم المعاشي، كما أن مستوىهم الاقتصادي مقبول، وإن بعضاً منهم حققه للمادية جيدة، والبعض الآخر فقير.

وكما سلف وذكرنا، فإن المرأة المُطَمية دخلت مجالات العمل جنباً إلى جنب مع الرجل، تماند وتساعد أسرته في أمورهم المعيشية، وبشكل عام فإن المُطَمية في الجزيرة السورية مثلهم مثل غيرهم من أبناء هذه المحافظة، يعيشون حياة اقتصادية واحدة. أساسها العمل الزراعي وما يتفرع عنه من أعمال وغير ذلك.

ثالثاً: الحياة السياسية

لقد سلف وذكرنا أن (عشيرة المُطَمية) عرفت سياسياً أيام الوحدة السورية — المصرية، وخاصة بعد قدوم الرئيس الراحل عبد الناصر إلى مدينة القامشلي وللتقاءه يومئذ بوفد من العشائر والمجموعات العرقية في المنطقة.. ولقد برز المُطَميون وقتئذ (كعرب قوميين) أكثر من بروزهم كتتظيم سياسي يقف مع عبد الناصر، حيث لم تكن التنظيمات للناصرية بعد قد ظهرت في تلك الأونة.

والحقيقة والواقع نقول: إن حب المُطَمِّية لعيد الناصر لم يكن أساسه (سياسي)، بل كان حباً عربياً قومياً (شعبياً)، ذلك لأنهم أرادوا أن يعبروا عن حبهم لعروبيتهم وقوميتهم وانتمائهم للعربي، فوجدوا أن الفرصة التاريخية لهم كانت أيام مجيء عهد الناصر إلى منطقة الجزيرة.

ومنذ تلك اللحظة تبلور عدهم (حبهم للقومية)، والذي تحول فيما بعد إلى شكل من أشكال الفضل السياسي، فتخربطوا في الأحزاب القومية، وخاصة الأحزاب الناصرية، ومن ثم حزب البعث العربي الاشتراكي، وكانت الأغلبية الساحقة منهم (ناصريين) دون ممارسة حزبية، أي أنهم غير منظمين سياسياً، فالناصرية بالنسبة لهم هي تولد القومية والعروبة.

ومن هنا شاركوا أمتهم العربية أفرانها وأحزابها واحتفالاتها بإيام العرب المجيدة، وهم في كل مناسبة قومية أو وطنية يقيمون المراكز الاحتفالية الخاصة بهم، والمنشرة في عدة أماكن في المدينة أو قرياف وعدد من المدن والبلدات الجزيرية الأخرى.

كما إن ذلك قد نطعمهم للمشاركة في الانتخابات التشريعية والمحلية والبلدية، والتي كانت تجري على مستوى القطر أو المحافظة، ولقد تسلسلوا للمناصب في هذه المجالس سواء في مجلس الشعب أو في المجالس المحلية. وفي الوقت نفسه نجد أن هناك عدداً قد لا يتجاوز أصابع اليد ممن تنظم في أحزاب أخرى كالشيوعية أو غيرها، بينما لا نجد منهم من انتسب إلى الأحزاب الكردية، أو أي تجمعات غير عربية.

للمُطَمِّين: وطني قومي بطبعه، يحب وطنه وقوميته، وتراه منفصلاً مع الأحداث التي تحيط بهذه الأمة من ماضي ونكبات وغير ذلك.

ولئن الحص القومي العربي عنده يبلغ أعلى درجاته، ولذلك سببه، وهو أن هؤلاء المُطَمِّية، قد حرّموا من التعبير عن قوميتهم وانتمائهم العربي عدة قرون، بسبب القهر والاستبداد السلطوي من الحكم العثماني، ومن ثم الحكم التركي من بعده، والذي حرّمهم من التعبير عن عربيتهم وقوميتهم، وخاصة لما وجدوا أنفسهم يعيشون فوق أرضي عربية، ولما لم يمنعهم أبداً من التعبير عن حبهم بأي شكل يريدوه.

كما إنهم عولوا، حريصون على وطنهم وقوميتهم، لذلك لم يقرأ يوماً ما مع أي حزب أو جماعة أو مجموعة تريد التّوّل من هذا الوطن وهذه العروبة خلال عقود طويلة إلى يومنا هذا. وإن دلّ هذا الأمر على شيء، فإنه يدل — وبشكل قاطع — على مدى محبة المُطَمِّية لوطنه وقوميته.

وإن ما ذكرناه عن تعلق المُطَمِّية بقوميتهم ووطنهم لا يعني البتة، التّقليل من محبة أبناء العشائر العربية الأخرى لقوميتهم ووطنهم، كذلك محبة بقية المجموعات الأخرى لهذا الوطن الذي ولدوا وترعرعوا فيه.

رابعاً: الحياة الفكرية

لقد دفع الآباء المُطَمِّيون أبناءهم إلى مجالات العمل والتعليم، ومنذ نشوء المدارس والمعارف الحكومية، ولقد حرص هؤلاء الآباء على ذلك على الرغم من أن ظروفهم الاقتصادية الصعبة قد تتطلب أن يعمل هؤلاء الأبناء لمساعدة أهلهم في الحصول على لقمة العيش.

ولقد نتج عن ذلك وجود نسبة كبيرة من أبناء المُطَمِّية ممن حصلوا على شهادة علمية في مختلف الفروع والاختصاصات ومنها شهادات عليا

(طب، هندسة، حقوق، صحافة، أدب، تزيين) وغير ذلك من الشهادات العليا في الفروع العلمية والأدبية.

ولقد نشأ أبناء هذه العشيرة لهم (معلمون، متفنون)، وخالصة أبناء الجيل الجديد، كما إن هناك طبقة واعية مثقفة بدأت تظهر منذ عقدين من الزمن، وأصبحت مجموعة فاعلة في هذه العشيرة تتكلم من أمورها وهمومها وأوضاعها وتفتح الكثير من الطول، وتنفذ السياسات وتحاول دائماً دفع عجلة هذه العشيرة نحو الأمام.

وكذلك فقد كان لهذه الطبقة الواعية والمثقفة دوراً فكرياً وثقافياً من خلال مشاركتها في الندوات الثقافية واللقاءات الاجتماعية وغير ذلك من النشاطات الفكرية والثقافية في المحافظة.

وتقدّموا عدد من أبناء هذه العشيرة مراكز حزبية واجتماعية وإعلامية جيدة سواء كان ذلك على مستوى المحافظة أو القطر، ولا مجال هنا لتكرار الأسماء، لأننا قلنا مراراً وتكراراً بأن الهدف من هذا الكتاب هو تسليط الضوء على أوضاع هذه العشيرة بشكل عام.

كما إن المعلمين عرفوا بمواقفهم الفكرية القلمية على (تشغيلية) والوضوح، وعدم الانغلاق أو التعصب الفكري تجاه ما يطرح من أسرار ومناقشات، كما إنهم حريصون على محاوره جميع أصحاب الاتجاهات الفكرية والسياسية والثقافية حولاً مفتوحاً، دون التعصب لراي أو مذهب أو فكرة أو عقيدة.

وخالصة القول: إن الحياة العلمية لعشيرة المعلمية في الجزيرة السورية هي جزء من الحياة العلمية الجزيرة، وإن كان هناك أحياناً طابع مميز، خاص بحياتها، لكنه يندرج ضمن إطار الوضع العلم، مثلها مثل أي عشيرة لها طابعها المميز وتميزها الغالب عليها.

الفصل العاشر

الوضع التنظيمي لـشيرة المحامية

— أولاً —

تعريف.. ونبذة تاريخية

إن المقصود بالوضع التنظيمي لعشيرة المُطَمَّة هو (الهيكلة العشائرية)، أي شيخ العشيرة ورؤساء الأقباط ووجهائها وغيرهم، وحتى نستطيع أن نتحدث عن هذه المسألة بدقة وموضوعية فلا بد لنا أن نعطي لمحة تاريخية عن هذه الهيكلة العشائرية.

(نبذة تاريخية)

لقد تحدثنا في فصول سابقة إن المُطَمَّة عشيرة عربية تنتمي إلى (بنو شيبان)، وأن ديارهم الأساسية هي المنطقة العربية في تركيا حالياً، وتحدثنا أيضاً عن أسباب نقلهم الوجود العربي القبلي والعشائري في تلك المناطق، والتي كانت تعرف بديلر بكر وربيعة ومضر، والتي شكلت منطقة واحدة عُرفت باسم الجزيرة الفراتية.

ولقد (انتهت الهيكلة العشائرية) للقبائل والعشائر العربية ومنها المُطَمَّة لعدة أسباب منها:

١— ضعف الوجود العربي في المنطقة.

٢— الانتقال من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضر.

٣— استقرار ما تبقى من تلك القبائل والعشائر في المدن و البلدات والقرى التي أقاموها وشيدوها.

٤- الحكم البيكوي الذي حكم المنطقة وعشرها خلال قرون طويلة، ومازال لهؤلاء الحكام صفة اسمية باسم (الأمراء) أو (بيت الأمير)، على الرغم من أن هؤلاء الأمراء الحكام هم من بقايا (البكوات) أصولهم تركمانية. وهنا يجب أن نقف قليلاً عند تعبير (الأمير) والذي نراه أحياناً مرفقاً لكلمة (بيك) عند الأتراك أو التركمان، وإن لقب الأمير هو لقب يطلقه الأتراك حديثاً بدلاً من (البيك)، على اعتبار أن المنطمة هم (عرب)، والعرب يطلقون عادةً على حكامهم لقب (الأمير) لذلك نجد أن كثيراً من القُصَب السريانية والكردية تذكر عبارة (الأمير المنطمة) بينما تطلق على نظيره الكردي (أغا) فيقولون (أغات الأكراد).

ومهما يكن من أمر فإن نظام (الإمارة) أو (البكية) هذا ليس من جوهر النظام العشائري الذي يقوم على هيكلية عشيرة معينة، هي شيخ العشيرة ورئيسها ومن ثم رؤساء الأقخاذ والوجهاء وغيرهم.

ونستطيع لقول مركزين لأن (المنطمة) قد طبقت طابعها العشائري وهيكلتها العشائرية في تلك المنطقة، وأصبحت تبعيتها (للبيك أولاً) ثم (للأمير لاحقاً)، وإن كلا الحاكمين لم يكونا يمثلان (النظام العشائري)، بدليل أن عشائر المنطمة في حقبة من الحقب قد حكموا من قبل (بكرين) اثنين، فقسم منهم قد وقع تحت نفوذ (عيسى بيك) وقسم الآخر تحت نفوذ (خليل بيك)، لذلك فإن عشائر المنطمة كانت منقسمة تنظيمياً وبعواً وبالتالي فإن هذا الانقسام ليس انقساماً عشائرياً.

بالإضافة إلى ذلك فإن (النظام البيكوي) كأي نظاماً سلطوياً فعلياً إدارياً سياسياً بالدرجة الأولى، ولم يكن نفسه قائماً على تمثيل العشيرة، والدفاع عنها وموازرتها، أو غير ذلك من مهام زعيم العشيرة وشيوخها.

وترك هذا الأمر أثره السلبية على العشيرة ككل، وقد تحدثنا مطولاً عن هذه الآثار والتي كلفت العشيرة ثمناً باهظاً.

— ثانياً —

تكوّن عشائري جديد

لأسباب التي ذكرناها قبل قليل فإن (المُحَلِّمِيَّة) في مناطق وجودهم في المنطقة العربية في تركيا، ميزالون لا يعرفون نظام (المشيخة العربي) أو قل: فقده، ولقد انتهى أيضاً (الحكم البكوي) أو (حكم الأمير) ولم يبقَ إلا اسمياً لا قيمة تذكر له.

وحينما بدأ (المُحَلِّمِيَّة) يتخون إلى أرض الجزيرة السورية، ويسكنون فيها شيئاً فشيئاً وأصبحوا فيما بعد يشكلون أعداداً كبيرة منتشرة في أماكن عدة من المحافظة بدأ (التكوّن العشائري) يتشكل عندهم من جديد إذ أنهم لم يعرفوا هذا الشكل من قبل، وإن هذا التكوّن العشائري بدأ يظهر بصورة طفوية أو قل بصورة طبيعية لبواكب النظام العشائري الذي ما يزال موجوداً في هذه المنطقة، وبدأت المُحَلِّمِيَّة تتشكل وتتطور كشيرة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت كذلك.

ولعوامل عدة لا يجدر بنا ذكرها هنا تشكلت نواة الهيكلية العشائرية أو المشيخة في الريف، واستقر بها أبناؤهم المقيمون هناك نون سواهم من أبناء المُحَلِّمِيَّة، وخاصة المقيمين منهم في المدينة، وذلك لكون أبناء المدينة (حضر) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وأنهم يعيشون في مجتمع منفي، ومع مرور الزمن استطاعت (الهيكلية العشائرية) المتشكلة في الريف أن تحصل على اعتراف الهيكلية القبلية والعشائرية العربية في المنطقة،

والتعامل معها على أساس أنها تمثل مشيخة العشيرة، وأصبحوا فيما بعد يعرفون باسم (شيوخ العشيرة)، وإن هذا (الانتقال الترمائكي للمشيخة) كان له أسبابه ولم ينشأ لو يخلق في يوم وليلة، ومن أهم هذه الأسباب:

أ - عدم وجود مرجعية عشائرية تاريخية أصلية وشرعية في مناطق وجود المخطمية في ديارهم في تركيا، لانتقال معهم إلى مناطق وجودهم الجديدة في الجزيرة السورية.

لذلك فإن منصب (المشيخة أو رئيس العشيرة) كان فارغاً هناك، بل لا وجود له مطلقاً وخاصة بعد انهيار (النظام البكوي والأميري).

ب - إن أبناء المخطمية الذين سكنوا المدن وكافوا، هم الأغلبية، المخرطوا. في حياتهم المدنية ولم يكونوا يهتمون بأي مرجعية عشائرية قديمة لهم، وكان يمثلهم بعض الوجهاء وكثر المن منهم.

ج - إن هذه الأمور كلها جعلت (مشيخة المخطمية) في هذه المنطقة لا تستند إلى (شرعية شعبية عشائرية)، كما إنها أصلاً لا تستند إلى (شرعية تاريخية).

— ثلثاً —

إعادة ترتيب (الهيكلية العشائرية)

لقد كان النهج الذي سرتنا عليه منذ البداية في هذا المؤلف.. هو النهج الموضوعي، والذي كانت الغاية منه تحليل الإشكالات المتعلقة بعشيرة المتعلمة سواء أكانت هذه الإشكالات متعلقة بالانتماء، أو الرد على ادعاءات مجموعات الجذب، أو غير ذلك من أمور.

لأن هدفنا الأول والأخير هو إعادة الاعتبار والتقية بالنفس لأبناء المتعلمة، وخاصة فكتلة الكبيرة منهم والتي كانت تدفع دائماً ثمن هذه المشكلة.

لذلك رأينا أن من بين هذه الإشكالات (إشكال المشوخة)، فكان ولا بد من تحليل هذا الإشكال وتلطيط الضوء عليه وتنقيده، كل ذلك من أجل وضع حلول له.

وعليه فإنه يجب على أبناء المتعلمة أن يفكروا بهذه العشيرة، وخاصة بعد أن حلت كل الإشكالات المتعلقة بها، وظهر شكلها العربي الأصيل وانتمائها القلبي مدعماً بالإثبات، وعلى ضوء هذه النتائج، فلا بد إذن من التفكير في إعادة بناء هيكليتها العشائرية من جديد على ضوء المتطلبات الجديدة، ويجب على القائمين على أمر هذه العشيرة ووجهائها ومتفقيها وأبنائها، التفكير والصل بأسس تاريخية على إعادة بلورة (هيكلية عشائرية) للعشيرة على أسس جديدة من المشروعية، بعيداً عن كل المصالح الخاصة

والغالبات الشخصية والتصرفات الفردية غير المسؤولة، فالأمر هنا لا يتعلق
بمسألة فردية أو دعاوية انتحائية أو منصب بدرّ (ذهاباً وغضّة)، وإنما يتطرق
بمجموعة كبيرة جداً من الناس وبحياتهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم، لأنك
فإن العامل الأول الذي يحقق المصداقية والأمانة في العمل هو نبذ الماضي
وتترك كل مسؤولته وعدم البحث في ثنائيات وخلفيات. والعامل الثاني هو التفكير
بمنطق ونزاهة وصدق وأمانة، ومراجعة الحقبة الماضية بدقة وصواب
وموضوعية، هذان العاملان إذا وُجدا، ووجدت معهما الإرادة والنية الصالحة
لإعادة ترتيب (البيت المقلّم) وبنائه من جديد، وبما يحقق المنفعة العامة
لأبناء هذه العشيرة، وهرزها كوجه عربي أصيل، وتفعيل دورها العشائري
بين المجموعة العربية، في سبيل وضعها في مكانها الذي تستحقه كمشيرة
عربية لها تاريخ عريق ومشرف، يؤهلها لتأخذ دوراً مناسباً في بناء الوطن
والإنسان أولاً ولغيره.

الفصل الحادي عشر

المطلوب من المُحَلِّمَةِ في الحاضر

ترتيب البيت المحلّي

لقد تحدثنا في فصل ستقدم عن ضرورة إعادة النظر في (ترتيب البيت المحلّي) وخاصة بعد ظهور المستجدات الجديدة، والتي أبرزنا من خلالها وبشكل واضح الانتماء العربي والقبلي لهذه العشيرة.

لأن ذلك من شأنه أن يساعد في إيجاد دور ما لأبناء هذه العشيرة على مسرح الحياة العامة في الجزيرة السورية، وإن كلمة (دور) لا تعني بالضرورة (دوراً سياسياً) بل (دوراً اجتماعياً وثقافياً) يساهم في تشكيل الهوية الثقافية والحضارية في هذه المنطقة.

وليس بالضرورة أن تستقر آراء أبناء المنظمة على اعتماد (الهيكليّة العشائرية التقليدية) بذاتها، وإنما البحث عن (هكليّة ما)، قد تكون (هكليّة إدارية) على شكل (جمعية ثقافية اجتماعية) وخاصة أن أغلبية أبناء العشيرة يعيشون في المدن وهي تفضل مثل هذه (الهيكليّة الإدارية)، وإن هذا النمط من الهيكليات الإدارية نراه واضحاً عند بعض المجموعات التي لا تظهر في المنطقة (بشكل عشائري) بل بشكل (ثقافي واجتماعي) وحيداً لو يفكر أبناء هذه العشيرة (بترك الهيكليّة العشائرية) والبحث عن نمط حديث يستطيع أن يثبت وجوده الفاعل في تكوين العشيرة على (أسس ثقافية واجتماعية) تأخذ صفة الشخصية الاعتبارية (كجمعية ثقافية واجتماعية وإنسانية) وغير ذلك، حيث يمكن لها أن تقدم فوائد جمة تعود للعشيرة ولأفرادها ومن هذه الفوائد:

١- تشكيل مرجعية إدارية تحدد مسؤولياتها وواجباتها تجاه الأشخاص المنتمين لها، وهذه المرجعية تأخذ طابع (الجمعية) ينتخب أعضاؤها انتخاباً، حيث يمثل الأعضاء فيها أملاً قشيرة وتجمعاتها السكانية في المدينة والريف.

٢- تستطيع هذه (الجمعية) أن تقوم بأعمال كثيرة غير (تمثيل القشيرة) ومن هذه الأعمال إقامة الجمعيات السكنية أو النوادي الثقافية والاجتماعية، وإقامة صناديق المعونة والمساعدة الاجتماعية وغير ذلك من الأعمال المفيدة لهذه القشيرة.

٣- بلورة الوجه العربي لهذه القشيرة ومشاركتها في بناء الحياة الاجتماعية والثقافية. والاقتصادية على أكمل وجه، وذلك من خلال النوادي الثقافية والاجتماعية التي ستقوم بإنشائها.

وفي الحقيقة إن إيجاد مثل هذه (المرجعية الإدارية) للقشيرة من شأنه أن يساعد على إعطاء دفع جديد لغيرها من القشائر العربية لتعمل على تطوير هيكليتها العشائرية، وخاصة أثناء في وقت له معطياته ولوائحه وألياته الخاصة به.

وإن هذا الأمر من شأنه أن يعطي دوراً جديداً للقبيلة والعشيرة في المنطقة، وأن يحقق الفائدة لأبناءها، وأن يحرك العمل الجماعي والثقافي عند الأفراد، وأن يعطي للقشيرة وظائف أخرى اجتماعية وثقافية وعلمية وغير ذلك.

وبذلك نكون قد أنهينا هذا الفصل المتعلق بالهيكلية العشائرية، وربما يكون هذا الفصل بالذات - لما قدم من اقتراحات - بحاجة إلى قراءة متأنية

ثانية وثالثة، وبشكل موضوعي وعقلاني حتى تطلق الأحكام بشري وبعقلانية، وليس بغوية ومزاجية، وعلينا أن نلحظ بعين التقدير دائماً ولابد، أن كل دعوة إصلاحية جديدة لابد أن تلاقي صعوبات عدة حتى يُستطاع فهمها وفهم مقاصدها ومدلولاتها وأهدافها.

ومهما يكن من أمر فإن الغاية من وراء ذلك هو ضرورة إعادة التفكير في كل ما يدور في فلكنا وبين ظهرائنا من هيكليات عشارية لم تعد تلائم بأي شكل من الأشكال عصرنا الحالي، ومهما كنا مغالين وعطيين في تقبل هذه الحقيقة فإن هذا الأمر محكوم بنظرية التطور والرفق.

وإن المقصود من إعادة التفكير في (الهيكلية العشارية) هو إعادة تنظيم القبيلة أو العشيرة على أسس جديدة، وليس إلغاء دور القبيلة أو العشيرة بل تفعيل هذا الدور ليكون أكثر تأثيراً وحيوية من دوره الحالي.

وإن مراجعة بسيطة لولية لطرق وأساليب تفكيرنا ومقارنتها، بالوضع المعاصر، تجعلنا نفهم لماذا نصر دائماً على إعادة التفكير في كل ما تركسه الماضي في صقلنا، وإن طريقتنا في التفكير نفسها هي من مخلفات هذا الماضي.

الفصل الثاني عشر

عشائر المُحَلِّمِيَّة خارج الجزيرة السورية

عشائر المُحَلَمِيَّة خارج الجزيرة السورية

ويتضمن:

أولاً: عشيرة المُحَلَمِيَّة في حلب

ثانياً: عشيرة المُحَلَمِيَّة في لبنان

ثالثاً: عشيرة المُحَلَمِيَّة في العراق

— أولاً —

المُحَلِّمِيَّة في حلب

هناك أعداد كبيرة من المُحَلِّمِيَّة يقومون في مدينة حلب، وهؤلاء استقروا في هذه المدينة وهم قد وفدوا إليها منذ زمن طويل، منذ بدء هجرة أبناء العشيرة من ديارهم في تركيا، وذلك مع بدايات القرن العشرين الميلادي، وقسم من هؤلاء وفد إلى حلب من الجزيرة السورية مباشرة، وهم يقسمون الآن في أحياء متعددة من المدينة، ويقومون علاقات طيبة مع بعضهم البعض، كما إنهم على صلة بأبناء عشيرتهم في الجزيرة السورية ومع أبناء العشيرة في موطنهم الأصلي في تركيا.

ويُعرف المُحَلِّمِيَّة في مدينة حلب باسم (الماردنية) وهذا طبعاً خطأ، إذ إن هناك التباساً بينهم وبين الكثير من أبناء ماردن الذين سكنوا حلب أيضاً، وهؤلاء وفدوا من الجزيرة أو من ماردن مباشرة إلى حلب، وغالبيتهم من بقايا العشائر العربية في منطقة ماردن.

وسبب هذا الخطأ ما بين (الماردنية) و (المُحَلِّمِيَّة) في حلب هو اللهجة الماردنية القريبة من اللهجة المُحَلِّمِيَّة أو اللهجة الجزرلوية كما سبق وتحدثنا عن ذلك.

والمُحَلِّمِيَّة هنا يعرفون بتمايزهم عن الماردنية، إلا أن التسمية الغالبة عليهم جميعاً هي أنهم (ماردنيون) أو (ماردنية) على الرغم من الاختلاف بينهما.

ولقد حافظ المُطَمِّية في حلب على لهجتهم (المحكّية) بالرغم من إقامتهم الطويلة في حلب، حتى إن أولادهم الذين ولدوا في حلب وتزعرعوا فيها، يتقنون اللهجة الحلبية، مع ذلك أنهم ما يزالون يتحدثون بلهجتهم المُطَمِّية في بيوتهم وبين أسرهم وعائلاتهم.

ويؤلف (المُطَمِّيون) مع (الماردليون) هناك مزيجاً عربياً مشتركاً، كما إنهم يشكلون مجموعة اجتماعية (عشائرية) كبيرة لها مكانتها بين المجموعات الأخرى.

ويتركّز سكن المُطَمِّية في عدة أحياء من مدينة حلب، منها أحياء قديمة من المدينة مثل (القول)، و (الرمضانية)، و (الشميصاتية)، و (الجديدة) و (ميسلون)، وبعضهم يقم في أحياء جديدة (كالحميدية)، و (الجارية)، و (بستان الباشا)، و (الشيخ مقصود)، و (الأثرافية)، وغيرها من أحياء المدينة. ولقد حافظ المُطَمِّية على وحدتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، وهم لم يمتزجوا بالمجتمع الحلي.

ويحمل المُطَمِّية هناك في كافة الأصـل وفي مختلف مجالات العمل الاقتصادي، ولقد اتجه الأباء المُطَمِّيون إلى تطعيم أبناءهم، فتخرج قسم جيد من أبناء المُطَمِّية من الجامعات والمعاهد، وأصبح كثيرون منهم أطباء ومهندسين ومحامين، ومعلمين وغير ذلك.

وفي الحقيقة إنه ليس هناك إحصاء نستطيع أن نعدده ولو بشكل تقريبي لو تقديري لتحديد أعداد المُطَمِّية في مدينة حلب، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن المُطَمِّية موجودون بكثرة في هذه المدينة منذ أوائل القرن العشرين.

كما إنه لا مجال لذكر أسماء العائلات والشخصيات المُنظمة المعروفة
 في حلب كل ذلك للسبب الذي ذكرناه في غير مكان من هذا الكتاب.
 والجدير بالذكر هنا أن المُنظمة وبشكل عام في مدينة حلب لم يعملوا
 من أي مشكلة تتعلق بانتمائهم العربي، كما أنهم لم يتعرضوا لأي محاولة
 كلن من شأنها إلصاق نسيبهم وانتمائهم بأي مجموعة أخرى.
 وهنا يعرف المُنظمون بأنهم عرب ومن العناصر العربية المقيمة في
 تركيا والجزيرة السورية.

— ثانياً —

المُحَلِّمِيَّة في لبنان

لبن تاريخ الوجود المُحَلِّمِي في لبنان هو نفسه تاريخ وجوهم في الجزيرة السورية، وحلب، وذلك لأن هجرة المُحَلِّمِيَّة من موطنها الأصلي في تركيا قد اتخذت عدة محاور، الأول باتجاه الجزيرة السورية، والثاني باتجاه حلب، والثالث باتجاه لبنان، والرابع باتجاه العراق.

وهناك أعداد كبيرة من المُحَلِّمِيَّة تحش اليوم في لبنان، وخاصة في مدينة بيروت وطرابلس، وفي أبناء هذه العشيرة مايزالون محافظين على لهجتهم المُحَلِّمِيَّة وعاداتهم وتقاليدهم، وإلهم لم ينصهروا تماماً في المجتمع اللبناني، فما تزال لهم صبغتهم المُحَلِّمِيَّة ومايزالون يتحدثون فيما بينهم وبين أسرهم باللهجة المُحَلِّمِيَّة المميزة.

وهم يشكلون مجموعة عربية كبيرة مع غيرهم من أبناء العشائر العربية الأخرى التي هاجرت منهم من تركيا إلى لبنان، ومن هذه العشائر الرائدية، والمخاضية والمردلية وغيرهم.

وخاصة أن هذه العشائر تشترك في صفات عديدة، كاللهجة والعادات والتقاليد، وعلى الرغم من هذا التمايز لهذه المجموعة العربية (المُحَلِّمِيَّة، الماردلية — الرائدية) فإنها تعاني من مشكلة كبيرة تتعلق (بافتقارها القومي) حيث إن الجهات الرسمية والشعبية هناك في لبنان تصنفهم خطأ مع

للمجموعة الفكرية، ذلك أنهم يطلقون على أبناء هذه المجموعة العربية (الأكرد).

ولابد أن تلقى الضوء على هذا الإشكال لكونه مستمر منذ عشرات السنين، وقد ترك أثراً كبيراً على الوضع العام لأبناء هذه (المجموعة)، وعليها فإننا سنبحث على الترتيب لسبب هذه المشكلة أولاً، ثم نتحدث في المساوي التي نجمت عنها، ونحاول أخيراً البحث عن حلول فورية لحلها وذلك ضمن محاور ثلاث.

المحور الأول

(أسباب المشكلة)

من المعلوم أن المجتمع اللبناني هو مجتمع حضري (مدني) حيث لا تظهر فيه القبلية والعشائرية بأي شكل من أشكالها، وإن كان هذا الأمر لا ينطبق على كل لبنان حيث يوجد هذا الشكل العشائري في الجنوب والبقاع، وهي مناطق ريفية وقريبة من الحدود السورية، حيث يكون هناك امتداداً سكانياً لبعض العشائر السورية داخل الحدود اللبنانية لو بالعكس.

وإننا قد ذكرنا أن التنمية الكبيرة من أبناء المجموعة العربية في لبنان يعيشون في مدينة بيروت وطرابلس، وهناك بالذات لا وجود لأي شكل من أشكال القبلية والعشائرية.

ولأن أبناء المُطَمَّية وبقيّة المجموعة العربية هناك ما تزال تحافظ، على لهجتها وعاداتها وتقاليدها، والتي هي أقرب إلى عادات وتقاليده أهل القريصف منها إلى المدينة، فإن هذه المجموعة لم تستطع أن تتخبط في الحياة المدنية اللبنانية بشكل كامل، لو قل لم تستطع أن تتصهر فيها تماماً، وإن كانت قد اكتسبت عادات وتقاليدها الجديدة من المجتمع الذي تعيش فيه، لكنها لم تستطع إظهار وجودها هناك بشكل مظم (جمعية، حزب) أو غير ذلك.

وبالمقابل فإن المجموعة الكردية في (بيروت) تتشابه من حيث الذي ذكرناه مع المُطَمَّية وبقيّة المجموعة العربية، إلا أنها تختلف عنها، حيث إن لها توجهات سياسية معينة وإن هذه التوجهات السياسية جعلت أبناء

المجموعة الكردية تتصارع للانخراط في الأحزاب السياسية اللبنانية وخاصة (الحزب التقدمي الاشتراكي) والذي يصل على استقطاب المجموعات الشعبية والعمالية من أجل تحقيق أهدافه وشعاراته، ولدى هذا الأمر إلى تمييز العنصر الكردي عن غيره من العناصر والمجموعات الأخرى (المُطَمِّية).

ولقد حصل العنصر الكردي من جراء انضمامه لهذا الحزب على بعض المكاسب المادية (الحصول على عمل، هوية (جنسية لبنانية)، إقامة، أو مكاسب معنوية).

الأمر الذي دفع المُطَمِّية وغيرهم للانجذاب إلى هذا الحزب أيضاً والانخراط في صفوفه، وعُدَّ ذلك ضرورة لتحقيق وجودهم ومطالبهم من خلال تعاطيهم بجهة سياسية ما هناك، وخاصة أنها لها بعض التوجهات السياسية (الناصرية) وإن هذا الحزب التقدمي الاشتراكي له بعض من هذه التوجهات الناصرية.

إن هذا الوجود السياسي المشترك لعناصر المجموعتين (الكردية) و(المُطَمِّية) بالإضافة إلى تشابه العادات والتقاليد (الريفية)، والسكن في مناطق شعبية في بيروت قد أدى إلى خلق حالة الالتباس التي ذكرناها من حيث اعتبار المُطَمِّية هم جزء من المجموعة الكردية وعدها مجموعة واحدة، لأن المظهر العام للمجموعتين متشابه في عدة أمور منها: المظهر واللباس، ومكان الإقامة، وقوعية الأعمال، وتشابه العادات والتقاليد، وحدة الانتماء السياسي، ولم يكن عامل اللغة هنا حاسماً في هذه المسألة، ذلك أن اللهجة التي يتكلم بها الأكراد هي لهجة (جزرلوية) وهي لهجة عربية قريبة

من اللهجة المُحَمَّية، أما الأكراد الذين يتحدثون باللغة الكردية هناك فيطلقون عليهم اسم (الكُرمنج).

فلم تترك هذه الأمور أي مجال للتمييز بين المجموعتين الكرديّة والمُحَمَّية مما أدى إلى إطلاق صفة الأكراد على المجموعتين خطأً. وبذلك عُرف (المُحَمَّية) وغيرهم من أبناء المجموعة بأنهم كُرداء، ولم تستطع المجموعة العربية (المُحَمَّية، الرشدية، المخاضية، المارلية) في لبنان أن تشرح وتثقل حقيقة هذا الوضع إلى الجهات المعنية لحل هذا الإشكال.

وإن كان التعبير الأصح هذا لم يتم تبني طرح هذه القضية أي جهة رسمية أو شعبية أو حزبية وخاصة الأحزاب القومية العربية، كما أن الحكومة اللبنانية لا ترى في هذه القضية أي إشكال من أي نوع في ذلك البلد.

المحور الثاني

(النتائج الناجمة عن هذه المشكلة)

لقد أدى الخط ما بين المجموعة العربية (المُطَمِّنة، الرائدة،
المخاضية، المارونية) وبين الأكراد في لبنان إلى نتائج سلبية عديدة ومن هذه
النتائج:

١ - عدم اعتراف السلطة اللبنانية بالأسول العربية لهذه المجموعة
ولقد ترتب على ذلك عدة مشاكل من أبرزها عدم حصول المستحقين منهم
على الجنسية اللبنانية، وعدم توظيفهم بالتالي لدى مؤسسات وشركات الدولة
اللبنانية.

٢ - فرز هذه المجموعة وإحالتها اجتماعياً وسياسياً بالمجموعة
الكردية، ولقد خلق هذا الوضع حالة من الفوضى والصراع من جراء فقدهم
لإنتماهم وهويتهم العربية.

٣ - عدم قدرة هؤلاء على الحصول على ترخيص لإنشاء شخصية
اعتبارية، وتأسيس جمعيات ثقافية أو تعاونية خاصة بهم أو غير ذلك باعتبار
أن السلطات تنظر إليهم على أساس أنهم ذوي أسول كردية، وأنهم بذلك
فقدوا كل الامتيازات التي تمنح عادة لأبناء العرب في دولة عربية.

٤ - لقد لحق بأبناء هذه المجموعة ضرراً مزدوجاً مادياً ومعنوياً، ولقد
ذكرنا بعضاً من الأضرار المادية، ويمكن الضرب المعنوي في عدم قدرتهم
على التراجع الاعتراف بهويتهم وقوميتهم العربية، وإحالتهم بمجموعة عرقية

أخرى دون وجه حق، وهذا بعد ذلك يشكل قلقاً وقلقاً لديهم جعلهم يرضخون لهذا الأمر وهم مكرهون عليه.

٥ - إن هذه الأمور كلها قد دفعت بهجرة أعداد لا بأس بها من المُنتمية - وخاصة الشباب منهم - إلى أوروبا وغيرها من البلدان الأخرى.

وبشكل عام، فإن إلحاق هذه المجموعة العربية بغيرهم وإلحاقهم بأصول غير أصولهم يشكل بعد ذلك مشكلة كبيرة عانى منها أبناء المُنتمية والراشدية، والمختلطة، والمارونية زمنياً طويلاً وما يزالون يعانون منها.

المحور الثالث

الحلول الواجبة لهذه المشكلة

لقد مضى وقت كبير على معالجة المجموعة العربية (المُحلّمة، الرأشدية، المخاشنية) في لبنان، دون أن تثار مشكلتهم على الصعيد الرسمي أو حتى الإعلامي، ولابد من بلورة حل ونصف هذه المجموعة ويقوم على أساس إعادة النظر في قضية إصطلاحهم بالأكرد، وإن المسألة هنا تتعلق بالإنصاف والعدل وليس الحصول على مكاسب معينة، وخاصة أنها قضية تمس الانتماء، لذلك فهي حيوية وتكاد تكون مصيرية عند البعض، ذلك أنه من الظلم أن تصنف مجموعة عرقية من خلال دمجها في مجموعة أخرى لمجرد أن هناك تشابهاً في المظهر أو اللباس أو التصرفات أو السكن والعمل وغير ذلك.

كما إنه من الواجب على القاطنين على رأس هذه المجموعة العربية إيجاد حل ما وبلورته وطرحه على الجهات الرسمية في لبنان بوسائل سلمية وإعلامية وحتى قضائية.

ولبنا نستغرب كيف أن المُحلّمة وغيرهم من أبناء هذه المجموعة الواحدة معترف لهم بحروبهم في تركيا، أما الأكراد المقيمون في لبنان لاسم يُعترف لهم بهذه الهوية العربية وهم يقيمون في أراض عربية وينتحدثون بلغة عربية وبلسان عربي فصيح!؟

— ثلثاً —

للمُحَمَّلِيَّة في العراق

(١)

لمحة تاريخية عن الوجود المُحَمَّلِي

في الوقت الذي كنا ننجز فيه هذا الكتاب والذي بيّنا فيه نسب المُحَمَّلِيَّة إلى مُحَلِّم بن ذهل الشيباني، ونفينا نسبهم إلى بني هلال فإنه ما يزال ألباء المُحَمَّلِيَّة في العراق — وخاصة الموصل — يعرفون هناك باسم (الهالكية)، وطبعاً إن لهذه التسمية أسبابها أيضاً وهي لم تأت من فراغ ولم تُطلق عليهم هناك بالاستناد إلى معطيات تاريخية، ونقول أن لبين سبب هذه التسمية، فإنه لا بد أن نتطرق بإيجاز شديد للحديث عن الوضع القبلي والعشائري في العراق، والذي يمتاز عن غيره من الدول العربية بوجود علم متخصص للأصنام العربية هناك، وبوجود نسابين مختصين في تبيان نسب العرب وأصولهم.

حيث إن المرجعية القبلية والعشائرية تُسند وتثبت بأدلة كتابية، ولا يكفي أن يعلن فرد ما أنه ينتمى إلى القبيلة أو العشيرة القبلية، بل عليه أن يمتلك الدليل الكتابي التاريخي الموثق لإثبات ذلك.

وبعد ذلك نستطيع أن نعطي لمحة تاريخية عن الوجود الشيباني في العراق عامة والموصل خاصة باعتبارها المركز الأساسي لتجمع المُحَمَّلِي في العراق.

إن الوجود الشيباني في العراق يرجع إلى زمن بعيد، وهو زمن توافد القبائل العربية البكرية إلى ذلك البلد من البحرين، والشيبانيون لهم تاريخ طويل تحدثنا عنه في فصول متقدمة من هذا الكتاب.

ولقد ذكر لزهري القبيدي: «لقد استمرت حجرة القبائل العربية إلى الموصل، وهي قبائل تغلب وربيع وشيبان وخزرج»^(١).

ثم أضاف: «وبعد التحرير الإسلامي سكنت الموصل قبائل، تقف وبنو شيبان وبنو الحارث وبنو تميم وغيرهم»^(٢).

ويؤكد حسن شمسيتي ذلك في كتاب «مدينة ماردين» بقوله: «إنه كان لانتشار بني شيبان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى وثورتهم وغاراتهم المتواصلة أثرها السيء على تلك الجهات»^(٣).

فالوجود الشيباني في العراق عامة والموصل خاصة أمر مؤكد ويمكن مراجعة الفصول الأولى من هذا الكتاب، وفيه فائدة كثيرة على ذلك.

إلا أننا على الرغم من هذه المعطيات لا نستطيع أن نؤكد أن المحلومة في الموصل والمعروفين باسم (الهلاكية) خطأ، هم من بقايا الشيبانيين الذين سكنوا هذه المنطقة منذ زمن بعيد، إنما نستطيع القول بأن المحلومة هناك (الهلاكية) قد وفدوا من ديارهم الأصلية في تركيا أو وفدوا من الجزيرة السورية وسكنوا الموصل.

(١) انظر كتاب «الموصل أيام زمان» - لأزهر القبيدي - طبع دار الكتب - جامعة الموصل - ١٩٩٠ صفحة /١٢/.

(٢) انظر المرجع نفسه صفحة /٢٣/.

(٣) انظر كتاب مدينة ماردين - حسن شمسيتي - ط دار عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧

- ص ٨١.

وإننا لم نعثر على دليل في الوقت الحالي يدل على وجود (مُحْطَمِيَّة) من بني شيبان سكنت المنطقة منذ زمن قديم، وإن كنا نعرف أن هناك بقايا من قبيلة بني شيبان يسكنون في مناطق البصرة ومنها منطقة الشيبانية المعروفة باسمهم.

وربما سيعمل هذا الكتاب بعد نشره على تحقيق نوع من الصلة والتواصل والتعارف بين (المُحْطَمِيَّة) الذين عرفوا بأنهم من بني شيبان حديثاً وما بين عشائر وأفراد من الشيبانيين وربما من المُحْطَمِيَّة كانوا يقيمون في تلك المناطق منذ زمن بعيد.

(٢)

أسباب تسمية المِطْمية (بالهلالية)

ربما يخال للوهلة الأولى من أن (مِطْمية) الموصل هم الذين عرفوا أنفسهم بأنهم هلالية من بني هلال، وهم الذين أطلقوا نسبهم بهذه القبيلة العربية!!

ولكن الأمر ليس هكذا في كافة الأحوال، وقد ذكرنا من قبل وتؤكد أن نسب المِطْمية لبني هلال إما هو (خلط تاريخي) كان مصدره الجزيرة السورية ومنها صدر وانتشر إلى بقية عشائر المِطْمية سواء في لبنان، أو العراق، أو حلب، أو غير ذلك من الأمكنة.

هذا الخلط لوقع عشائر المِطْمية في هذه الأمكنة بمشاكل كبيرة، فلقد أخذ المِطْميون في الموصل مرجعتهم العشائرية ونسبهم من الجزيرة السورية، حيث إنهم قد أخبروا أن نسب المِطْمية يرجع إلى بني هلال، وهم قد اعتدوا على هذا القول وبناوا أساساً عليه، وأعلنوا في الموصل أن مرجعتهم هي لبني هلال، وأنهم (هلالية)، وهكذا أطلقوا على أنفسهم (الهلالية)، وهكذا نجد أن الخطأ الذي وقع فيه لبناء المِطْمية في الجزيرة السورية قد صنفوه وروجوه إلى كافة المناطق التي توجد فيها عشيرة المِطْمية ومنها الموصل.

ولقد وجد (المِطْميون) في الموصل أنفسهم في ورطة هناك حينما استندوا أنفسهم لبني هلال مستنداً إلى مصادر (جزيرية مِطْمية)، دون أن يدعموا هذه المرجحة بدليل تاريخي في بلد لا يقبل انتماء فرد لعشيرة ما

دون منذ تاريخي كتابي فكيف به يقل الصلح عشرة بأكملها بيتي هلال
دون أدلة تاريخية!!

وبكل صراحة نقول: إن مُحطمة المومل لم يستطيعوا أن يدعوا أحداً
هناك بأن نسبهم هلالى، والقليل جداً من القنع بهذا الكلام.

وربما سيساعد هذا الكتاب بعد نشره في حل هذه المشكلة وتوضيح
الحقائق هناك وفي كل مكان يوجد فيه (المُحطمة)، إذ إنه قد بين النسب
الصحيح والحقيقي (للمُحطمة) مدعماً بالحجج والأدلة والبراهين كما وجدنا
ذلك في فصول مقدمة.

المطلوب إعادة التسمية

لم يكن هناك إذن مرجعية تاريخية موثقة يستند إليها (المُحمّية) العراق تثبت إلصاق نسبهم ببني هلال، ولم يفتتح إلا القليل جداً بهذه المقولة نظراً لعدم وجود الدليل التاريخي، وظل وضع المُحمّية هناك معقلاً.

وعليه فإن المطلوب الآن هو إعلان النسب الصحيح للمُحمّية إلى مُحمّ ابن ذهل الشيباني، وإلغاء تسمية الهلالية عنهم، وما ترتب عليها من آثار، وإعادة تسميتهم هناك باسم (المُحمّية)، وهو اسمهم ونسبهم المدعّم بالحجة والدليل التاريخي وفق ما نلنا عليه في كتابنا هذا.

كما إن هذا الأمر من شأنه أن يُعرف (بالمُحمّية) ويظهرها بنوحيها الشيباني، وهي صفة لها تاريخها العريق في تلك المنطقة، وربما، بل ومن المؤكد أن يكون هناك أخذاً من بنو شيبان في أماكن عدة، وإن أدلة كثيرة تؤكد وجود الشيبانيين أو بعضاً من عشائرهم وأغلاظهم ما يزالون يقيمون في العراق إلى يومنا هذا.

وختاماً نقول:

لسنا مقتنعين بأننا قد أعطينا عشائر المُحمّية في العراق ولبنان وحلب حقها في هذا المؤلف، وربما تحتاج دراسة كل عشيرة من هذه العشائر إلى كتب خاص بها، ويعود سبب تقصيرنا إلى أن المدة التي تم فيها إعداد هذا المؤلف كانت قصيرة جداً، ولأن شرح أوضاع العشيرة في هذه الأماكن

بحاجة إلى دراسة تاريخية وإحصائية عن المكان حيث توجد فيه تلك العشائر.

وربما نكون قد استطعنا أن نعطي فكرة سريعة واضحة عن أوضاع هذه العشائر، ووضعنا لبنة الأساس لمن يريد أن يتوسع ويتابع البحث في هذا الموضوع من أبناء المُطَمِّية في تلك المناطق، خاصة أننا قد تحدثنا بشكل مفصل في مؤلفنا هذا عن الهم العام والكبير للمُطَمِّية والذي يتعلق بمرجعية هذه العشيرة وانتمائها.

الفصل الثالث عشر

اللهجة المَحْطَمِيَّة

خواصها.. اشتقاقاتها اللغوية

— أولاً —

الخواص

كما هو معروف فإن العرب سكنوا الجزيرة الفراتية وخصوصاً مناطق «طور عابدين» وماردين والموصل قبل الإسلام وبعده، حيث صارت هذه المنطقة تعرف بـ(عربها) أي بلاد العرب، ومن القبائل العدنانية التي سكنتها في ذلك الحين: بكر وتغلب ولياد وتمر وقضاة وغيرها، كما أن العرب القادمين كانوا ينتمون إلى عدة قبائل تختلف لهجاتها باختلاف موطنها الأصلية فنقلت هذه القبائل لهجاتها وتقاليدها معها، ثم حافظت عليها.

فمن هنا نلاحظ التوافق الواضح باللهجة المشتركة في المناطق التي سكنتها قبائل بكر، ومنهم الشيبانيون ومنهم (المطّمية) وقبائل تغلب واللتان سكنتا من الموصل إلى بعثيق إلى أزرخ وطور عابدين وحتى ماردين مع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ، فالموصل وماردين مدينتان كبيرتان سكنتهما قبائل من أعراق مختلفة ولثنيات وطوائف متنوعة، فساكنتا اللهجات فيما بينها ودخلت الكثير من الألفاظ والمسميات الغريبة؛ لهذا السبب فإن لهجتهما تختلف نوعاً ما عن لهجة سكان طور عابدين الشيبانية وسكان أزرخ وبعثيقية التغلبيين مع وجود شيبانيين بينهم، فحافظ سكان هذه المنطقة على فصاحة هذه اللهجة، وهذا ما جعلها أكثر فصاحة، وإن كان قد دخلها بعض الألفاظ الغريبة فيما بعد.

ولقد كتب عادل البكري في كتابه «الفصح في اللهجة الموصلية»: «ورغم ذلك فإن اللهجة الموصلية تعتبر أقرب اللهجات العلمية إلى اللغة الفصحى لما بينهما من التوافق في كثير من الأمور مما لا نجد له نظيراً في اللهجات الأخرى، ويعود الفضل في ذلك إلى وجود القبط العربية التي نقلت معها لهجاتها وتقاليدها، ثم حافظت عليها»^(١). وهذا ينطبق تماماً على اللهجة المصممية التي حافظت بصورة أكبر على فصاحتها لقلّة اختلاطها باللهجات الأخرى. فنذكر هنا بعض الكلمات والألفاظ المصممية الفصيحة الثقيلة والتي تبدو غريبة على مسامع الآخرين، وقد يحتلّون أحياناً إلى قاموس لغوي لئلا يفهموها ولكنها سهلة بالنسبة لأصحابها المصمّيون، وخاصة في مناطقهم في طور عابدين في تركيا، وهذا لا يعني عدم تشابه هذه اللهجة باللهجات العربية الأخرى فهناك تشابه كبير وكبير جداً في باقي الألفاظ وفي الجدول التالية أمثلة عما تميزت به اللهجة المصممية عن غيرها.

(١) انظر كتاب «الفصح في اللهجة الموصلية» - لعادل البكري - طبعة موصل ١٩٨٦ - ص ١١٥.

جدول رقم (١)

بعض اللفظات التي تستعمل بشكل مميز في اللهجة المحطمية

وَرَكْ - زِدْ - كِتْ - تْ - وَي

— وَرَكْ: تستعمل في حالتي الأمر والسؤال، ومعناها اللغوي وَرَكْ بَرَكْ وروكاً على الأمر. وَرَكْ شيء لوجه، وتستعمل للزيادة في التأكيد والإسراع بالتنفيذ.

مثلاً: رُحْ العَبْ وَرَكْ

ورك مع مَنْ كُنْتَ تَلْعَبْ

— زِدْ: وتستعمل بدلاً من كلمة (أيضاً) أو بالإضافة إلى.

مثلاً: رُحْ مَعَهُ أَنْتْ زِدْ

ويلفظها أهل بيشيق والموصل (زَا) وأهل ماردين وأزخ (زِي) والبدو (زَاد).

— كِتْ: وتستعمل لتحقيق الفعل بدلاً من (قَدْ) أو (لَقَدْ) وتستعمل مع الفعل الماضي تحديداً.

مثلاً: كِتْ رَاحَ لِلْبَيْتِ — كِتْ نَلَمْ

ويلفظها أهل الموصل وبشيق (كَنْ) وأهل ماردين (كَلْ).

— تْ: تستعمل ككداة استفهام بدلاً من (هَلْ).

مثلاً: تْ تَأْخُذُ بِبَيْتِكَ مَعَكَ؟

وعندما تلفظ تْ فيتبدل المعنى وتستعمل ككداة استقبال (سِين) و(سَوْفَ).

مثلاً: تب يسهر بالطيارة.

وهاتان اللفظتان يستخدمهما أهل ملودين وأزخ أيضاً.

— وي: وتستخدم في حالة السؤال وبدلاً من كلمة (هو).

مثلاً: من وي؟ ويلفظها أهل دمشق: (مين هو؟) ويلفظها أهل ملودين وأزخ كما يلفظها المحلّيون.

وهناك بعض الخواص الأخرى لهذه اللهجة كـ:

— قلب (الميم) إلى نون، وتحدث في حالة السؤال عن حالة الجمع في الماضي.

مثلاً: أين لعبتن (أين لعبتم).

مع من أكلتن (مع من أكلتم).

وهذه اللفظة يستخدمها أيضاً أهل ملودين وأزخ.

وهناك بعض الحالات الشاذة لـ قلب الميم إلى نون كما في كلمة (للعمام) فتصير (اللمان) وهو اسم يطلق على النمل.

— قلب الألف إلى باء في جمع المذكر.

مثل: ثياب — كلاب — جمال، فتصير: ثياب — كلاب — جمال.

وهناك كلمات وألفاظ شاذة لا يمكن ربطها بقاعدة ثابتة.

جدول رقم (٧)

بعض الأسماء المستعملة^(١) في اللهجة المحطمية

المحطمة المحطمية	معناها
لقجوف	البطن
فواد (فواد)	قلب
الساق	الرُّجل
الضيعة	القرية
ليار	أعداء
ناطور	حارس
رحا	طاحونة
ظلمه	منحة — هدية
منوره	أهلة
خبيز	خبز مخبوز
زاغ	صوم
قفه	سلة
علام	خادم
عئمة	ظلمة
الخنن	الصهر

(١) تم استخلاصها من القاموس ولسان العرب لابن منظور.

اللغة للمُحَنِّمة	معناها
الشفقة	خصلة الشعر
لص	الصوت
هرم	عجوز
محذور	مجنون ذو عاهة
مقننه	مكتسة
كرة	مرّة
زلهور	دهور
كما	مثل
المكتب	المدرسة
موضع	مكان
الجب	البئر
كروة	لجرة
ذليل — ذلول	حزين ومتواضع
الحسو	لبو زوج المرأة وبالعكس
الزريق	ما أبيض بالطق من الثوب
لزيق	سفیه
شربه	إباء
معلول	عليل — مريض
جبهة	جبين
يقرن	حقاً

مقامها	اللفظة المحظية
صحيح	حقاً
جمل	بعير
حصرة	حرف
سوء	عَمِلَهِ
مرة	نوبه
حصه	منهم
عنوى	سعر
الولد وولد الولد	للعقب
نعل	نعل
مرض جلدي	أكرله
أسود خالص	جَوْن
منزلة والدر	جاء
الخفية	لجونه
لقوباء (مرض جلدي)	لقوبا
أحول	أعوز
نفساء (المرأة)	نفسا
ضخم	خشن
ورم (يملأ مكان الجرح ويظهر ويصل إلى الجرح)	ربيه
ذيل	عصعوص
خراج (في الجرح)	دُمْلَه

مفاهيمها	اللفظة المُحلّية
ثلجة	هَبْرَه
رذيلة	سَخْلَه
الحزن والكلبة	الغم
عرس	دَعْوَه
الطنانجر	القداري
الضمومة	قَضَمَر
المهر (للعرس)	النفذ
الودي	لَدِيَه
نقانة (تستعمل للتوبيخ)	خَمَة
جرعة أو شربة واحدة	حَسْرَة
الآن	السع
أجرب	جَرِب
قداء	قَرَبَان
دولاب	عَجَلَة

جدول رقم (٣)

بعض الأفعال المستعملة في اللهجة المصطمية

يذهب	يحرق
ينعلمر	ينام أو يموت
ينخرج	ينقل جسمه ويخز من الخوف
يدغم	يسوء له
يرشق	يرمي
يقشع	لري
يكدي	يجذي - يشحذ
يحول	يزف (العروس)
يبسط	يمد (الفراش)
يقلم	يقطع
يقمع	يقطع - يقطع
يزك (عينه)	يخرق (عينه)
ينقصف (عمره)	يموت
ينبص	يظهر
يجمر	ييكمي
يتبهت	ينذهل
يكمد (اللون)	يجمر، ويتخير
يقايض	يبادل

يَنْقُطُ	يَمْرُطُ
يُسَلِّفُ	يَقْرَضُ
يَحْرِسُ	يَنْطَرُ
يَنْتَمِ وَيَهْدُ	يَرْدُ
يَهْدُ	يَرْكُدُ
يَتَحَرَّكُ	يَنْغَشُ (الغشيء)
يَقْدُ فِي الْمَكَانِ وَلَا يَفَارِقُهُ	يَحْرَنُ (الحمراء)
يَنْخُلُ غَشِيءَهُ بِقُوَّةٍ	يَحْشَكُ
يَنْسَبُ	يُلَوِّقُ (القصيص)
يَنْشَلُ	يَنْقُ (الضوء)
يَسِبُ	يَشْتَمُ
يَخْلِفُ	يَلْزَعُ
يَرْبُطُ بِشِدَّةٍ	يَحْزِقُ
يَشْجُ رَأْسَهُ	يَفْذَعُ
يَهْبُ	يَسْكُبُ
يَسْتَمِعُ	يَسْلِي
يَصْبِيحُ	يَزْعِقُ
يَفْضَحُ	يَهْتِكُ
يَسْكُتُ	يَسْمَطُ
يَقْدِرُ	يَطْبِقُ (يَتَوَقَّعُ)
يَتَوَدَّدُ	يَمْلُقُ

يَكْتَبُ

يَهْبِطُ (اللبه)

يَلْمُ

يَحْمُ

يَحْتَقِ

يَحْسِي

يَكْزُ

يَنْزِقُ (العلير)

يَجْثُلُ

يَنْحَلُ ويَضَعُ

يَخَافُ

يَلْكُ كميةً أَكَلْ

تَرْتَفِعُ حرارته

يَنْظُرُ بِعَيْنَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ

يَحْصُو (الطعام)

يَحْضُرُ

يَلْقَى بسلحه

يَفْزَعُ ويَخَافُ

جنول رقم (٤)

بعض الجمل التي تستعمل في مناسبات مختلفة

— قولك الله	نقل للقاء من السفر
— يبقى جارك ^(١) طيب	نقل في التعزية
— عيد مبارك عليك	نقل في الأعياد
— مبارك ما خلفت	نقل لقوم مولود جديد
— دهنمة قط وخط ^(٢)	نقل بعد الانتهاء من تناول الأكل والشرب
— الله يصبرك على بلاك :	نقل في حالة المرض أو وقوع مصيبة
— الله يطعمك كماء ^(٣)	نقل للرد على التهلة بمولود أو بمدح شيء
— لا تبذل ^(٤) لأفلاك	نقل لمن يحاول أن يتصمت أو يريد أن يسمع
— خرج ^(٥) عليك	نقل في حالة التحريم والمنع
— شري ^(٦) عليك	نقل للتحذير والقتيبة
— حظ رماده ^(٧) براسك	نقل للتوبيخ

(١) الجان — هو أول قشيب.

(٢) قط — ليدأ.

(٣) كماء — مقله.

(٤) يبذل — يحرك أو يهيج.

(٥) خرج عليه — منعه.

(٦) شري عليه — لعنرم.

(٧) رماده — بقايا القشيب المحروق.

— لم خاطرک نَقَالَ لِلْوَدَاعِ
 — قَتَلَ^(٨) مِنْ بَرْدِهِ. نَقَالَ لِمَنْ يَشْعُرُ بِالْبُرْدِ الشَّدِيدِ
 — كَيْفَ لَدَتْ — أَيْنَ كُنْتَ — تَمْتَصِلُ كَ — أَسْئَلُ
 مِنْ أَنْتَ

(٨) قَتَلَ مِنْ بَرْدِهِ — يَبْسُ مِنْ بَرْدِهِ.

جدول رقم (٥)

بعض الأمثلة التي تضرب لدى المعلمية
وأهل الموصل وماردين وأزخ وعضيمة

— أنا لكذي والفارة نوذي (يكذي: يتسول)

— قلبي على ولدي وقلبي ولدي على الحجر

— لا قلب يحزن ولا عين ترى

— الكذي ما حدا

— أخرج كما عصعوص الكلب (عصعوص: نضب)

— لله عاهة مو ينساها

— مرت الأب لا نصب ولا تتحب

— جاب المعطف قبل الفرس

— من حبك لجاك

— لذلك يا حبي نطيت وجهيت بعني

— خبيز الشعير على الفخير كثير

— سبع سنابح والبخت ضلوع

— عطيتك وج بنك بطانة

— يوديك للبحر ويربك صلمان

— يومن مسروق مو بلوق لله الطوق

— نوم العرايس للضحى لا عوب ولا مستحي

— للعقل زينة وحملته حزينة

— للبيت بيت أبونا والناس يطردونا

— الجوز المعداد — جراب مشدود (كيس من الجلد)

— لا تكثر روحك — بيت أبوك — يكرهوك

جدول رقم (٦)

بعض الأغاني الترقية التي بردها فنّان
في طور علهدين والموصل ومالدين

(١) يار دلي

كم يار دلي يار دلي ^(١)	سمرة قلندي
خاللي من رب السما	وحدي لا تخليني
فتو علي بابها	كتفش السورده
رأس ابرشا من ذهب	وايرسمو ^(٢) هندي
لأدهي من رب السما	لبسة عبدا عدي
ولا فرش فراش الهنا	ومختله زندي
رحني زرتكي القبي	مقبولة زيارتكي
ايست تيمني المسا	تتلم جيارتكي
لاعمل سلكم ذهب	واطلع لـ لوستكي ^(٣)
وايوسو لغد اليومين	واحضن لـ فاستكي ^(٤)

(١) (يار دلي: كلمة تركية).

(٢) الأبرسم: حرير — فارسية.

(٣) لوشه: غرفة — تركية.

(٤) (لقامة: القلوع).

أهلاً وسهلاً دلال
 لا لطيف^(١) قل له تعال
 وإن قلت له تعال
 وإن قلت له روح
 أبوك فمرطو
 بصومي خمس دنكي
 وفتر على دنكي

جاني عزيز الروح
 ولا لطيف قل له روح
 لني كـ على السطوح
 روحي معبه تروح
 ملجا على دنكي
 ولهموم ثلاث دنكي
 ولنا على دنكي

(١) (لطيف تلفظ توف).

(٢) سعاد

تحبون الله ولا تقولون
 والبارجة العصرية
 فعل^(٢) ليهو القترين^(٣)
 لخذ محبوب القلب
 وعلى ضووك يا قمر
 ومن الصبح المسما
 حبي لمصب جانده
 وجدي مو من علاقه
 أمي اعطيني تفنكي^(٤)
 لاطلع لصود الفيات
 ولنا ربيع لسه حبيب
 توهنيك مشط ومرا^(٥)
 سعاد وكنت^(١) مبات
 عمل الجده كنت فبات
 لـ ابو عجالاته
 وغلاني بصرفه
 تقاسح طيو حنا
 خدود حمر بننا
 عمل القهر مثالي
 بروح ولامسالي
 ولامر اعطيني رختي^(٥)
 وابقى لنا وبختي
 عمل الفيس توهنيكي
 ومكحلة لـ صلي

(١) كنت: قد.

(٢) فعل: لن.

(٣) القترين: القطر.

(٤) تفنكه: بارودة الصيد.

(٥) الرخت: توضع فيه الحلقات.

(٦) مرا: مرآة.

جدول رقم (٧) أهم الأكلات المعروفة في منطقة المُحَنَمِيَّة (طور عابدين)

- الكُتْل: وهي أكلة معروفة على شكل كتل من السميد المحشي باللحم والبصل وتُصَلَق بالماء المغلي.
- المفلوطة: شوربة مضافاً من الحنّس والرز واللحم.
- المشوشة: طبخة مكونة من الباذنجان واللحم وعصير البندورة.
- المشوشة: شوربة من الحنّس المطحون والبصل.
- القلية: لحم عجل مقلي ومملح يُخزّن كـ مونة في البيت.
- الهلّوج: أكلة تصنع من السميد الممزوج بعصير البندورة.
- المثومة: أكلة مكونة من الكوسا (أو لبّ الكوسا) والثوم.

جدول رقم (٨)

— بعض الحكايا المعروفة —

- شمة وزهر البان.
- عرجا وبرجا (البرجاء: الجملة).
- حُبَيْبة الرَمَّانة.
- بيت الشرائيط (الشرائط مفردا شُرطة:
- أي القطعة المقطوعة من القماش) القلموس.

- ثانياً -

التشابه بين اللهجة المحلمية.. والموصلية

نود أن نشير هنا إلى التقارب بين اللهجتين الموصلية والمحلمية، والذي يصل في بعض الأحيان إلى حد التطابق بين اللهجتين، سواء ذلك بمفرداتها أو بقواعدها، وإن هذا يعود لكون الموصل مجاورة لمنطقة (عربايا) كما ذكرنا سابقاً.

وإنما سنورد بعض الأمثلة على هذا التوافق ونلاحظ أن بعض الكلمات التي نوردناها متطابقة تماماً في اللهجتين.

اللهجة الموصلية	اللهجة المحلمية	المعنى بالفصحى
انبهت	انبهت	اندهش
انجصص	انجصص	اضرب
بزبز	بزبز	بحر ماله
بهدل	بهدل	أهله
تطوطح	تطوطح	تلوح
تتلوج	تتلوج	تكلل
حيف	حيف	جور وظلم
خاس	خاس	فسد
خلعة	خلعة	هدية
داس	داس	وطئه برجليه

اللهجة الموصلية	اللهجة المحطمية	المعنى بالفسحي
ريق	ريق	لعاب الفم
جعر	جعر	صرخ
حاص	حاص	حام
حزارة	حزرة	غوط
سجر	سجر	أشعل القنور
سقاطة	سقاطة	قل قلب
شطاف	شطاف	صل
كواره	كواره	وعاء طيني
مليح	مليح	جيد
شلح	شلح	نزع ملابسه
أبهات	أبهات	أباء

كما أن هناك الكثير من الأمثال المشتركة ما بين المحطمية والموصلية ومنها:

- إذا طلعت لحرية ابنك نطق لحبك
- أعرج مثل عصعوص الكلب
- سبع صنابير والبهت صنابير
- كل من ننبو على جنبو
- ما بقى علينا إلا وسخ وجلينا
- لا عين تقشع ولا فن تسمع
- كد والعشا خبزه

وهناك قواعد لغوية مشتركة بين اللهجتين ومن هذه القواعد:

قلب الذاء المربوطة إلى ياء: ككة.. كتي، غطمة.. غطمي.

قلب الألف إلى ياء: كائب.. كليب، جمال.. جميل. وهكذا.

قلب الميم إلى م: حسرة: حصرة، قوس: فرس، جرس: جرس

وأحياناً نقلب الصاد إلى م: يصفق.. يصفق.

وإن هذا التشابه الكبير بين اللهجتين والأمثال وبعض العادات والتقاليد،

يدلّ بشكل كبير على الوحدة الاجتماعية التي كانت تربط المنطقة الممتدة من

الموصل إلى ماردين مروراً بآرخ وطور عابدين وما حولهما من مناطق

أخرى.

(خاتمة)

نكون بذلك قد أجزنا هذا الكتاب المتعلق بعشيرة المُحْطَمِيَّة وجنودها العربية الأصيلة، ولقد حاولنا قدر الإمكان إعطاء لمحة كافية عن أوضاع هذه العشيرة بشكل عام، إلا أننا لا نقول بأن هذا الكتاب كان شاملاً وموثقاً، وذلك لأسباب عدة أولها: إن الهدف من هذا الكتاب كان إبراز الهوية العربية والقبلية للمُحْطَمِيَّة، والرد على ما يظن في هذا الانتماء. وثانيًا: لعدم توفر معلومات وأرقام إحصائية عن أعداد المُحْطَمِيَّة في مناطق وجودهم. وثالثًا: لقصر المدة التي تم فيها الإعداد لهذا الكتاب وتوثيقه وهي مدة لا تتجاوز التسعة أشهر تقريباً.

ومهما يكن من أمر فبقه من المؤكد أن يظهر هذا الكتاب الجدل لمدة طويلة ذلك أن المعطيات والمفائق التي ذكرت فيه جديدة ومن شأنها قلب المفاهيم عن عشيرة المُحْطَمِيَّة رأساً على عقب.

كما إن التطرق لبعض الأمور الهامة كموضوع (الهوية العشائرية)، و(الأرخية) وغير ذلك، قد يكون خارجاً عن نطاق هدف هذا الكتاب، لكن في الحقيقة إن هذين الموضوعين يتعلقان بشكل أو بآخر بالموضوع الأساسي من حيث ما يبنّاه في فصول هذا الكتاب.

والمهم في الأمر أننا قد حاولنا — بما توفر وأتيح لنا من أدلة ومصادر تاريخية — التركيز على الجانب التاريخي المنطوق بالانتماء العربي والقبلي للمُحْطَمِيَّة.

وإننا نرجو من الله العليّ العظيم أن يكون هذا المؤلف قد قدم فائدة للمرجوة منه.

مصادر عربية

(١)

ابن الأثير: أبو الحسن بن محمد الجزري

— كتاب الكامل في التاريخ — ج ١٢ — بيروت — دار صادر (١٩٦٥) —
١٩٦٧

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي

— كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشقبه — ج ١ — تحقيق محمد علي
البيضاوي الدار المصرية للتأليف والنشر (دون تاريخ)

ابن حزم — أحمد بن سعيد الأندلسي

— كتاب جمهرة لمصاب العرب — دار الكتب العلمية — بيروت — طبعة
١٩٩٨

ابن حنبل — أحمد بن حنبل

— كتاب العلل — تحقيق رفيع جراح لوغلي — فقرة ١٩٦٢

ابن حوقل — أبو القاسم محمد بن البغدادي الموصلني النصيبيني

— كتاب صورة الأرض — ج ١ — بيروت مكتبة دار الحياة — ١٩٦٣

ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد

تاريخه — ج ٢ / ٣ — (د . ت)

ابن خياط — خليفة بن خياط العصفري

— كتاب تاريخ خليفة بن خياط — ج ٢ تحقيق سهيل زكار — دمشق —
وزارة الثقافة والسواحة — ١٩٦٨

ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي البغدادي

— كتاب الأموال — تحقيق محمد خليل هراس — القاهرة ١٩٧٥

مصادر عربية

(٢)

ابن شداد: عز الدين أبي محمد بن علي

— كتاب الأعلام الخطيرة — ج ٣ ق ٢ — تحقيق محي عمارة — دمشق —
وزارة الثقافة والإرشاد القومي — ١٩٧٨

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد

— كتاب العقد الفريد — ٧ ج — الجزء الخامس — طبعة ٢ — القاهرة —
١٩٦٥

ابن عربشاه: أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد ربه

— عجائب المقثور في نوائب ثيمور — ج ١ — تحقيق علي محمد عسر —
مصر — مطابع دار نافع للطباعة ١٩٧٩

ابن فقيه الهمذاني: أبو بكر أحمد بن محمد

— كتاب مختصر كتاب البلدان — ج ١ — لندن — مطبعة بريل — ١٣٠٢ هـ —

ابن فتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن فتيبة

— كتاب عيون الأخبار ث ٤ أجزاء — القاهرة ١٩٦٣

ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب

— كتاب جمهرة الأنساب — ج ٢ — ط دمشق ١٩٢٢

الألوسي: محمود شكري

— كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب — ج ٢ — اختيار محمود

خلاد — القاهرة مطبعة الصادي الحديثة — نشر دار القلم — (د . ت)

مصادر عربية

(٣)

الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن أسمع الهاهلي

— كتاب نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب — مخطوطة في مكتبة

المتحف العراقي — تحت رقم ٦١٣ — صورة (بالألفست)

البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز

— كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع — ٤ ج — تحقيق

مصطفى السقا — القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٤٥)

— (١٩٥١)

البلاذري: أحمد بن يحيى بن صابر

— كتاب فتوح البلدان — ١ مجلد — مراجعة ونطيق محمد رضوان — مصر

— مطبعة السعادة — ١٩٥٩

الحازمي: أبو بكر محمد بن أبي عثمان الهمداني

— كتاب عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب — القاهرة — ١٩٦٥

السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور

— كتاب الأنساب — ١ مجلد — نشر المستشرق دس — مرجليوت — بغداد

— مكتبة المثنى — (د . ت)

الطبري: محمد بن جرير

— كتاب تاريخ الرسل والملوك — ١٠ ج — تحقيق مصنف أبو الفضل

إبراهيم — مصر دار المعارف — ١٩٦٠ — ١٩٦٨

مصادر عربية

(٤)

الصقلاني: ابن حجر شهاب الله بن أبو الفضل

— كتاب الإصابة في تمييز الصحابة — ٨ أجزاء — ط ١ — ١٣٣٨ هجرية

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين

— القتيبة والاشرف — ١ ج — تصحيح عبد الله الصلوي — القاهرة — دار

الصلوي — للطباعة والنشر والتأليف — (د. ت.)

— مروج الذهب ومعادن الجوهر — ٤ ج — تحقيق محمد مصطفى الدين عبد

الحمد — بيروت — دار الأكراس — للطباعة والنشر ١٩٦٦

المقريزي: تقي الدين أحمد

— كتاب الملوك لمعرفة دول الملوك — ٤ مجلد — تحقيق محمد مصطفى

زيادة. القاهرة — مطبعة لجنة التأليف — القاهرة — دار الكتب المصرية

١٩٧٠ — ١٩٧٣

الهمداني: رشيد الدين فضل الله

— كتاب صفة جزيرة العرب — ٢ ج في ١ — لندن — مطبعة بريل —

(١٨٨٤ — ١٨٨٩)

اليقوي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

— كتاب تاريخ اليقوي — ٢ ج — بيروت — دار بيروت للطباعة والنشر

— ١٩٧٠

مراجع عربية

(١)

لرملة — الفن إسحاق

— كتاب القصارى في نكبات القصارى — ج ١ — طبعة أولى ١٩١٩ —
طبعة بالأوفست ١٩٧١

برصوم — اغناطيوس أنرام الأول

— كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب الميريانية — ج ١ — طبعة
حطب ١٩٥٦

— كتاب تاريخ طور عابدين — طبعة بالأوفست — ١٩٦٣ — نشر الكنيسة
الميريانية — بغداد — سورة بالأوفست
الديوه جي — سعيد

— كتاب تاريخ الموصل — طبعة بغداد ١٩٦٩

السامر: فيصل

— كتاب الدولة الحمدانية في الموصل وحلب — ج ٢ — مطبعة الأكرسي —
١٩٧٠ — ١٩٧٣ (بغداد)

شير: لذي

— كتاب تاريخ كلدو وأنشور — ج ٢ — المطبعة الكاثوليكية — نأباء
لليوسويين ١٩١٢ — ١٩١٣

شموساني: حسن

— كتاب مدينة ماردين — ج ١ — دار عالم الكتب بيروت — ١٩٨٧

الصانع: الفن سليمان

— تاريخ الموصل ج ٣ — الجزء الثاني — بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٨

مراجع عربية

(٢)

العبيدي: أزهر

كتاب - الموصل أيام زمان - طبع دار الكتب الموصل - ١٩٩٠.

العبيدي: محمود عبد الله

كتاب - بنو شيخان ونورهم في التاريخ العربي والاسلامي

ط - دار الحرية بغداد ١٩٨٤

عزوي: عباس

كتاب - عشائر العراق القديم - مكتبة الصفا والمروة - لندن (دست)

القاس: يوسف جبرائيل

كتاب أزخ - بدون تاريخ

كلوت: جون

- كتاب تاريخ الفتوحات العربية الكبرى - ج ١ بغداد - مكتبة دار المنى -

١٩٦٣

زكريا: أحمد وصفي زكريا

- عشائر الشام - دار الفكر بدمشق - ط ٢ - ١٩٩٧

الدواوين

ديوان الأخطى — نشر وتوزيع المكتبة الشرقية — بيروت — (د.ت.)
ديوان امرؤ القيس — شرح ديوان امرؤ القيس — ط ٣ — مطبعة الاستقامة —
مصر (د.ت.)



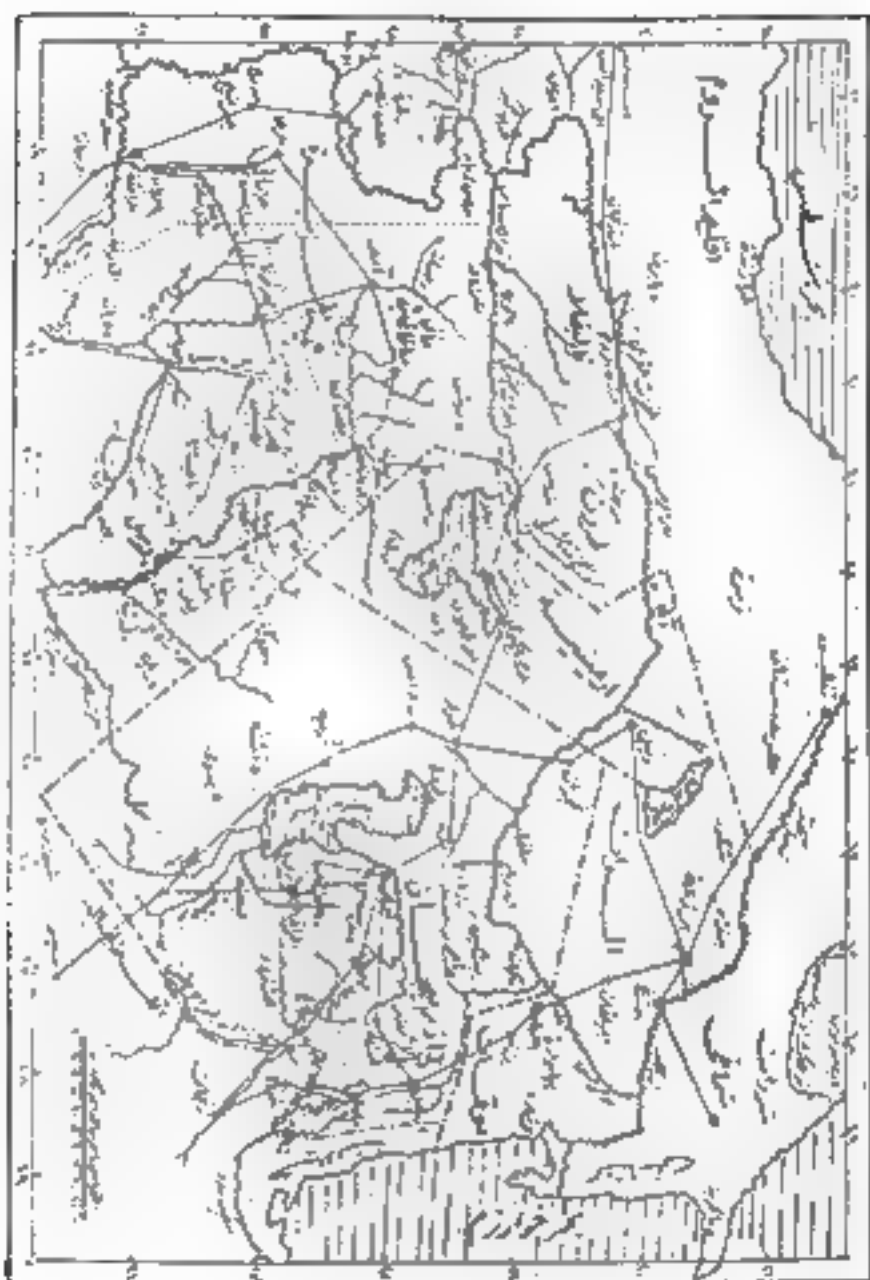
صورة للقطاطية وهي تطل على الميناء في الإسكندرية
من الصورة يمكن مشاهدة أبراج من قلعة الإسكندرية



صورة لأحد المباني في مدينة الإسكندرية وهي معبد إيزيس
وهو من المعابد القديمة التي كانت موجودة في الإسكندرية حتى يومنا هذا

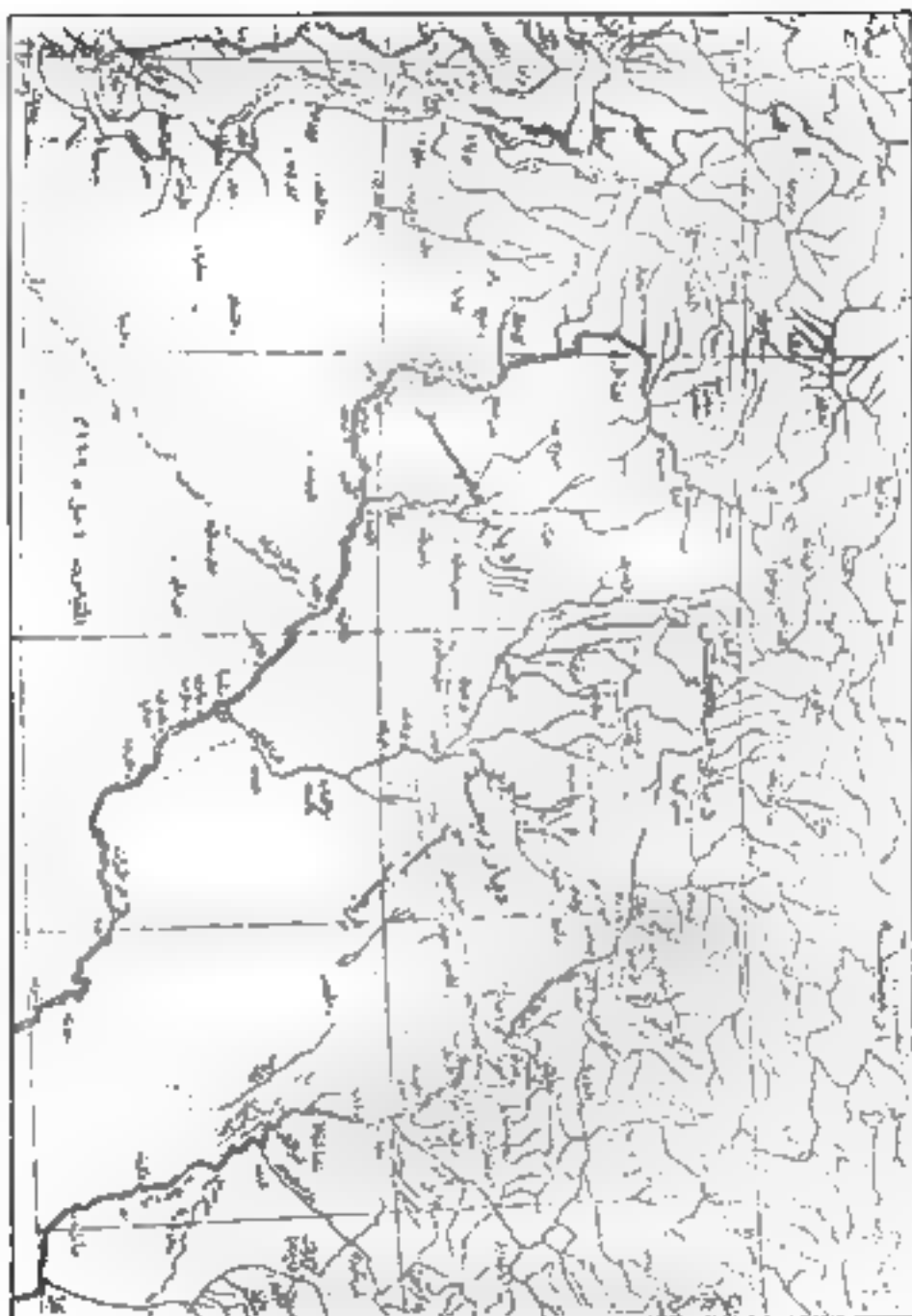


صورة لقلمة المحلية في منطقة طور عابدين

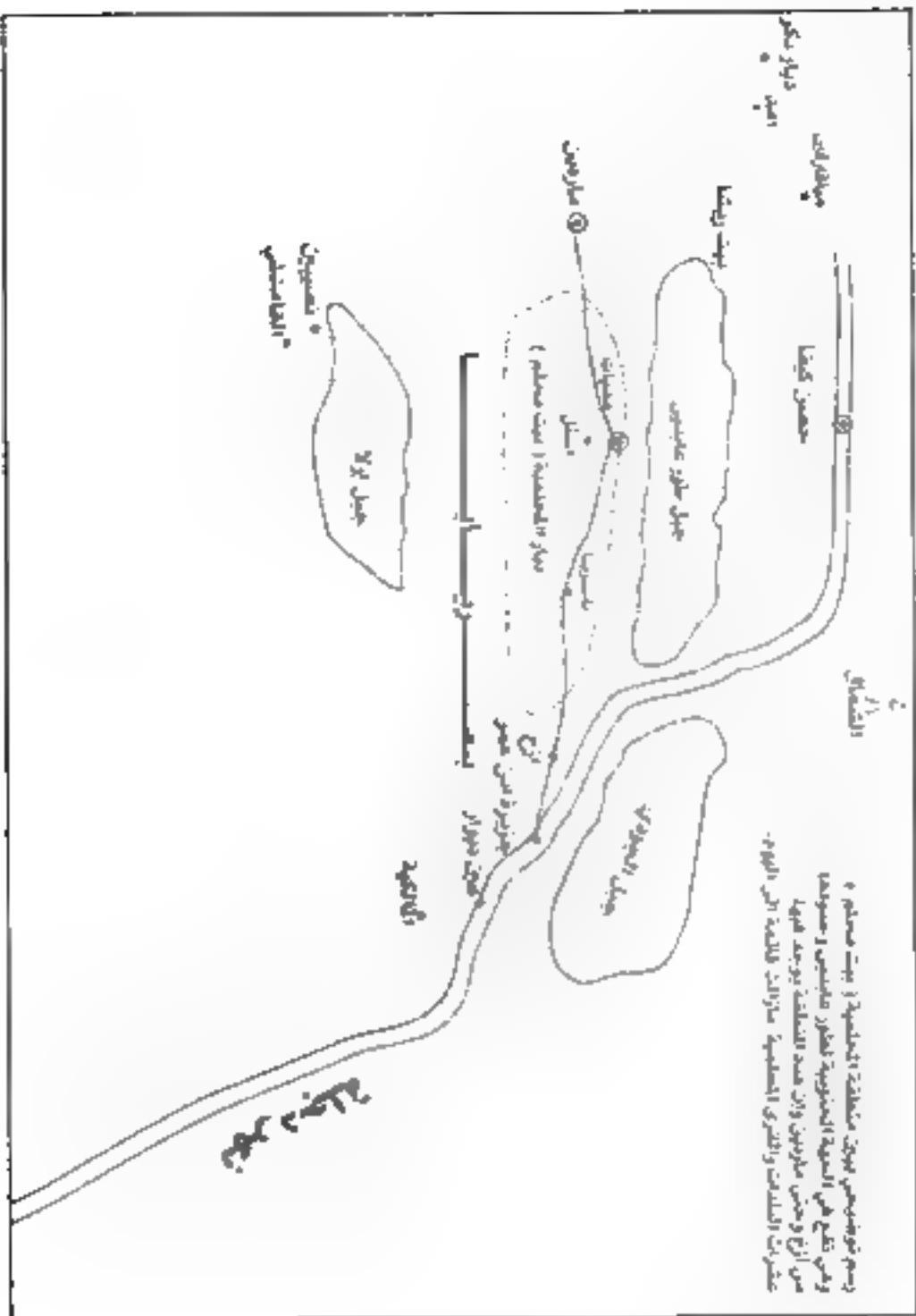


نقشه ایران و مناطق همجوار آن
 مقیاس: ۱:۱۰۰۰۰۰
 منبع: سازمان اطلاعات و امنیت کشور

خارطة الجزائر والشمال والجنوب والشرق والغرب



ملاحظة: الحدود مع ليبيا - الحدود مع تونس - الحدود مع المغرب - الحدود مع إيطاليا - الحدود مع فرنسا - الحدود مع الجزائر



وهؤلاء بنو مُحْكَم بن ذُفْل بن شَيْبَانَ

ولد مُحْكَم بن ذُفْل : عَوْف بن مُحْكَم ، الذي يُقال له : « لَا حَرْبَ إِذِي حَرْفٍ » ، وعمرو بن مُحْكَم : ربيعة ، وأبو ربيعة ، ابننا مُحْكَم وثعلبة بن مُحْكَم ، وَهَفْط. سُكَيْن الخارجي

فمن بني عمرو بن مُحْكَم : ثَوْر بن الحارث بن عمرو بن مُحْكَم بن ذُفْل ، وهو أخو أَكْل المُرَار لأمه ، ومن ولد ثَوْر المذكور : البَطِين الخارجي ، الذي كان مع شبيب . ومن بني ربيعة بن مُحْكَم : الضَّحَّاك بن قَبَس بن الحُصَيْن بن عبد الله ابن ثَعْلَبَة بن زَيْد ثَنَاة بن أبي عمرو بن عَوْف بن ربيعة بن مُحْكَم بن ذُفْل الخارجي الذي بايعه مائة وعشرون ألف مقاتل على مَذَنَب الصُّفْرِيَّة ، وملك الكوفة وغيرها ، وبايعه بالخلافة وسَلَّمَ عليه بها جماعة من قُرَيْش ، منهم : عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، وغيرهما ، على ذلك يقول شاعر الخوارج (١) :

أَلَمْ نَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

وقتله مروان بن محمد .

وولد عَوْف بن مُحْكَم : أبو عمرو ، وذلك : وأم أناس ، تزوجها عمر بن أَكْل المُرَار ، فولدت له الحارث الملك : أمهم من بني ثَعْلَبَة ، ومن ولده : عمرو ابن عَوْف بن أبي عمرو لابن عَوْف [بن مُحْكَم : أمه جُمَاعَة بنت هشام بن مرة] ومنهم : متوكل كرب بن سلامة بن ثَعْلَبَة بن أبي عمرو بن عَوْف بن مُحْكَم ، لم يأتِهِ قط . أسيرَ إِلَّا فَكَّهُ .

مضى بنو مُحْكَم بن ذُفْل بن شَيْبَانَ .

(١) انظر إليه في ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠ في ٣ : لا حر يوحدي عوف ٢ : ١ لوقى عيسى عوف ، والصبر . ١ : ٢٢٠ والاشفاق ١٥ والميسر ٢٥٠ والفتن ٢ : ٢٩٢ .

(٢) هو شبيب بن حذرة القصب ، كما في تاريخ الطبري ٩ : ٦٤ . وانظر البيان ١ : ٢٩٢ .

ملحق رقم (٣) من كتاب القصارى في نكبات النصارى _ اسحاق أرمنة
٩ العرب وما بين النهرين

خدموبتها وسعة غلاتها . وأزهرت فيها مدن عديدة وحواضر محصرة
لم يبق من أكثرها اليوم سوى الخربة أو مدن ثانوية أشير الى
عظم مقامها في القرون السابقة . وأخص تلك المدن نصيبين ودارا
وراس العين وماردين ودينيسر وآمد وطرهس ومفرقين وكفرتوت
وراس موزا، وحصن كينا وقرقيسيا والرقعة ويطلق على مجموعها اسم
الجزيرة . وهذه البلاد المتدفقة فيها الحلات والخلات أبتها قبائل
العرب سواء كانوا حضرا أو مدرا وشرطوها من مائت الأجيال
وما يدل على انتشار القبائل العربية فيها أعلامها الشيرة الى قاطنيتها
كديار ربيعة وديار مضر وديار بكر وجزيرة ابن عمر وغيرها

أما ديار ربيعة فكانت بين الموصل وراس العين وماردين ودينيسر
والخابور وما تتضمن من البلاد والقرى . ولسم ربيعة لهذه البلاد
قديم كانت العرب تحمل في بوايه قبل الإسلام . وتصل نسب ربيعة
بن ثور بإسميل بن ابرهيم عليه السلام . وتفرع من ربيعة قبيل فتفردت
بأرياف الخابور واختصت جثم بكفرتوت وسكن النهر بولس العين .
وكان مقام ربيعة خاصة بجهال الجردى وخطوم الاكراد وخلف
الاكراد الايمن

أما ديار بكر فهي بلاد واسعة بين ديار ربيعة وديار مضر
وتنسب الى بكر بن وائل . . بن ربيعة . وحدها ما غرب من
دجلة الى بلاد الجبل الطال على نصيبين . ومنها حصن كينا وآمد
وميفرقين وسمرت ويدخل فيها جيل الطور الجردى وهو لبني شيان
بن بكر بن وائل . لما اليوم فيراد بديار بكر مدينة آمد وحدها
أما ديار مضر فهي في السهل القريبة من شرقي القرعات كحران

ملحق رقم (٤) من كتاب ذو شيان مؤلفه محمود عبد الله العبيدي

بكاظمة^(٩٧) ولكن هذا لا يعني وجود بعض القبائل الأخرى من بكر في كاظمة مع بني شيان ، ولكن مياه كاظمة كانت بحوزة بني شيان على الأغلب .

سفوان : يستدل أن سفوان من المياه المشتركة بين بني مازن من تميم وبني شيان ، وتقع جنوب البصرة العالية بحوالي ٦٣ كم بالقرب من جبل سنام ، وكانت به وقعة بين تميم وبكر . وقال الوداك بن تميم المازني متوعدا بني شيان :

رويدا بني شيان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان^(٩٨)

وعلى سفوان أمريس بن مسعود بن قيس بن خالد ذو الجدين استمله كسرى عليها^(٩٩) . لأسباب سياسية ، كما سنوضح ذلك في فصل آخر ، وكان قيس حاكما بها في وقت قيام حرب ذي قار بين شيان والفرس^(١٠٠) .

وذكر الجغرافيون العرب أسماء جبال ووديان على أنها مواضع لبني شيان وهي : الطور البري في منطقة الجزيرة باتجاه خراسان ، ذكر الهمداني « جبل الطور البري هو أول حدود ديار بكر وهو لبني شيان ودونها لا يغالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد »^(١٠١) ومن جبالهم أيضا جبل الامرار^(١٠٢) ، ومن وديانهم وادي الاشافي^(١٠٣) وكان في ديارهم^(١٠٤) ، بالعيرة بالقرب من جبل الامرار^(١٠٥) ، وربما هذه الأماكن من سكناتهم في الإسلام .

٩٦- المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١١٠٩ - ١١١٠ .

٩٧- البكري : ج ٢ ص ٧٤٠ .

٩٨- أبو حنيفة : الثقات ، ج ٢ ص ٦٤٠ ، أيضا الطبري للرخ ، ج ٢ ص ٢٠٧ .

٩٩- الطبري : تاريخ ، ج ٢ ص ٢٠٧ .

١٠٠- الهمداني : ص ٢٧٦ .

١٠١- البكري : ج ١ ص ١٩٢ .

١٠٢- فيل ان الاشافي وادي ديار قيس ، البكري : ج ١ ص ١٩٢ .

١٠٣- البكري : ج ١ ص ١٩٢ .

١٠٤- المصدر نفسه : ج ١ ص ١٩٢ .

ملحق رقم (٥) من كتاب بنو شيان لمؤلفه محمود عبد الله العبيدي

وكما شرعت قبلة بكر بن وائل إلى عدة فروع تعرضت بنو شيان إلى فروع عدة أيضا ، أبرزها بنو معلم ، وبنو الحارث وبنو أبي ربيعة ، وبنو مرة ، وانقسم بنو مرة إلى بني الشقيقة وبني أسد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث بن همام وبني مرة بن همام بن مرة ، وبني نعلبة بن شيان^(١٥٦) .

ونظرا لما يلعبه كل بطن من بطون شيان من دور هام في التاريخ أثر دراسة كل بطن من بطون بني شيان بصورة مستقلة موضحين أهمية كل بطن من خلال دراستنا إلى أبرز الشخصيات والفعاليات الهامة بها والتي تفسر بحثنا^(١٥٧) .

بنو معلم (١٥٨) .

وينسبون إلى معلم بن ذهل بن شيان^(١٥٩) ، وعرضوا إلى عدة فروع عوف وعبر وربيعة وأبو ربيعة ونعلبة^(١٦٠) ، ومن رجالات هذا الفرع التي

من بنو بكر وهذا شيان ابن أحد هما شيان بن نعلبة بن عكابه بن صعب بن شمر بن بكر بن وائل ، والآخر شيان بن ذهل ابن نعلبة بن عكابه . . . ابن منظور لسان العرب : مادة شيب : « والى شيان هذا يرجع كل شياني والى ذهل أبو شيان بن ذهل بن نعلبة يرجع كل ذهلي . انظر : النويري : نهاية الأرب ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

١٥٦ - الميرد : نسب عدنان وقحطان ص ١٥ - ١٦ : ولا يضاف انظر شجر نسب النخلة في نهاية بحثنا .

١٥٧ - أمرا الإشارة إلى أبرز الشخصيات لكل بطن حتى الفترة المناسبة لغرض التعريف بها لا غير .

١٥٨ - المحلى : منسوب إلى معلم بن ذهل بن شيان بن عكابه بن صعب ابن شمر ابن بكر بن وائل .

انظر المحرمي : ص ١١١ .

١٥٩ - المصدر نفسه . ص ١١١ .

١٦٠ - ابن الكلبي : جمهرة النسب الكبير الورقة - ١٠٤٩ : انظر أيضا اسم حزم : ص ٢٠٢ - بالقول : المختضب في كناية جمهرة النسب ق ١ الورقة ٥٢ .

ملحق رقم (٦) من كتاب تلويح طور عابدين - لماراغناطيوس الأول
١٩٧

العقيدان وتاريخ ماردن تأليف عبد السلام المارديني ، وقاموس
الاعلام التركي .

١٠ - كتابنا « التلويح المنشور » المطبوع سنة ١٩٤٣ .

١١ - احاديث الشيوخ الصحيحة الثابتة في زماننا .

١٢ - كتابنا التاريخ الكفي الذي قطعنا اربعين عاماً واكثر
في جمعه وتأليفه .

١٣ - التاريخ الممتد الى سنة ٨٤٦ م .

١٤ - اخبار مستفاد من تلويح ميخائيل الكبير .

١٥ - اخبار مقتطفة من تاريخ الرهاوي المجهول .

١٦ - اخبار من تاريخ ابن العربي .

١٧ - احاديث القس اده البيرني .

١٨ - الاخبار المفيدة التي جمعناها نحن من مخطوطات طور عابدين

الفصل الثاني

حدود الجبل ، وسكانه القدماء ، واسمه

طور عابدين ، منطقة (جبلية) تقع في ما بين النهرين في الشمال
الشرقي لمدينة ماردن ، متوسط الارتفاع ، كثير القرى والساكن ،
والجانب المطل على المنطقة المعروفة قديماً بـ « باعربليا » او المنطقة
العربية يعرف باسم « جبل ازلا » وقد سماه اليونان باسم « ماسيوس » .

وفيه ناحيتان :

ان الجغرافيين العرب امثال ابى القاسم ابن خردادبة سنة ٨٤٨م يقولون : ان منطقة بيت رشا ، وبيت نخل (المحلية) هي كورة في ديار ربيعة وابو القاسم ابن حوقل البغدادي الذي كان موجوداً سنة ٩٧٠م يقول : ان طور عابدين هو اكبر من جميع الرسايق المحيطة بمدينة دارا^(١٢) ، ولما قوت الرومي المتوفى سنة ١٢٣٢م يقول : انه المنطقة الهاذية لمدينة نصيبين ، وفيه الجبل الملل عليها ، والمتصل بجبل جودي ، وهو عماد الكورة كلها^(١٣) .

وجبل طور عابدين يتوسط بين مدن ، جزيرة ابن عمر ، وماردين ونصيبين ، واعد (ديار بكر) وسعرت .

ان سكان هذا الجبل الاصليين هم من الاراميين ، لان القوم كانوا يسكنون جميع جبل « ملسيوس » والمعروف اليوم بجبل « قرة جه طاغ » وقد حاربهم شلحناصر الاول ملك اشور (بين ١٢٧٦ و ١٢٥٦ ق م) واحتل منهم ، وهدم حصونهم ، وكانوا قبائل وافضافاً كثيرة متاربة بين انهار دجلة والبلخ والفرات^(١٤) .

ويذكر في اخبار الملوك الاشوريين الواردة في المكتابات المسارية المكتشفة في اغراض منهم : ان ملك اشور المدعو هود ناواري (نيراري) الثاني ، والذي ملك سنة ٩١١ وملك سنة ٨٨٩م ابن الملك اشوردان (٩٢٢ - ٩١٠ ق م) حارب ارامي طور عابدين مرات كثيرة^(١٥) .

ملحق رقم (٨) من كتاب تاريخ طور علمدين — للراغبناطوس الأول

ديار بني ربيعة كما تسمى في التاريخ) . وفندقاً آخر كبيراً وواسعاً
في قرية بيت يشان وغير ذلك . هذه الأعمال الجليلة كلها قام بها
خبر الذكر العطر الوجيه توما واولاده .

الفصل الثامن والعشرون

المحبة

المحبة منطقة واسعة الى الجبهة الجنوبية من طور عدين . وكانت
فيها اكثر من خمسة قرية ، والقرى المعروفة منها الى يومنا هذا ،
وهي : استل ، كفرحور (كفرحورا) ، دير اوسيينا (دير زيتنا)
كفرعرق ، كنديريب ، كفرشمع ، اشاي ، شور صفح ، دير لذب ،
طافو (نفى) ، كفرعلا ، نوب ، عينكاف ، كفرجورا ،
كفرجوسن (كفرجوسي) ، كفرسلطا وغيرها ، ومعظم سكانها كانوا
سرياناً . وكان يسكن معهم اكراد مسلمون . وكان في هذه القرى
كنائس كثيرة ، ودير في قرية كفرشمع . وكبريات هذه القرى هي
استل وشور صفح ودير اوسيينا واشاي وكفرحورا .

حوالي سنة ١٦٠٩ م (ويطن في سنة ١٥٨٣ م) كثرت المظالم
والضيقات على المسيحيين من قبل الحكم الاتراك الظالمين ، اضطرت
قبائل المحبة ، ومنها استل والراشدية والمكاشية وصورا والاحدي
ورشل وقبالا ولاشقية فاعتنقت الاسلام تخلصاً من الظلم .

الحياة الاجتماعية في مدينة ماردين

أولاً - سكان ماردين :

السكان في مدينة ماردين وأطرافها شأنهم شأن سكان سائر بلاد الجزيرة كالموصل وبلد وسنجار ونصيبين وغيرهم، كانوا وما زالوا يتكونون من الفئات الرئيسية الأربع: العرب، التركمان، الأكراد، السريان. ومن مجموعات أخرى قليلة العدد إذا قورنت بها. ونظراً لندرة المعلومات الخاصة بهذه المجموعات فإننا سنقتصر البحث على الفئات الرئيسية فقط.

١ - العرب: علمنا فيما سبق أن مدينة ماردين هي في الجزيرة الفراتية، ومن مدن ديار ربيعة حينئذ ومن مدن ديار بكر أحياناً. وهذه الديار كانت قد وُلدت إليها القبائل العربية، وتوطنت فيها قبل الإسلام وبعده لخصبها. ويقول ياقوت بهذا الشأن: «... وسميت ديار ربيعة لأنهم كلهم من ربيعة، وهذا الاسم طغى البلاد قديم، كانت العرب تحله قبل الإسلام في يوائمه...»^(١).

٢ - وديار بكر، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنها حصن كيفا وأمد ومهاقرين... وربما أجمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ربيعة فإنهم كلهم ربيعة...»^(٢).

ومن القبائل العربية المشهورة التي كانت قد سكنت تلك الجهات ومن ضمنها ماردين نذكر تلك التي واختارها لتجارب الحروب لئلا الأمان التي كانت قد دارت بينها،

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٢: ٤٩٤ - فين الأتية، الكامل في التاريخ، ٥: ٤٣٥.

(٢) ٢٠٥. ٢: ٤٩٤.

ملحق رقم (١٠) من كتاب مدينة ماردين — حسن خيسالي

أو التي اختار بها كتب المؤرخين والجغرافيين القدامى وأكثفها كتب ومؤلفات الحداث منهم . ومنها قبائل : تغلب ، بكر بن وائل ، قيس ، سليم ، ذكوان ، قشير ، ثمر ، كليب ، عقيل ، شيان ، نجيم ، عامر ، عمرو ، طي وغيرها^(١) . وكان لكثرة هذه القبائل وقوتها ، وانتشار الدين الإسلامي واللغة العربية بين أفرادها ، أن استطاعت أن تغلب على بقية الأجناس المتواجدة في تلك المنطقة الجزيرية العامرة .

٢ - التركمان : والتركمان هم في الأصل صف من الترك ، خرجوا في القديم من مساكنهم في تركستان إلى خراسان وأذربيجان ، ثم تفرقوا من هناك في البلاد . وهم أصحاب خيाम ومواشي يرتحلون تارة إلى المصيف وأخرى إلى المشى . وقد اندمج فيهم كثير من طوائف الفز (الترك) فناطق عليهم لفظ تركمان (ترك مان) . وهؤلاء هم قبائل شتى ، ولكل منها عشائر ويطون وأخذ لا تحصى ، ولكل واحدة منها اسم مخصوص متعارف فيما بينهم^(٢) .

(١) الأنطلي ، ديوانه ، ص ١٥٧ - ١٠٨ - البحري ، ديوانه ، ص ١ : ٦٠ (تحقيق خطي) .

- الميلاي ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٢ - ١٣٣ - من صفة الفز والذيل ، ص ٧١ .

- البكري الأنطلي ، معجم ما استعجم ، ص ٢٠ : ٤٨٢ - بقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٦٢ : ٢٦٣ .

- الفارسي ، نهاية الأرب ، ص ١٧٥ - ١٧٦ - ابن خلدون ، تاريخه ، ص ٢ : ٢٦١ - ٢٦٢ .

- إسحاق أرملة السويدي ، التكرية وأخبارها بين حرب الجملية ، مجلة الشرق ، ص ١٤٧ : ١٤٨ سنة ١٩١٢ .

- السمرائي ، البحري في سفره حتى عتبة حمر الموكل ، ص ١٢٣ و ٢٠١ .

- ومن القبائل الأخرى التي استوطنت ماردين كانت : قبائل زعيم . هذه القبائل اشتهرت بالخير إلى أن تخلص أفرادها مع الزمن مع خرمهم من أفراد القبائل الأخرى ، حيث وكسوا إلى الزراعة ، وكان لهم هذه القيلة ما بين ماردين وسنجد . ثم تكثرت في تلك النواحي جماعة على لغتها البنية وعلى الكثير من عاداتها . (السمرائي ، حاشي العراق القديمة - الهدية الخاضرة ، ص ٢٠٣ : ٢٠٤)

- قبيلة بني سيماء : وهي فرع من طي . ولكن بعض بنيها غدا في السيادة ، ومن فرقها : البوعنصر ، ومنزلها الآن ما بين نصيبين وماردين . وهي أصل عوجة من السبعة والنق ...

(السمرائي ، حاشي العراق القديمة ، ص ٢٠٣ : ٢٠٤) .

(٢) الفرمان ، أخبار الموكل ... ص ٢٢٦ - شاهر الفضيل ، موجز تاريخ التركمان في العراق ، ص ١ .

ملحق رقم (١١) من كتاب مدينة ماردن - حسن شمساري

بواديا منذ ذلك التاريخ . واتدمجت مع سكانها الاصليين، وتولت وليايمهم تعمير تلك النواحي . والذي نؤكد هنا ثانية، هو أن كلا من الفرس والرومان كان قد عمل على احتواء تلك القبائل وجبرها لسلطانهم، ومن ثم فقد قسموا ديارها إلى إمارات أو ممالك، جعلوا على كل منها حاكماً يدين لهم بالطاعة والولاء . وأخضعوه لسلطة الحاكم العام إما الفارسي (المرزبان) الذي كان مقره في نصيبين عاصمة منطقة باهرابا^(١)، وإما الروماني، والذي ترجمه هو أن حكام منطقة ماردن تبعوا لسلطة الحاكمين بالتناوب تبعاً الظروف والمواقع .

قلت فيما سبق أن الاتفاقيات والمعاهدات التي كانت تبرم بين الدولتين الأعظم، فارس وروما، لم تكن في الواقع اتفاقيات أبدية مقدسة، وإن الإلقاء أو الانتهاك كان السمة الغالبة عليها في كل زمان ومكان . فكثيراً ما كان يحل لفائدة الدولتين من أن يبعث كل منهما بممتلكات الأخر ويستولي على بعض من أجزائها ضارباً عرض الحائط فيما أخذ على نفسه من عهد، وماردن وديارها كانت - وكما ورد - من المناطق التي أصابها الأخذ والرد نتيجة لتلك التصرفات . والذي يمتنا من هذا كله هو معرفة أي من الدولتين الكبيرتين كانت صاحبة السيادة عليها عيشة تحرك الجيوش الإسلامية لفتح العراق وإقليم الجزيرة . وهذا ما سنوضحه في الفقرة التالية .

(١) باهرابا أو بيت عربي . هي تسمية أطلقها الفرس على المنطقة الممتدة بين بيت بتردي (قرب جزيرة ابن عمر)، وإلى بلد نصيبين من - من ضمنها بلاد ماردن - انظر خارطة الاصطخري المرفقة في آخر البحث . ومعناها موطن العرب أو بلد العرب، أي أن سكانها كانوا عرباً، ولقسمته بديار وبيعة، ولهذا أطلقت على هذه القبيلة نسبة باهرابا . الذي شير، تاريخ كلدو وآشور، توطئة الجزء الثاني .
- المرجعي، توما، كتاب الرؤساء، حاشي من ٦٦ - بابو اسحق، مسدوس العراق قبل الإسلام، حاشي من ٥٢٦ . والمرزبان هو الرئيس من الفرس، يضم الزاد، والجمع المزدانية، والمرزبان أصحبي معرب، نكلمت به العرب، وتفسيره بالعربية حافظ الخط الجواليقي، أبو منصور موهوب، المعرب من الكلام الأصحبي على حروف الفصحى، ص ٢٦٧ .

ملحق رقم (١٢) من كتاب عشرة الشام _ أحمد وصفي زكريا

الزمن ، وتقاصر مواطنهم عن كتابتهم ، وبسبب ما فطروا عليه من حب الفصائل
ولسباحة حتى للصور ، وذكروا أن قضاة أول من قدم الشام من قبائل العرب ، صارت
إلى ملوك الروم ، فلكوهم على من في بلاد الشام من العرب ، فكان أول الملك لتتوخ من
مالك بن فهم ، ثم وردت الضجاء وهم فخذ من سلج ، و سلج بطن من قضاة ، فتفتت
على تتوخ ، وقامت مقامها في البادية على بلاد الشام وأعرلها ، حتى جاء الفساسة من
البن في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وقد يكون أنيارد مأرب من جملة أسباب
هزيمتهم ، واستظهروا على الضجاء ، وعظم شأنهم ، وحالفوا الرومان ، وصاروا عمالهم على
إخوانهم عرب الشام وخفراءهم على الحدود الغربية تجاه الفرس ، كما كان اللخميون السادة
حلفاء الفرس وعمالهم على عرب العراق وخفراءهم تجاه الرومان ولقوم بلقرب فيلارك أو
أمير أو ملك ، وكان بعض العرب قبل مجيء الفساسة يتقدم في خدمة الرومان
ومناصيرهم ، حتى أن أحدهم وهو فيليبوس العربي من : أبناء بصرى في حوران صار قيصراً
وملك على رومية من سنة ٢٦١ إلى سنة ٢٦٩ م . وكانت أيامه محوطة في عمران المملكة
الرومانية ورفدها . وصارت هذه القبائل العربية على دين ملوكها فنصرت وشيدت في
الحام حوران والصفا واللجا والبقاع كثيراً من الأدبرة والكنائس ، لا تزال آثارها ماثلة ،
وكانت لغة النبطيين والسمريين الأرامية ، وما بقي من القبائل كانوا يتكلمون لغة
عربية ، ولكنها بعيدة بوحاً ما عن لغة القرنين الغربية لكثرة ما كان فيها من المفردات
والعابير الأرامية .

وضاقت فيها يديهم وقتت بادية الشام بهذه القبائل العربية ، فانساح قسم منها قبل
الإسلام بقرن أو قرنين إلى براري الجزيرة القفرائية . قلت الحطب الكثير والخير الوافر ،
ولتشروا فيها واستفروا على نحو ما علمته قبائل بكر وريمية ومضر وأنار وإياد وشيبان
وتغلب ، وكلهم من أعقاب نزار بن معد بن عدنان ، فاحتل بنو بكر شمالها ، ومن ذلك
اسم (ديار بكر) للبلاد التي نزلوها وكانت (آمد) حاضرتها سميت باسمهم إلى أن قلب
الترك أخيراً اسمها إلى ديار بكر أي (ديار النحاس) نحواً لصيغتها العربية ، فكان في
الجزيرة ديار بكر التي قال عنها ياقوت في معجمه ، هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن
وائل ... بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل
انطلق على نصيب إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وأمد وميافارقين . . وقال عمر ديار

ملحق رقم (١٣) من كتاب عشائر الشام - أحمد وصفي زكريا

ريبعة . ديار ريبعة بين الموصل إلى رأس عين وديسر والخابور جريمة . وما بين ذلك من المدن والقرى . وربما جمع بين ديار بكر وديار ريبعة . وسببت كلها ريبعة . فبانهم كلهم ريبعة . وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحمله قبل الإسلام في بواديها واسم الجزيرة يشمل الكل . . وقال عن ديار مضر . ديار مضر هي ما كان في السهل يغرب من شرقي الفرات . نحو حران والرقعة وشيشاط وسروج وتل موزن . . قلت : يظهر من هذا التعريف : أن القسم الغربي من الجزيرة الواقع ما بين الخابور والفرات وفيه في يومنا قضاء الرقة وعين العرب كان من ديار مضر وحاضرتها الرقة . والقسم الأوسط الواقع ما بين الدجلة والخابور وفيه قضاء القامشلية والحسكة وجبل سنجار كان من ديار ريبعة وحاضرتها الموصل . والقسم الشمالي الذي فيه جزيرة ابن عمر ومها مارغين مما ظل داخل حدود الترك كان من ديار بكر وحاضرتها لاسد . وفي هذه الجزيرة حدثت الوقائع بين قبائل ريبعة وأهلها بين بكر ونغلب . وهي حرب البسوس بين كليب وجاس . وهي مشهورة ومذكورة في كتب التاريخ والأدب دامت وقتضت بينهما أربعين سنة . مات في أثناءها الشيوخ وشاخ الشبان وشب الثولدان . وولدت طبقة من الناس لم تكن بالحيوان . وكان الحرب سجلاً إلى أن تصالحا لأحر مرة على يد عمرو بن عبد أحد ملوك الحيرة من آل النسر اللخميون . وجرت واقعة بين شيبان ونغلب بقرب الفرات . غار فيها بنو شيبان . ومن قبيلة نغلب هذه نشأ الشاعر المشهور عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي . عقيده قبيلته وزعيمها . وقاتل عمرو بن هند المذكور في داره . وكان ذلك في أواخر القرن السادس الميلادي . وهو صاحب المعلقة التي مطلعها :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبغي خصور الأندرينا

كما يدل على أن الأندرين الشاغصة بأطلالها وآثارها^(١) حتى الآن في براري حلب الجنوبية كانت عامرة في عهده . وتنتج غوراً جيدة . وأن نغلب كانت توافيها وغنار الحمرة منها . وكانت النصرانية شائعة فيهم قبل الإسلام لجوارتهم الروم . وقد أبلوا بلاءً حسناً مع المسلمين في فتح العراق قبل أن يفتح المسلمون الجزيرة .

(١) راجع وصفاً في كتابنا : سيرة خزيمة في عصر البلاد العثمانية ص ٢٠٦ - ٢١١ .

فارس إلى كسرى النعمان بن زوزة يحترق واحد من ثلاثين إيماناً أن يسطروا بأيديهم ،
 وإما أن يتركوا ديارهم ، وإما أن يحاربوا غير أولئك أمرهم حنظلة بن ثعلبة السجلى ، فاشار
 بالحرب فأذنوا الملك بالحرب . فإرسى كسرى زيار بن قيسفة الطائي أمير الجيش ،
 ومنه مرزبة الفرس والمهرازى القسوى وغيره من العرب تغلب وأباد ، وقيس بن
 مسعود بن قيس بن ذى الجدين وكان على طه سفوان فارسى يقول — وكان قد
 بعث النبي ﷺ — فمضى هاني بن مسعود بزور النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس
 من بني ثبيان قال هاني بن مسعود : " يا مشرك لا طاعة لكم في قتال كسرى
 فاركبوا إلى القلعة فمارع الناس إلى ذلك ، غرت حنظلة بن ثعلبة السجلى وقال يا عاقب أردت
 بجاننا عاقبتنا في الملكة ، ورد الناس وفطع وحش المزدحج وهي الحزم للرجال فمضى
 مقطوع الوض ، وضرب على نفسه فيه ، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس " ^(١)
 واستفروا ما لصف شير فأتهم المعجم فقاتلهم بالجنود ، فأتهم من المعجم خروفا من العنق
 إلى الجبال فحبسهم بكر وجل وأبكت يومئذ بلا حسنا اصطفت عليهم جنود المعجم فقال
 الناس ملكك بجل ، ثم حلت بكر فوجدت بجلا فقاتل وأمرأة منهم تحولت

أن يظفروا " يمزروا في القلعة " إليها فنادى لعصم بن بجل
 فقاتلهم ذلك اليوم " وأمات المعجم إلى بطنه ذى فخر خروفا من العنق ، فمسلت

(١) في بعض النسخ أن هاني بن مسعود لم يكن موجودا والى قول ذلك في نسخة من هاني بن مسعود

(٢) وأنتهم وربما يسمونه به ثم قال أيضا

بقرى بني وادى القلعة أيضا أجود يوم من فخر الفرس الأول

(٣) في بعض النسخ (الذين رويهم عن القلعة) وهو السقيم القلعة والحق في أن المصراع الثاني لا يفتح
 مع الأول (٤) قال ابن جندب ربه فقامت الفريضة فقاتل أبو عبيدة مثل أبو عمرو بن العلاء وقاتل إليه عيسى
 ويشكرى فرمى السجلى أنه يشهد يومئذ فتويع بني وادى وبنو بجل وبنو كسرى بل شهدتها فقاتل بكر
 وسفوان فقاتل أبو عمرو فمسلت بكر كسرى حيث يقول

وتصد وأبى أمك مرة
 في مرة الموت إلى لا تشكر
 فكانما أقدمت ويا كنه
 سب شطط في شح فم
 لنا سبت دة مرة فاعلا
 وقدرية في السجلى الأتم
 ولم يشوب تحت لواءه
 ولزوت تحت لواء إلى علم
 لا يصرفون من الرغى ويومهم
 في كل ساعة يكون للعلم

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة آل علال عمرو بن هند ، فلما ملك عمرو
ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من تلك أيام أو شروان ثمانية
أشهر ، وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ، ثم ولي بعده قابوس السمراب ، ثم ملك
بعده المنذر بن النعمان أربع سنين ، ثم ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس الثنتين
وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمان ابنه أبرويز
أربع عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، ثم ولي راس بن قبيصة العنابي وسماه النخعي خلقه
في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية أبياس حيث انتهى ^{عنه} ثم ولي
أراد به بن مایان الهذلي سبع عشرة سنة من تلك في زمان كسرى بن هرمز أربع
عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمان أردشير
ابن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمان وانددخت ابنة هكسرى شهراء ، ثم ولي
المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي تسميه العرب المنزور الذي قتل بالبحرين يوم

فلا البقية والمندى بمحمد	ولا بنية الألفيف فتكنفوا
لأن كل مد كان شاككا	فدوى شربا عظام الفرف
لا لخالق الفناء أبجهم	طاب بيض كل المام تحلف
إذا ملكتا طهم مطة مبرث	حتى توات وكادهم تصف
بشاري وفي ملك سراتية	من الأناهم فبذانب الشف
من كل حرجاة في القدر امرضا	تبارطوا طامنا طينا الصدف
كأما الآل في حلق جمهم	والبيض رن جلال طوفان يكف
لأن الحدود مدود من سيوفهم	ولا من الطين في القبان تعرف

وإن يكن الأمتى مدح بني بكرهم ، ولكن الحرب كانت ضروري بن حيان فنجس الحرب منهم علقا
كما قالته الفريد وسنلة صاحب الرأي هو أنه أكتة التمر لاف مدهم منهم بكير أسم بن الحارث الذين
مدد الفرس الحارث بن فخره

لأن كنت ساقية للغة اعليا	تسرى على كرم خمر طم
ولما ربيعة كلبا وحلما	سقا بناية اجد الأيام
شربوا بني الأسرار يوم لقوم	بقتلهم على من قبل القام
مر بقلعة آلف وكبية	التيين أصم من بني القمام
شد ابن قيس شدة فعبت له	ذكرأ له قيسرق وشأتم
عمرونا عمرو بنهم ذلك	فياولا غرو ولا يلقم

الادلة

١٨٤

وقال *

١ - لُجِيمُ بْنُ صَبٍّ لَمْ تَنْفُلْهَا عَدْلُوَتِي
وما نَبَحَتْ آلَ الْمُخَصَّبِ كَلَابِي^(١)

• الْمُخَصَّبُ : « : عَرَبٌ ، أَمَدُ بْنُ أَبِي رَيْمَةَ ، مِنْ^(٢) ذَهْلِ بْنِ شَيْلَانَ ،
مُتَّحِي الْمُخَصَّبِ لِسَخَاةِ .

٢ - أُولَئِكَ قَوْمٌ ، يَرْفَعُونَ مَنَظَّهُمْ
إِلَى تَجَوَاتٍ ، أَشْرَفَتْ ، وَرَوَابِي^(٣) ٢٤٤

٣ - وَلَعَكْنُهَا هَاجَ الْكُفَى كَانَ بَيْنَنَا
مَدُوسٌ ، وَمَا عِيدَانُهَا بِعِيلَابِ^(٤)

• انظر الكلمة من ٥٦ .

(١) لُجِيمُ بْنُ صَبٍّ : قَبِيلَةٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « : بْنُ » . وَلِجُورِ رَيْمَةَ حُوَّابِ بْنِ عِلْمٍ بْنِ ذَهْلِ .

(٣) التَّجَوَّاتُ : جَمْعُ نَجْوَةٍ ، وَهِيَ مَا لَوَّحَ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَشْرَفَتْ : عَلَتْ
وَارْفَعَتْ .

(٤) مَدُوسٌ : قَبِيلَةٌ مِنْ بَكْرِ ، وَهِيَ مَدُوسُ بْنُ شَيْلَانَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ ثُلَيْجَةَ بْنِ
هَكَاةَ بْنِ صَبٍّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ .

وقد ذكر الأحمشي هذه الحادثة ، فقال :

كن كالسؤال إذ طاف الحمام به في جحفل كسواد الليل جرار
إذ ساه عطشي غشبي فقال له : قل ما نشاء ظني سامع حار
فقال : قد رز وتكل أنت بينهما فاعثر فما فيهما حظ ليختار
فشك غير طويل ثم قال له : اقل أسيرك إنني مانع جاري
وهي أكثر من هلا .

يوم عزله

وكان من حديث أن ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر
وربيعة وقضاعة ، فوجد عليه وفد من وجوه بني معد^١ ، منهم : سدوس بن
شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ، وعوف
ابن عمرو بن جشم^٢ بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الفتحيان^٣ ، وجشم بن
ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الفتحيان^٣ ، فلقبهم رجل من
بهاء يقال له عبيد بن قُرادة ، وكان في الأسارى ، وكان شاعراً ، فسأله
أن يدخلوه في عدة من يألون فيه ، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى ، فوجههم
لهم ، فقال عبيد بن قُرادة البهراوي :

نفس القداء تصوف الفضال وعوف ولأين هلال جشم

١) للمهين B. ٣) . عشم B. ٤) B. ٢) . وسقروم B. ١٥٥ (١)

٤) مراد B.

على لا تلتد من عاتيه • إن قننى اعلكت من عاتيه
 إن ابن أسيد لك ضامن • حتى يؤدى أنس ثلوه
 لا أقصد القاة فى أنفها • لكننى أوجرها العاتيه
 إني عن القصد لنى مفر • بكرة من القصد الآليه
 والحليل إن شخص "أمرساها" • تذكر عد الموت أعتليه
 وقال ربهض المعزى بفخر :

نحن أسرنا حانما وابن ظالم • مكل ثوبى فيتلوهو بمشجع
 وكعب يادعد أسراوبده • أسرا أبا حسان والحليل نطمع
 وربان غامرنا روح كاه • وأشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الشبلي : قصبة بفخر بأيام قومه رمى طويقة ، وفيها آداب حسنة
 تركناها كراهية التطويل وأولها :

أمن عردان منزلة ودار • نعاور حلالوارح والسوارى
 وقال أبو عبيدة نجاة الاسلام وليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمتع جارلا أكثر
 حليفا من شيان كانت عبة من لحم فى الأحناف ، وكانت درمكة بن كندة فى بنى هند
 وكانت عكرمة من طي ، وحوتمكة من عذرة وبناة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام ،
 وكانت عائدة من قريش ، وحبة وحولس من كندة هؤلاء فى بنى أبي ربيعة ، وكانت
 سليمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام ، وكانت ونبلة من ثعلبة ، وبنو خيرى
 من طي فى بنى نعيم بن شيان ، وكانت عوف بن حرث من كندة فى بنى همل ، كل هذه
 قبائل وطلون جاورت شيان فمزت بها وكثرت •

﴿ يوم مصلان ﴾

قال أبو عبيدة : غزا ربيعة بن زيدة الحطلي فى جيش من قومه فلق جيشا لبنى شيان
 عامتهم بنو أبي ربيعة فقتلوا قتالا شديدا ، قطعت بهم بنو شيان وهزمهم وقتلوا منهم
 مقتلة عظيمة . وذلك يوم مصلان . وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم ، وكان
 رئيس شيان يومئذ حلي بن عبد الله بن قيس الحطلي . وقيل : كان رئيسهم زياد بن مرشد
 من بنى أبي ربيعة فقال لشعرهم :

وقال أيضاً* :

١ - أفي حَكْلٍ عامٍ ، لا يَنْزِلُ لِمَامِرٍ
على الفِرَارِ نَهْبٌ ، من أُرُوشٍ مَزَنُمٍ^(١) ؟

• عامر • من بني أبي ربيعة • من^(٢) دهل بن شيان . و • الفِرَارُ • :
ابن شريك^(٣) أخو الحَوْفِزِيَّانِ . و • الأُرُوشُ • : ديون الخزيات من
جراحات ، وما أشبهها .

٢ - لعمرك ، ما أدري ، وإني لسائلٌ :
أمرأةٌ ، أم أعمامُ مرّةٌ ، أظلمُ ؟
• مرّة • : ابن فعل بن شيان .

٣ - فما ليلسمين ، لا يقومُ خطيبها
وما لابن ذي الجدين ، لا يتكلمُ ؟
• الشمين • : من بني أسد بن عتات بن مرّة . و • ذو الجدين • :

• انظر ب ص ١٠٥ و ١٧٢ ورقم ٩٦ .

(١) في الأصل : • مزَنُم • . والتصويب من ب . والزعم من الأبله الذي
شقت أدنه طولاً ، وترك تنوس .

(٢) في الأصل : • بن • . وأبو ربيعة هو عمل بن فعل .

(٣) كذا في الأصل وب ، وغيره في رقم ٩٦ بأنه سعد بن زبعتة بن تميم .

« الحيزان » : جماعة حُرُز (١) وأحزمت . و « المتجمل » : ما انتفض
من الأرض ، و« غمض » : وانشع .

٢ - مَنَازِلُ ، أَفْقَرَتْ مِنْ أَمْرِ تَمَرٍ
يَطْلُ سَرَابُهَا ، فِيهَا ، يَجُولُ

٣ - شَامِيَةُ الْحَلِ ، وَقَدْ أَرَاهَا
تَمُومُ ، لَهَا بِذِي خَيْمٍ ، حُولُ
« تَمُوم » : نمرٌ كتموم السنين . و « ذو خيم » : موضع .
و « حُول » : الناء : مراكبها .

٤ - وَلَوْ تَأَيَّ الْقَرَاةُ ، وَالْحُبَيَّا ،
إِذَا ، كَلَدَتْ تُكَلِّبُكَ الطَّلُولُ (٢)

٥ - عَزِ الْقَهْدِ الْقَدِيمِ ، وَمَا عَظَاهَا
بَوَارِحُ يَنْخَلِيفُ ، وَلَا سُولُ (٣)

٦ - أَلَا ، أَلْبَغُ بَنِي تَيْلِيبَ حَنِي
فَا حَنِي ، وَيَنْصَحُكُمْ ، دُحُولُ (٤)

(١) الحُرُز : ما غلظ من الأرض ولوقع .

(٢) القَرَاةُ والحُبَيَّا : موضعان .

(٣) عَظَاهَا : مرسها وعملها . والبوارح : جمع بارحة وهي الربع الشديدة .
ويختلفن : يترددن ، أي : تذهب هذه وتجيء هذه .

(٤) الدُّحُول : جمع دحل وهو الحقد والبغضاء .

٨٠

وقال أبحاً :

١ - أبوعبدني بكرٌ ، وتنفُضُ عُرْفَهُ ؛

قُلْتُ لِبَكْرٍ : إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ !

يقول : كما تنفضُ الحباري (١) عرقها العنق ، توعده ولا بد

١٨١ لما ٥ /

٢ - تَتَطَمَّنِي مِنْكُمْ رِمَاحٌ ، نَرِيَّةٌ

وغلصنة ، تزورُ هنا الغلامُ (٢)

« النريّة » : الكبرة .

٣ - فَا لِبَنِي شَيْبَانَ ، عِنْدِي ، ظُلَامَةٌ

وَلَا يَدْمُرُ نَفْسِي ، هَلِي ، الْهَنَامُ

بنو حننلر (٣) من بني نيم اللات بن ثعلبة بن عكابة .

٤ - رِغْصَابٌ ، كَأَنِّي فِي بَيَاضٍ أَكُفِّيمُ

أَلَا ، رُبَّمَا لَمْ تَتَطَمَّنِي الْهَازِمُ (٤)

٥ انظر ب من ٩٣ واليزيدي من ٢٨٣ .

(١) في الأصل : « الحباري » . والتصويب من ب .

(٢) التلصبة : الجماعة والعدد .

(٣) في الأصل : « جنم » . والتصويب من ب .

(٤) في الأصل : « فضاب » . والتصويب من ب .

- ٩ - فلا تُوعِدُونَا بِاللِّقَاءِ ، وَأَبْرِزُوا
إِلَيْنَا سَوَادًا ، فَلَقْنَاهُ بِسَوَادٍ ^(١)
- ١٠ - قَدَعَرُ كَتَّ شَيْبَانٍ مَنَابِكُنْ كُلِّ
وَعَيْلَتُنْ نَيْسَمُ اللَّاتِ ، رَهْطُ زِيَادٍ ^(٢)
د نيم اللات : ابن ثلبة بن عسكابة . ود زياد : ابن خصفة ،
ساحباً علي بن أبي طالب ، عليه السلام .
- ١١ - وَلَوْ لَمْ يَمُذَّ بِالسَّيِّئِ مِنْهُنَّ هَائِي
لَعَفَرْتُ أَخْدِي هَائِي ، بِرَمَادٍ
د هائي : ابن قبيصة ، أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيان .
- ١٢ - وَظِلُّ الْحَرَّاقِ ، وَهُوَ يَحْرُقُ نَابَهُ
لِمَا نَدَى رَأَى مِنْ قُوَّةٍ ، وَعُشَادٍ ^(٣)
د الحراق : رجل من بكر بن وائل .
- ١٣ - هَدِيرُ الْمُعْنَى ، أَلْفَحُ الشُّوْلِ غَيْرُهُ
فَظِلُّ يُنَلَوِي رَأْسَهُ ، بِقَتَادٍ ^(٤)

(١) في الأصل : فلا تُوعِدُونَا . وفي المخطئة ما أثبتنا . والوداد : العدد الكبير .
(٢) عركت : سحق . والكلاكل : الصدر . وعيالتهم : تركبهم عيالاً .
(٣) يحرق نابه أي : يحك أحد نابه بالآخر . ونكاح كناية عن التبط .
(٤) الشول : جمع شاة يروي الطاقة قمت فلبانها فقاتل ضرعها . ود غير ه
لأعل ألقح ، وبناء على الفتح لأنه مضاف إلى ميني . والقصاد : شجر منخام
له شوك .

• ١٨٣ •

وقال أيضا :

١ - يا عامرُ بنَ عُميرٍ ، أنتَ مِدْرَهْنا

بالتَّلْ ، يَوْمَ تَلَقَّتْ أَوْجُهُ المَرْبِ^(١)

٢ - يارُبُّ داعمٍ ، دَعَا ، والموتُ يَنْكُرُ بِهِ

حَتَّى نَنْلُوهُ ، مِنْ عامِرٍ ، سَجَبِ^(٢)

* انظر الحكمة ص ٥٦ .

(١) عامر بن عمير : من بني أبي ربيعة ، من فحول بن شيبان . والمرب :

السيد الدافع عن القوم .

(٢) يكرهه : يشتد عليه .

العراق والجزيرة وعلى طول نهر الفرات ، حتى أن اعتداءاتهم بلغت الحرمين الشريفين مكة والمدينة . ومنذ سنة ٩٠٠ م / ٢٨٧ هـ بدلت غارات القرامطة على البصرة وسائر أعمال الجزيرة . وقصد أبو سعيد القرمطي البصرة بغته وكبها وأتى من أعمال السلب والنهب فيها ، وكذلك قلم ولده أبو طاهر سليمان في سنة ٩٢٨ م / ٣١٦ هـ بغارات على الأنبار ، ثم الرحبة . وقيل أنه ملكها واستباحها . وكان للحمضايح التي أحدثها بالغ الأثر في تخويف أهالي المناطق المجاورة الأمر الذي اضطرهم إلى طلب الأمان ، كأهل قرفسياء مثلاً . وذكر أنه لما وصل إلى الرقة استباحها وأقام بها ، ومنها بث سراياه في أنحاء الشرق والشمال ، إلى أطراف كفرنوتنا ونصيبين وراس عين وماردين وبلد وسواها . وقيل أنه دخل بغته إلى منجار وفك بسكانها . كما آمن رجاله في السلب والنهب إلى أن طلب من بقي من أهل تلك الأصقاع الأمان فأجابهم إليه^(١) . وتعددت بعد ذلك غارات القرامطة على تلك الديار كافة . كما أنه كان لانتشار بين شيان في جهات الموصل وبعض ديار ربيعة الأخرى ، ونوراهم وغاراتهم المتواصلة على مناطق واسعة من أرض الجزيرة أثره السيئ على تلك الجهات ، ولا بد أن يكون قد نال بلاد مازدين بعض مما اقترفوه من أعمال سيئة لوقوعها في مجال محرقاتهم . والواقع أن سياسة الشيعتين في الجزيرة كانت تقوم على الولاء للعباسيين حيناً ، والانتفاضة عليهم أحياناً ، وذلك حسياً كانت تستوجب ظروفهم المعيشية وحياتهم الخاصة . فزاهم يساندون جيش الخلافة من جهة كما فعل يزيد بن يزيد الشيباني في الحاد ثورة الوليد بن طريف الخارجي^(٢) ، وينضمون إلى الثائرين عليه من جهة ثانية ، كما فعلوا عندما أبعدوا الخارجي هارون الشاري في ثورته ، وحاربوا إلى جانبه وجانب حلفائه من الإعراب الآخرين والأكراد^(٣) . ولشدة ما اقترفه هؤلاء من مأس وخراب في طول الجزيرة وعرضها

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ١ : ١٨١ - ١٨٢ . وكتب ابن خلدون بهذا الخصوص فقال : ١ : ١٠٠ . وسار

أبو طاهر القرمطي إلى الرقة لفتحها ثلاثاً . وبحث بعد ذلك سراياه إلى راس عين وكفرنوتنا

ونصيبين . . . ومنجار فاستأمنوا بهم . . . تاريخه ، ٣ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخه ، ٢ : ٧١٨ - ٧٢٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ٦ : ١٤١ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ : ٢٨٠ - ٢٨١ . ابن الأثير ، الكامل ، ٧ : ٤٦٦ .

حيث شاموا من البلاد ولا ينبغي ، وأرسل ابن عمر الى عمر بن الخطاب
ابن القنطرة ، يأمره بنزول القصر وإخراج ابن معاوية فأرسل اليه عمر بن
الخطاب فرحله ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل الدائن وأهل
السواد وأهل الكوفة ، فسارت بهم رسل عمر حتى أخرجوهم من القصر
ونزل عمر القصر ، ثم بعث ابن عمر إسماعيل بن عبد الله أميرا .

وفي هذه السنة وهي سنة سبع وعشرين ومائة .

• مات سعيد بن جندب الخولجي .

حدثني إسماعيل بن إبراهيم أن سعيد بن جندب لما حضره الوفاة
بشهرزور أجمع اليه فواده فدعاهم أن يستخلف عليهم رجلاً منهم
فجعلوا ذلك اليه ، فقال لا : اختاروا حكم مشرة ، فأخرج منهم
مشرة ثم صوم الى أربعة ، ثم قال للأربعة : اختاروا . فاختاروا الضحاك
ابن قيس المحلبي ، وشيان بن عبد العزيز البشكري . فقال لما سعيد :
اختاروا الصديق ولأنفسكم ، فقال شيان : فاني أختار نفسي والعامّة
الضحاك ، وقال الضحاك : أختار نفسي والعامّة شيان ، فأبى شيان
إلا الضحاك ، ورضي بذلك أصحابها فباعوا الضحاك ، فقال الضحاك بيتا :
لأؤودن رجلاً إن ملكتهم طعناً يثنج كافرهم المشاعير

قال إسماعيل بن إبراهيم : حدثني الوليد بن سعيد الشيباني : أن
سعيد بن جندب جعلها شورى بين سنة منهم الضحاك ، والخياري ،
وشيان ، وعبيدة بن سائر الثقفي ، وكان غائباً بأذربيجان فباعوا
الضحاك ، ثم قدم عبيدة فأبى أن يرضى بالضحاك ، فقالوا له : تدخلن

١٥ - نَرَبُّمْنَا الْجَزْرَةَ بِمَدِّ قَيْسٍ
فَأَمَحَّتْ ، وَهِيَ مِنْ قَيْسٍ قَهَارُ^(١)

١٦ - يُزَجُّونَ الْحَمِيرَ ، بِأَرْضِ نَجْدٍ
وَمَا لَهُمْ ، مِنْ الْأَصْحَرِ ، الْخَبَارُ^(٢)

١٧ - رَأَوْا تَغْرًا ، تُحِيطُ بِهِ الْمَنَازِلُ
وَأَحْكَبَدَ ، مَا تُخِيرُهُ الْفِيَارُ^(٣)

غيره^(٤) : لَحْمٍ . وروى : رَأَوْا حِمِيئًا ، وَهِيَ الْحِمِيَّةُ : الضَّخْمَةُ .
وإذا أراد جمًا ، وَحَمَمِ السُّيُوفِ .

١٨ - نَسَائِي مَارِدُونُ بِرِ الثَّرَيَا
فَأَيْدِي النَّاسِ ، دُونَهُمَا ، قَصَرُ
« مَارِدُون » : مَدِينَةُ كُفْرُونِي^(٥) .

(١) نَرَبُّمْنَا الْجَزْرَةَ : زَلَّنا خِيَا وَالنَّا .

(٢) يُزَجُّونَ : يَسْقُوتُونَ عَلَى خَوْفٍ .

(٣) الثَّرَى : الْمَوْضِعُ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ . وَالْأَحْكَبُ : الْحَصَنُ الضَّخْمُ بِحَرَكَةِ كَبَدِ السَّاءِ .

(٤) بَصَرٌ « النَّيْلُ » .

(٥) فِي الْأَسْلِ : « كُفْرُونِي » . وَمَارِدُونُ : قَلْعَةٌ مَشْهُورَةٌ .

٢٦ - تَصُكُّ الْهُوَادِي مَنْكِبَيْهِ عِوْرَاسَهُ

(١) فَيُكَلِّمُ ، إِنَّا عُنُقَهُ خَضِلَانُ
« الهوادي » : التفتيتات ، قدام الحُفْنِ واسْتَقْنِ ضَرْبَتَهُ .

٢٧ - ظَوْرٌ لَا يَزِيدُ ، إِنْ الْإِمَامُ ، أَصَابَنِي

(٢) قِوَارِعُ ، يَجْنِبُنَا عَلِيٌّ لِيَانِي
يقول هذا حين حنجا الأنصار .

٢٨ - وَلَمْ يَأْنِيسِي فِي الْمَشْخَفِ إِلَّا تَذِيرُكُمْ

(٣) وَلَوْ يَشْتُمُّ أَرْسَلُكُمْ بِأَمَانِي

٢٩ - فَالْبَيْتُ ، لَا آتِي نَصِيبِينَ ، طَائِمًا

(٤) وَلَا التَّجَنُّ ، حَتَّى يَنْطَفِي الْحَرَمَانُ
أراد : شهرتي حرام .

٣٠ - لِيَالِي لَا يُجْدِي الْقَطَا ، لِفِرَاحِهِ

يَذِي أَشْهَرُ ، مَا ، وَلَا يَحِثَّافُ

(١) التكب : بجمع رأس الكف والمعد . ولأيت : حفصة السق . والخضل : الذي الخضوب .

(٢) القوارع : جمع قرعة وهي قلماة التديعة .

(٣) التفير : الانفجار . يتفر إلى إخبار زيد إياه بما توعد به مطوعة لمجائته الأنصار .

(٤) نصيبين : مدينة في الجزيرة .

٩ - نأه زَيْدُ اللَّهِ تَرْدِي، عَصَبًا^(١)

١٠ - يَمْتَدُّنَ بِالْجُودِي وَرَدًا، أَصْبًا^(٢)

و الجودي : الجبل ، الذي جَنَحَتْ عليه سفينة نوح .

١١ - خَاطَبِي الْبَضِيعَ ، لَمْ يَكُنْ مُجْتَبَا

١٢ - كَانَتْ لَهُ سِنْجَارُ أُمَا ، وَأَبَا^(٣)

و الخاطبي : المتكثير الضخم . و البضيع : الضخم .

و المجتنب : الذي يأكل الطعام المجتنب ، وهو : النبط .

١٣ - ظِلٌّ يُفْقِدُهَا ، إِذَا تَنَبَّأَا

١٤ - أَبْزَى بِهَا ، فِي خُرَّتِهَا ، فَقَبَّعَا^(٤)

فرجها^(٥) .

(١) تردى : تجري .

(٢) في الأصل : د صبا . والتصويب من اليزيدي . ويمتن : يزرن .
والورد : رجل أحمر اللون . والأصب : الأحمر .

(٣) في الأصل : د لم . والتصويب من اليزيدي . وسنجار : بلد
في الجزيرة .

(٤) في الأصل : د أزي . وأزى : خرج مدره ودخل ظهره . وقبب :
هدر .

(٥) يفسر : د خرتها .

ملحق رقم (٣٠) من كتاب مدينة ماردين - حسن شمساري

وهل يده جواب كتاب الأمير حمزة يشكره ولئن شاء عليه وتشريف له بزيارة السلطنة . . (١)»

وبعد هذه الخطوة وتلك للكلية التي تبناها الأمير حمزة من قبل دار السلطنة، وبعد الانتصار الذي حققه على أخيه الأكبر ناصر الدين علي بيك بخلفه من ديار آمد، التفت إلى ديار أرزن الروم (ارزنكان) وكانت يومئذ لأخيه الأصغر بمقرب بيك وياشرف جهانكير بن علي بيك. فاحتج عليه بأنه وإطأ العساكر السلطانية وحطم إليها المدينة ولذا فإنه سائر إليها لأخذها وانتزاعها من تلك العساكر. . . وعندما التقى الجمعان حاصر أكثر الأمراء مع حمزة وصاروا إلى جهانكير ضاعزوم حمزة بعد حرب شديدة كانت بينهما وهو جريح في عدة مواضع . . (٢)»

ويبدو أن هذه الهزيمة لم تفقد حمزة الأمل في العودة إلى ارزنكان وتلاييب ابن أخيه. فبعد أن اقتصر من أملاكه الذين خاضروه وتركوه في الرقعة. وبعد أن أعاد تنظيم القوات، حاول المسير. لكن في هذه المرة كان بخطى أسرع وبضربات أشد فتمكن من إبعاد جهانكير عن المدينة. فدخلها والحققها بممتلكاته. وهل أثر ذلك إطلاق عليه اسم متملك ماردين واورزنكان (٣)»

واستتب أمر الملك لحمزة بيك . وسلس البلاد الجزيرية طويلاً وحرصاً بعد أن أناب فيها العمال والأعران . ويقال أنه كلف هؤلاء ببناء الجهد والمطاء من أجل إحياء الحياة إلى البلاد . فشهدت الفترة المتبقية من حياته هدوءاً واستقراراً شجعاً سكان على القيام بأعمال الترميم والتنمية، وعلى تعاطي نشاطاتهم المعيشية بكل جد واهتمام من تجارية وزراعية وصناعية وخدمات . واستمرت هذه

(١) القرعزي، السلوك. ٤٠٠ : ٣ : ١٠٦٩ - حوادث سنة ٨٤٢ هـ .

- ابن خوري بردي، الهجوم الزاعمرة . . . ٦٥ : ٢٣٧ - ٢٢٨ .

(٢) القرعزي السلوك. ٤٠٠ : ٣ : ١٠٧٢ - حوادث سنة ٨٤٢ هـ - الجوهري، نزهة القلوب. ٤٠٠ : ٣ : ٤٣٥ .

(٣) القرعزي، السلوك. ٤٠٠ : ٣ : ١٠٥٤ - الجوهري، نزهة القلوب. ٤٠٠ : ٣ : ٢٩٩ .

ملحق رقم (٣١) من كتاب عشاير الشام — أحمد وصفي زكريا

بنو تغلب ونزلوا بهم هبطوا جنوباً . وكانوا على التصديانية ، فلما جاء الإسلام أكرموا عن
أداء الجزية ، ويرجع إلى بني بكر بن وائل بنو حنيفة أصحاب القيامة ، وكذلك جيرانهم
بوشيان . من يرجع أيضاً إلى ربيعة عبد القيس الذين كانوا يسكنون البحرين . أم
مصر فكان في مقدمتها بنو فليس ، وقد ملفوا من القوة واللمعة معلية حتى أنه مني قبيل
كل عربي لم يكن يمانياً ، واليوم ليس من ينسب بهذا الاسم إلا قبيلة صغيرة من أهل
المدن . نازلة على القنات وهي تدفع أخوه لبني نمر^(١) وفي شرقي هذه القبيلة يقطن
بنو عدوان وهم بدينون لنمر أيضاً . وكانوا يزلون سابقاً جوبي الحجاز . بجانب بني فهم
وهذه^(٢) ويرجع إلى بني فليس أيضاً حوازن وبني سليم . وكانوا يقطنون في غربي ديار بجم
في شرقي المدينة ومكة . وفي أوائل القرن الثالث للهجرة^(٣) التاسع للبلاد^(٤) انتشر أمر
سليم ومجاورهم بني هلال الراجحي إلى حوازن وضافت البلاد بمقدم العديد حتى جيب على
الدينين المقدس من جهة الأمن ههنا ، فذكرهم على المهاجرة ، فهاجروا إلى ديار مصر
فهبطوا أولاً دنيا النيل . ثم اضطروا إلى معادته قسراً فذهبوا إلى الصعيد . وفي سنة
١١١ هـ رصوا بالذهاب إلى شمالي أفريقيا على شرط أن يعطى كل منهم بعمراً ودياراً ،
فأغلب بدو أفريقيا الشداكية يعودون في أصلهم إلى بني سليم وبني هلال . وشجرة بني هلال
معروفة إلى هذا العهد في شعر النمامرة في قلب بلاد العرب نفسها^(٥) . وكانوا يقيمون في
السابق إلى أحلاف قبائل عامر بن صعصعة . ومنهم كانوا أيضاً بنو كلاب وبنو قشير وبنو
عقيل ، وما زالت بنو عقيل إلى زماننا هذه ذات شأن وخطر في بلاد نجد . وهم باعة الأباقر
إلى القوافل التي تظمن من ديار الشام إلى بغداد . وهم حقاؤها أيضاً ، ومن عقيل خرج
المتنق . وكانوا أصحاب عز ومنعة منذ القرن الرابع الهجري وهم لا يزالون كذلك إلى
عهدنا هذا . وديارهم حنوبي العراق .

ويشمل بني فليس بني غطفان ، وفيهم قبيلتان شهيرتان . وهما بني وديان وقد

(١) هذا ما ذكره جابر بن سفيان . ثم صارت جسر وتلفظ الآن جيس من أشهر العشاير وأهمها . وهذه العشاير

المحمودية دوني الشام وتركيا طوا في شقي الجبل واستأثروا وتطعم أقوام من سكان تلك الأقاليم

(٢) هؤلاء ليسوا بشعوب المروانية في بلاد شرقي الآرام . بل هم شعوب النعمان في شمالية الجزيرة العربية في ديارهم
وأرضهم من ناحية الجزيرة العربية

(٣) وعلى قائمهم طفت خمسة شعوبه وسموا بالهجرية والشمالية في أيدي العامة كثيراً .

في سنة ١٦٠٦ م الى سنة ١٦١١ م استوزر في حلب حاكم من مدينة كومنخية اسم نصوح باشا . وفي سنة ١٥٥٩ م كان قد اثار حرباً ضد محمد بن احمد الطويل واندرج ، وصار حاكماً في امد ثلاث سنوات (الى سنة ١٦٠٦) وهذا ، وان كان عاقلاً وعمر قري كثيرة في نواحي ماردين ، الا انه كان طماعاً فجمع ذهباً كثيراً ، وتزوج من بنت شرف بك الصكردي . وفي سنة ١٦١١ م صار رئيساً للوزراء ، وذهب الى امد مدة سنة واحدة ، لكي يتوسط في الصلح بين الاناضول وكردستان . وكان اتباعه ظلاماً واشراً ولذلك قتله السلطان سنة ١٦١٤ م . وروى البعض انه مات . ان العملية الآن يعدون زهاء اثني عشر او خمسة عشر ألفاً ، ولا نطن الا انهم كانوا يوم اسلموا بنصف هذا العدد .

حدث هذا الحادث الهام في عهد سهدو بطريك طودعبدن . وفي رواية ضعيفة اخرى ان ذلك جرى في عهد عبدو الهوزي الذي نجعل حتى رئاسته . اما التقليد الشعبي الذي يتناقله الناس في طورعبدن والذي مؤداه ان هذا الحدث كان في عهد البطريك اسماعيل بطريك ماردين ، فلا صحة له مطلقاً ، وليس الا رواية خيالية . وسيله ان اسم اسماعيل اصبح غير ذا قيمة في طورعبدن للشقاق الذي اثاره في الكنيسة بسوء ادارته . فنسب اليه اعداؤه هذا الحدث ايضاً ، وادعوا ان ذلك إنما حدث عندما منع هذا البطريك أبناء هذا الشعب من تناول الطعام المحرم في الصور .

للجماعة الضاربة أطباها بينهم عهدنذر ، فحرمهم البطرك أو رفض قبولهم فاسلموا ؟

ان كنيسة مار جرجس في كهرشمع كانت عامرة سنة ١٤٥٧
وظهر من كهرشمع نفسها المغيران شمعون الاول بن شلوج سنة ١٥٤٩
— ١٥٥٥ . ودبر مار يعقوب في كهرشمع التي تهرب فيه هذا المغيران
كان عامراً سنة ١٥٨٢ م واخبرنا شيوخ ثقات ان اسلام المحامية لا
يرتقي الى اكثر من ثلاثئة سنة .

الفصل الرابع والعشرون

حكام طور عابدين

في سنة ٦٤٠ (٢) استولى حياض بن غنم على طور عابدين صناعاً
ومنذ ذلك حكم المنطقة حكام امد المسلمون . واسماء حكام الجبل
الخصوصيين بمهولة اسمائهم . وأما الباقون فنعرف منهم :

(١) بين سنتي ٩٨٤ — ٩٩٠ استولى عليه باد بن دوشنك ابو
عبدالله الحسن الكردي . وخلفه :

(٢) ٩٩٠ — ٩٩٠ ابن اخته الامير ابو علي الحسن بن مروان
الكردي .

(٣) ... — ١٠١٠ اخوه محمد الدولة ابو سعيد منصور بن مروان

(٤) ١٠١٠ — ١٠٦٦ اخوه الامير نصر الدولة ابو نصر بن احمد

بن مروان .

ملحق رقم (٣٤) من كتاب القصارى في مكيات النصارى - اسحاق أرسنة

١٣

الدولة المملوكية

مكاته . ثم صار حسن الى العراق ودلى اخاه القاسم شوتون ماردین وديار بكر واستنهضه ليعتير ما تهدم ويجدد ما تقوض . فقتل الامير قاسم الى ماردین نيافاً وثمانين الف عائلة من نواحي توديوز واذربيجان ورتتم الساجد والحلمات والاسواق والدور وشاد مدرسة غربي البلد عرفت باقاسية حتى يومنا ورتب لها الاوقاف وابتنى جامع الشكبه وشادت زوجته الى جانبه مدرسة الخاتونية . واقام ابراهيم ابن اخيه والياً على ماردین فديرها سباً وثلاثين سنة . وعام ١٥٠٧ تول امور ماردین لوستاجلو المروفي محمد كيزونه فظهر عليه السلطان سليم خان الاول ابن السلطان بايزيد ١٥١٣ - ١٥٢٠ فامست ماردین منذ ذلك خاضعة للسلطين العثمانيين ينصبون لها الحكام واحداً فواحداً

الفصل الثامن

الدولة المملوكية

وسنة ١٦٢١ اوفد السلطان معطى الى ماردین ميتابلي محمد آغا ليتولى شؤونها من قبله . وخلفه سبعة حكام لم تطل مدتهم الا اربعة اشهر . وسنة ١٦٣٠ سمي يعقوب حاكماً لماردین فانشأ السراي الجديد شرقي البلد . وشدد الحكماء بعده على النصارى . وانزلوا بهم النكبات والعقوبات فاضطر نصارى الدور والاحمدي واستل ودرشل وقباله وعشار الحطية والرثدية والمناشنية ان يهجروا النصرانية ويدينوا بالاسلامية

ومذ عام ١٦٤٢ جعل حكام ماردین يراجمون وزراء بغداد

ملحق رقم (٣٥) من كتاب مدينة ماردين - حس شمساني

وفتح حصن كفتوتوا... ونصيبين بعد قتال... وفتح طورعبدین، وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرها... وكل ذلك حصل في سنة تسع عشرة وأيام من المحرم سنة عشرين... (٢٠).

- وفتح عياض المردین ولسانمراد الجزيرة أكلها ابن الفقيه الحماني بقوله:
... قال الزهري: لم يبق بالجزيرة موضع فلم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب، على يدي عياض بن غنم. فتح حران، والرفقة، وقرقيسيا، ونصيبين، وسنجار، وميافارقين، وكفتوتوا، وطورعبدین، وحصن ماردين، ودارا وفردى وهازبدي وارزن... (٢١).

- وأيد جهود عياض في تلك الفترة كل من ابن الأثير، وابن العبري، وابن شداد، وابن كثير، وابن خلدون، وأمثالهم (٢٢)، ويستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون، من أنه لما ولي عمر بن الخطاب أمر الخلافة ٦٣٤ - ٦٤٤ م/١٣ - ٢٣ هـ، أوفد إلى أبي عبيدة بن محمد عقداً لعياض بن غنم، ويجهز معه الجيوش إلى ديار ريبة وديار بكر، فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل، وسار عياض يريد الجزيرة. ففتح باليس والرفقة. ورأس العين وجبلين... وماردين... وغيرها، ثم أرسل الوليد بن عتبة فجمع بني تغلب النصاري في تلك الديار وطالبهم بالاسلام فأسلموا، في حين أطبق التعمان بن المنذر الغساني على الملك شهرمياض صاحب رأس العين من قبل الروم وفاجله بطعنة فقطته. ثم حمل المسلمون على قرقيسيا، وملكوها، وكذلك استولوا على مأكسين والشلمسية وعربان والمجذل والخابور. أما أوسوس بن جارس صاحب ماردين من قبل الروم فيقال أنه انهزم إلى حران، وإن

(١) البلاذري، فتح البلدان، ص ١٨١ - ياقوت، معجم البلدان، ٥ : ٣٩.

- عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العرفية، ص ٥١٤ - ٥١٥.

(٢) ابن الفقيه الحماني، حصر كتاب البلدان، ص ١٣٦.

(٣) ابن الأثير، الكفيل في التاريخ، ٥ : ٥٢٤ - ابن شداد، الأملق المظفرة، ٣ : ٢ : ٥٥٥.

- ابن العبري، تاريخ حصر القلعة، ص ١٠١ - ابن خلدون، تخرجه، ٢ : ٤ : ٩٥٥.

مثل صلح الرها وذلك في سنة ١٩ ، ووجه عياض الى قرقبيبا حبيب
ابن مسلمة الفهري ، ففتحها صلحاً على مثل صلح الرقة ، وفتح عياض
أحمد بنير قتال على مثل صلح الرها ، وفتح مباديقين على مثل ذلك ،
وفتح حصن كرتونا ، وفتح نصيبين بعد قتال على مثل صلح الرها ،
وفتح طور عبلين ، وحصن ماردين ودارا ، على مثل ذلك ، وفتح قرقي
وبازبدي ، على مثل صلح نصيبين ، وانه بطريق الزوزان فصالحه عن
ارضه على اناوة وكل ذلك في سنة ١٩ ، واثام من الهرم سنة ٢٠ ثم
سار الى اذون ففتحها على مثل صلح نصيبين ، ودخل الدرب فبلغ
بذليس وجازها الى خلاط وصالح بطريقها ، وانتهى الى العين الحامضة
من ارمينية فلم يعدها ، ثم عاد فغنم صاحب بذليس خراج خلاط
وجاجها وما على بطريقها ، ثم انه انصرف الى الرقة ، وبنى الى حص
وقد كان عمر دلاه اباها ، فاث سنة ٢٠ ، وولى عمر سعيد بن عامر بن
جذيم ، فلم يلبث الا قليلا حتى مات ، فولى عمر عمير بن سعد الانصاري
ففتح عين الزوزة بعد قتال شديد .

وقال الواقدي : حدثني من سمع اسحاق بن ابي فروة يحدث عن
ابي وهب الجيشاني ذيلم بن الموسع ، ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب
الى عياض يأمره ان يوجه عمير بن سعد الى عين الزوزة ، فوجه اليها
فقتل الطلاب امامه ، فاصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشي
من مواشي العدو ، ثم ان اهل المدينة غلقوا ابوابها ونصبوا

وفي سنة ١٠٦٢ يونانية (٧٥١ م) دك هذا الحصن رومي حاكم طور عابدين ، وهدم معاقله واحرق ابوابه بالنار ، لأنه وجد ان الحروب مستمرة وقاسية على المنطقة بسبب هذا الحصن الحصين . وفي سنة ١٢٨٣ يونانية (٩٧٢ م) بني هذا الحصن للمرة الثالثة بيد هيثم^(١) . ان حصن هيثم هذا اقيم في الجنوب الشرقي لطور عابدين ومن قراء المشهورة هي باسيرينا ، وسميت المنطقة في وقت بنائه باسم منطقة هيثم . وكان غنياً بالفلال . ذكر الامير شرف البديلي في كتابه (الشرفاعة) ان معظم الفلال التي صككت ترد للامراء البختيين ، أي في القرن السادس عشر ، من منطقة هيثم هذه .

ويتحدث القس ادي السبريني في القرن الخامس عشر ، انه كان في قلعة هيثم وال ، وكان الاكراد والتركمان وابناء الحصن يقتلون في سبيله ، وفي سنة ١٤٦٢ م ، أخذ كور خليل قلعة هيثم من أحد ابن نطفة .

وحدث المؤرخ القرطبي قال : في سنة ٨٠١ يونانية (٥٨٠ م) دحط الفرس واحرقوا دير قرتمين ، وفي سنة ٩١٦ يونانية (٦٠٥ م) دك حصن طور عابدين .

وخلاصة القول ، ليس لدينا مصادر تاريخية هامة في هذه المنطقة غير التي سجلت بالسريانية ويبدأ ابنتها ، وخاصة القس ادي السبريني

(١) ولا نعلم بالضبط متى دك هذا الحصن نهائياً .

٤ - قَضَيْنِ مِنَ الدُّيُونِ هَمًّا طَلَبْنَاهُ

فَهُنَّ إِلَى لَهْوٍ ، وَجِلَواتِهَا شُرُرٌ^(١)

د الأثر : : التواضع بآخر عيونهم .

٥ - وَيَأْمَنُ عَنْ سَائِدَمَا ، وَتَصَفَّتْ

بِالْمَيْسُ مَجْهُولًا ، مَخَارِمُهُ غُبْرٌ^(٢)

٦ - سَوَامٌ ، مِنْ طُولِ الْوَجِيفِ ، كَانَهَا

قَرَارِيرُ ، يُتَشَبَّهْنَ أَذْيَةُ الْبَحْرِ^(٣)

يقال : وَجِفَ وَجِيفٌ ، وَأَوْجِفَ إِيْجَافًا .

٧ - إِذَا تَحَرَّقَ الْآلُ الْإِكَامَ عَطُونُهُ

بِمُتَشَمِّتٍ ، لَا يَنْالُ ، وَلَا مُحَرَّرٌ^(٤)

(١) الديوان : موضع . ولهو : اسم امرأة .

(٢) في الأصل : « سائدا » . وسائدا : اسم جبل بين مياطرين وسرت .
وتصفت : أخذت على غير عدى . واليس : الأبل يخالط يابسها سفرة .
والقارم : جمع غرم وهو النية بين الجليلين . والتبر : جمع ثبر وهو الكبر
اللون بالقبيل .

(٣) السوام : جمع سامة وهي الضامة للثيرة اللون . والوجيف : ضرب
من السير سريع . والقراير : جمع قرقور وهو النية الطيبة . والآدي :
الوج .

(٤) الآل : الرباب في الضمى . والإكام : اللال . وقوله لا ينال ولا حر
أي : ليست بهجن كالبنال والحمر . وأسكن مع حر لتخفيف .

* ١٥٣

وقال : كان "مر" الأخطل يبنى زيد^(١) بن عمرو بن غنم ، فقالوا له : امدحنا . قال :

- ١ - إن بني زيد ملبحوا الشكل
- ٢ - كم فيهم ، من فتلة ، وفعل^(٢)
- ٣ - يخطر ، بالينجل ، وسط الحقل^(٣)
- ٤ - يوم الحماد ، خطران الفحل

« انظر ب ص ١٦٩ .

(١) زيد هو زيداثة ، أو زيد اللات ، وهو اسم قبيلة من تلب .

(٢) الفتلة : كناية عن حياة الفتاة . والفعل : كناية عن الذكر .

(٣) يخطر : يحيى مزحواً ، وهو يرفع يديه وضعا . والحقل : الزرع المحضر .

انظر انسان (حقل) .

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	تقديم للأستاذ الدكتور سهيل زكار
١٧	مقدمة
٢٧	دليل البحث وخطته
٣١	مدخل
٣٧	الفصل الأول
	التوزيع الجغرافي للمعلمية ونسبهم
٣٩	أولاً: بني محمّد.. النسب والجنود
٥١	ثانياً: السكن والاستقرار
٥٧	الفصل الثاني
	الشبيانيون.. ومكانتهم التاريخية
٥٩	أولاً: في أطراف الجزيرة العربية.. والعراق
٦٣	ثانياً: الشبيانيون ومباشرة فتوح العراق
٧١	ثالثاً: انسحاب شيبان نحو الجزيرة واستقرارهم بها
٧٥	رابعاً: الشبيانيون في الجزيرة الفراتية
٧٩	خامساً: اسهام بني شيبان في حركة الخروج في الجزيرة
٨٣	الفصل الثالث
	بنو محمّد.. بين الأمس واليوم
٨٥	أولاً: لمحة تاريخية عن أسباب تراجع الشبيانيين

الفصل الرابع

١١٢

قوة التكوين المنظمي العربي

١١٥

أولاً: انتماء المنظمة للعروبة

١٢١

ثانياً: الحجج والأدلة المؤكدة على الانتماء

١٢٣

أولاً: عامل اللغة

١٢٣

ثانياً: عامل الأرض

١٢٤

ثالثاً: العادات والتقاليد والتاريخ المشترك

١٢٥

رابعاً: مقاومة أشكال طمس الهوية العربية

١٢٦

خامساً: الاعتزاز والفخر بالنسب وبالانتماء العربي

١٢٩

الفصل الخامس

المفظة التاريخية حول أصول المنظمة

١٣١

أولاً: المفظة التاريخية

١٣٩

ثانياً: أسباب عدم إحقاق المنظمة ببني هلال

١٤٣

ثالثاً: المماوى الناجمة عن هذا الخط

١٤٩

الفصل السادس

في الرد على مسألة انتماء المنظمة للسريين

١٥١

أولاً: للمحاولات السريانية

١٥٧

ثانياً: الرد على ما جاء في كتاب طور عابدين

١٥٩

— المحور الأول: الخطط بين مفهوم القومية والدين

١٧١

— المحور الثاني: اللغة

١٧٣	— المحور الثالث: الاعتماد على المصادر الكيفية واللاهوتية
١٧٥	— المحور الرابع: أزخ.. الأرخية (الأرخونية)
١٩٥	الفصل السابع
	أسس العلاقة بين المخطمية والأكراد
١٩٧	لأولاً: جذور العلاقة ما بين المخطمية والأكراد
٢٠١	ثانياً: أسس العلاقة الحالية في الجزيرة السورية
٢٠٥	ثالثاً: الرد على جماعات الجذب الكردية
٢٠٩	الفصل الثامن
	الفروق بين المخطمية وغيرها من العشائر
٢١١	لأولاً: الفروق بين المخطمية والمردينية
٢١٣	ثانياً: الفروق بين المخطمية وغيرها من العشائر العربية
٢١٥	الفصل التاسع
	عشيرة المخطمية في الجزيرة السورية
٢١٩	لأولاً: — لمحة عن التنوع القبلي والعشائري
٢١٩	— الجزيرة السورية (الموقع العام)
٢٢٣	— التنوع القبلي والعشائري
٢٢٥	— الحياة الاقتصادية
٢٢٧	— الحياة الاجتماعية
٢٣١	ثانياً: بدايات الوجود المخطمي المتجدد في الجزيرة
٢٣٧	ثالثاً: الانتشار المخطمي في الجزيرة وغيرها
٢٤١	رابعاً: البروز المخطمي في الجزيرة

٢٤٥	خامساً: علاقة المُحَلِّمَةِ مع غيرهم من العشائر العربية
٢٤٥	— علاقة المُحَلِّمَةِ مع العشائر العربية
٢٤٩	— علاقة المُحَلِّمَةِ مع غيرها من الطوائف الأخرى
٢٤٩	— علاقة المُحَلِّمَةِ مع الأكراد
٢٥٢	— علاقة المُحَلِّمَةِ مع (المجموعة السريانية والمارونية)
٢٥٧	سادساً: الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري للمُحَلِّمَةِ

٢٥٧	أولاً: الحياة الاجتماعية
٢٦٠	ثانياً: الحياة الاقتصادية
٢٦١	ثالثاً: الحياة السياسية
٢٦٣	رابعاً: الحياة الفكرية

الفصل العاشر

٢٦٥	الوضع التنظيمي لعشيرة المحلّمة
٢٦٧	أولاً: تعريف... ونبذة تاريخية
٢٦٩	ثانياً: تكوين عشائري جديد
٢٧١	ثالثاً: إعادة ترتيب (البيكلية العشائرية)

الفصل الحادي عشر

٢٧٣	المطلوب من المُحَلِّمَةِ في الحاضر
٢٧٥	ترتيب البيت المحلّمي

الفصل الثاني عشر

٢٧٩	عشائر المُحَلِّمَةِ خارج الجزيرة السورية
-----	--

٢٨٣	أولاً: عشيرة المُحَلِّمِيَّة في حلب
٢٨٧	ثانياً: عشيرة المُحَلِّمِيَّة في ليفان
٢٨٩	— أسباب المشكلة
٢٩٣	— النتائج الناجمة عن هذه المشكلة
٢٩٥	— الحلول الواجبة لهذه المشكلة
٢٩٧	ثالثاً: المُحَلِّمِيَّة في العراق
٢٩٧	— لمحة تاريخية عن الوجود المُحَلِّمِي
٣٠١	— أسباب تسمية المُحَلِّمِيَّة بالهلالية
٣٠٣	— المطلوب إعادة التسمية

الفصل الثالث عشر

اللهجة المُحَلِّمِيَّة .. خواصها .. اشتقاقاتها اللغوية

٣٠٥	أولاً: الخواص
٣٠٧	ثانياً: التشابه بين اللهجة المُحَلِّمِيَّة والموصلية
٣٢٧	خاتمة
٣٣١	المصادر والمراجع العربية
٣٣٣	الوثائق والصور والخرائط
٣٤١	المحتوى
٣٨٥	

AL- MUHALLAMIA

هذه الرسالة

مجاهدة علمية من رتبة الشاهين
في بيان الحجة الشبانية في
القرآن الكريم. تناول مع
تاريخه وبارك من قيام
بشأن مؤلفه وعلوه
ووفاء له في الوفاء
وحدوثه في عري
كتاب جدير بالقرآن